٣

بين تونس وفرن

لم تنشأ صـلات مباشرة بين تونس وفرنسا في
للفرنسويين الانتصار على الجزائريين في تلك الحروب
تونس على الحياد وابوا ان يعملوا عملا لمساعدة اخوانهم

ونشأت اول صلات مباشرة بين البلادين عند ز
لتونس في عهد احمد باي بن مصطفى المتولى سـنة ١٢
(سنة ١٨٣٧ — ١٨٤٦) فاحتفـل بزيارتهم وبالغ في
الى فرنسا تلبية لدعوة والدهم (١٦ ذى القعدة سنة ١
فنزل في طولون وسافر منها الى باريس فاحتفى به القوم
الجزائرية) وبالغوا في اكرامه

وسعى احمد باي للاخذ بالنظم الاوربية الحديثة
على اسس جديدة وابتاع عمارة بحرية وانشأ مرسى
صناعة لانشاء السفن بحلق الوادي واسس معامل لصنع ال
بجوار تونس وسماها المحمدية وابطل الرقيق وامر بعتق

واضعف تحقيق هذه المشروعات الجديدة — وكا
والقاها في ارتباك فاضطرت الحكومة الى فرض ضرائب
واحتكرت الملح والدخان والجلد والصابون وقاولت (لزمت
مال يعجلونه فأساءوا الاستعمال وظلموا الشعب وارهقوه

نكت . وفكاهة . وأدب

(المعروف بهز القحوف)

في شرح

: قصيد أبي شادوف :

للعلامة الشيخ يوسف بن محمد بن

عبد الجواد بن خضر الشربيني

طبعت هذه النسخة بعد مراجعتها وتصحيحها على النسخة

﴿ المطبوعة بالمطبعه الاميرية سنة ١٣٠٨ ﴾

يباع بالمكتبة المحموديه

﴿ لصاحبها ومديرها : محمود على صبيح ﴾

﴿ الكائن مركزها بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان * بنطق اللسان وخصه بعموم الفضل والامتنان * وهياه لادراك حقائق المعرفة والبيان * وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان * وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان * وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخص اضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوام الريف أراذل الجدران * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أفضل جرثومة العرب من عدنان المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان * وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم اخوان * صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت وأوان * (وبعد) * فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه ان مما مر على من نظم شعر الارياف * الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف * المشابه فى رصه اطين الجوالس * وجرى ذكره في بعض المجالس * قصيد أبى شادوف المحاكى لبعر الخروف أو طين الجروف فوجدته قصيدا ياله من قصيد كأنه عمل من حديد أو رص من قحوف الجريد فطلب منى من لا تسعنى مخالفته ولا يمكننى الا طاعته أن أضع عليه شرحا كريش الفراخ أو غبار المقاش وزوابع السباخ يحل ألفاظه السخيمه ويبين معانيه الذميمه ويكشف القناع عن وجه لغاته القشرويه ومصادره الفشكليه ومعانيه الركيكه ومبانيه الدكيكه ومقاصده العبيطه وألفاظه الحويطه وأتممه بحكايات غريبه ومسائل هبالية عجيبه وأن أتحفه بشرح لغات الارياف التى هى فى معنى ضراط الجمل بلا خلاف وأشعارهم المغترفة من بحر التخابيط واشتقاق بعض كلماتها التى هى فى الصفات تشبه الشراميط ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق فى القاهرة ومصر وثغر بولاق وذكر فقهائهم الجهال وعلمهم الذى يشبه ماء النخال وفقرائهم الاجلاف وأحوال الاوباش منهم والاطراف وذكر نسائهم عند الهراش وملاعبتهن فى الفراش التى هى شبيهة نط القرود أو بربرة الهنود وأن أورد بول كلام المتن عنى اذا ذقته أيها السامع يحكي طعم البول واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه أيها الناظر فكأنك قد قطفت زبل الغول واذا نظرت الى اشعاره فكأنها رص القلقيل واذا أملت عفاشة كلامه فكأنك تلوك زبل الخيل وأن أصرح فيه ببعض نكيتات هزليه وحكم هباليه على سبيل المجون والخلاعه والدبدبة والصقاعه حتى يشتهر شرح هذا القصيد من دمياط الى الصعيد وأرجو أن لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد وقل أن يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التى كالولاش وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش فهو ان مر على المسامع مر كالريح وان مجه الطبع كالمرض للصحيح كما قال

الشاعر الفصيح الملتقط شعره من الدر الوضيح

اذا حققت أن اللفظ صوت * وأن الصوت معنى يافصيح
فحقق أن تاليفى كلام * تلذ به المسامع وهو ريح

(وفى المثل) فى البحر سمك يفسى نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعه وا خليه ولا باس بوصف هذا الشرح بابيات كانها بول البنات فاقول

كتاب قد حوى فن الولاش * كتاب قد أتى مثل الفراش * كتاب فيه أوراق وحبر
وقول صادق مع قول لاش * وفيه يا أخى من كل معنى * اذا ماذقته طعم العفاش
وألفاظ به تحكى لبول * عليها رونق مثل العماش * وفيه مسائل حازت هبالا
عليها سابل مثل القماش * وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلاش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تامن سريعا من طراش

وكل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد وحل معانيه التى تحكى قحوف الجريد فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن كما هو عادة القاطن فى هذا الفن والطاعن فياله من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ولو نقش على عامود الصوارى لتحرك ولو مس به حجر لتشطر ولو ألقى فى اليم لتكدر فهو جدير بان يرقم ببول الجحوش على جدران الكنائس وحقيق بان يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس وأن يلقى على رؤس المزابل وأحق بان يرقم على جدران المكاسل فهو شرح عديم النظير فى الكثافه لكونه فى معنى اوصاف الريافه وليس له شبيه فى الثقاله لكونه فى وصف ذوى الرذاله (واعلم) أن كل شرح لا بد له من اسم يناسبه وعلم عليه يقاربه وقد سميت هذا الشرح (هز القحوف) بشرح قصيد أبى شادوف وأطلب من القريحة الفاسده والفكرة الكاسده الاعانة على كلام أعرفه من بنات الافكار وأسطره فى الاوراق من فشار وأن يكون من بحر الخرافات والامور الهباليات والخلاعة والمجون وشئ يحاكى كلام ابن سودون فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعه ولا يميل الى قول فيه البلاغة والبراعه لان النفوس الآن متشوقة الى شئ يسليها من الهموم ويزيل عنها وارد الغموم (وفى هذا المعنى شعر)

ففى مذهبى أن الخلاعة راحة * تسلى هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من عنده طرف من التمسخر والخلاعه والدبدبة والصقاعه ولهذا قال الشاعر

مات من عاش بالفصاحة جوعا * وحظى من يقود أو يتمسخر

وقد تساق الارزاق لمن لا يدرك الخط فى الاوراق ويحرم صاحب البلاغه ولا يجد من القوت بلاغه ولهذا قال الشاعر

رزق التيوس يجيئها بسهولة * وذوو الفصاحة رزقهم مسجون

ان كان حرماني لاجل فصاحتي * امنن على من التيوس أكون

وقال البوصيري الاديب رحمه الله تعالى مواليا

رب الفصاحة عظيم الذوق يقف أبلم * والابلم التيس مصدر ومتعظم
يارب ان كان حرماني كما تعلم * امنن على اكون تيس ابن تيس أبلم

وقال ابن الراوندى

ياقاسم الرزق كم ضاقت بي القسم * ما أنت متهم قل لي من اتهم
تعطي اليهود قناطيرا مقنطرة * مثل اللجين ورجلي مالها قدم
أعطيتني حكما لم تعطني ورقا * قل لى بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله ويدارى وقته بما يناسب لاحواله ويكون حذرا من دهره وصولته ويرقص للقرد فى دولته ويعاشر الناس على قدر أحوالهم ويدور معهم وينسج على منوالهم ويندرج فى مدارج خلاعاتهم ويظهر فى مظاهر براعاتهم كما قال بعضهم

ودارهم ما دمت فى دارهم وحيهم مادمت فى حيهم
وأحسن العشرة مع بعضهم يعينك البعض على كلهم

وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه لين وهدء نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا أنه فقير الحال فقال الملك على به فلما حضر بين يديه أكرمه وعظمه وأعلى منزلته وصيره أرقى من وزرائه واجرى عليه النعم فلما رأى نفسه فى هذه الحالة تعاظم على أبناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة فاتفق رأيهم على مكيدة تهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة وأراد الملك أن يصلى فى بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له فى ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك أنهم اصطنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر وأعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك أحد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة وأراد الملك الانصراف أخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لأرباب دولته ماهذا الامر فانه قد رؤى هذا الصليب تحت جبهة الامام فقالوا له هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وأمر بقتله فلما مرت جنازته أنشد بعضهم يقول

كان والله تقيا صالحا منصفا عدلا وماقط اتهم

فاجابه آخر يقول كان لا يدرى مداراة الورى ومداراة الورى أمر مهم

فالسلامة فى مداراة الناس وحسن الاطباع معهم ولطف الايناس وأن يكون

الشخص متنقلا فى أطوارهم دائرا تحت فلك ادوارهم كما صرحت بذلك فى بعض الابيات

فطورا تراني عالما ومدرسا　　وطورا تراني فاسقا فلفوسا
وطورا تراني فى المزامر عاكفا　　وطورا تراني سيدا ورئيسا
مظاهر أنس ان تحققت سرها　　تريك بدورا أقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا وما زمرنا به ورقصنا والشخص يغلب عليه علمه وفنه والزامر لا يخبي ذقنه وقبل الخوض فى بحر هذا الكلام والمشابهة له من جنس النظام نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف ووصف طبعهم الكثيف واخلاقهم الرذيله وذواتهم الهبيله واسمائهم المقلبه وقحوفهم المشقلبه وقصانهم المشرمطه واشعارهم المخلبطه ونسائهم المزعجات وما لهم من الدواهى والبليات (فنقول) أما سوء أخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والابقار وملازمتهم لشيل الطين والعفار وعدم اكترائهم باهل اللطافه وامتزاجهم باهل الكثافه كانهم خلقوا من طينة البهائم كما قال ذلك الناظم

لا تصحب الفلاح لو أنه　　نافجة أرياحها صاعده
ثيرانهم قد أخبرت عنهم　　بانهم من طينة واحده

فهم لا يخرجون من طور الفحافه لملازمتهم المحراث والجرافه وهز قحوفهم حول الاجران وطردهم فى الملق والغيطان ودورانهم حول الزرع ونطهم فى الحصيدة والقلع وغطوسهم فى الجلة والطين وعدم اكترائهم بالصلاة والدين اذا الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت والنقز والبنتوت والساقية والفرقله وشيل الطين والجله والعياط والغاره والطبله والزماره والحدوة خلف قفاه ونزراقه وهز رداه وحزامه الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطه وصورته المخلبطه وطربوشه الدنس وزره الغلس وطرده للغارات والدواهى والبليات ومشيه حافى فى الحر والحلافى وعياطه فى الظلام ياالسعد أو ياالحرام فيجتمع عليه اللموم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعد أو حرام ويخرج اليهم الآخرون بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطريق على العدو والصديق ويترتب على ذلك المفاسد وتمتنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء أخلاقهم وعدم اتفاقهم اذ كلهم فى الظاهر مسلمون والقتل عندهم مثل الديون وأيضا عندهم قلة الوفا وعدم الانس والصفا لا يؤدون القرض ولا يعرفون السنة من الفرض ان عاملتهم أكلوك وان نصحتهم أبغضوك وان أقمت لهم الشرع رفضوك وان ألنت لهم الجانب مقتوك العالم عندهم حقير والظالم عندهم كبير امورهم معانده وليس عندهم فوائد عندهم قابض المال اعز من العم والخال سود الوجوه اذا رأوا معروفا انكروه كما قال الشاعر فى المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابدا ... فان اكرامهم فى عقبه ندم
يبدوا الصياح بلاضرب ولا الم ... سود الوجود اذا لم يظلموا ظلموا

اذا اقاموا افراح لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب والكرب وربما وقع فيها البطح والضرب وشاهدنا كثيرا من افراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم وستاتي كيفية افراحهم واعراسهم وعدم ذوقهم مع جلاسهم واما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والقحوف والجلوس على المساطب ونفش اللحى والشوارب وان حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار والكشك الحامض بالفول او نوع من المدمس والبقول ولو مكث الشخص منهم مدة فى مصر ودمياط لم يكتسب من اللطافة قيراط وبعض اكابرهم المشار اليه والمعول فى الامور عليه اذا طلع مصر لمقابلة الامير او قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشى حافى بلا مركوب وامورهم ليس لها انضباط واحوالهم شياط وعياط وورده عند الاسحار التفكر فى الغنم والابقار وتسبيحهم فى الظلام هات النبوت والحزام وحط العلف وهات الكلف قال الشاعر فى المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا ... ان المذلة فى القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف ... علق لثورك جاءك الحراث

لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عوراتهم عند الاستنجاء على الفساقي مكشوفة وثيابهم بالنجاسة محفوفة يجتمعون لحساب المال في المساجد وليس فيهم راكع ولا ساجد ولادهم دائما عريانين وتراهم فى صورة المجانين الرحمة فيهم قليلة والرأفة متروكة ذليلة كما انه يكتب لطرد النمل لامرا ارحل أيها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى ومن وصايا الامام مالك الامام الشافعي رضى الله عنهما لا تسكن القري فيضيع علمك وجاهك وقال سيدى عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فان المقت اذا نزل فى بلاد الريف طوفانا يكون فى المدن كخلخال الرجل قلت واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت قبرفالساكن فى الريف معدوم اللذات لانه دائما فى انقباض وطرد وجرى وكر وفر وحبس وضرب ولعن وسب وهوان وشجار وشيل تراب وحفر آبار وخروج للمونة على جهة السخره وتعب شديد بلا أجره واذا كان ذو فضل ضاع فضله أو ذو عقل ذهب عقله أو ذو مال أغروا عليه الحكام أو ذو تجارة نهبوه في الظلام فالحق عندهم مضاع والباطل عندهم مذاع وحكم الله ليس له اندفاع * ولنذكر طرفا يسيرا من اسمائهم وما يكنون به فنقول (اما أسماؤهم) فانها كاسماء العفاريت أو رقع الشلاتيت فيسمو جنيجل وجليجل وعفر ودعموم وزعيط ومعيط وقسيط وشلاطه ولهاطه

وشقليط ومقليط وصفار وبهوار وجعار وعمران وشموان وسمنوت وبرغوت والعفش والنبش وكسر وقفندر وجنين وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمد بن كسرها أيضا وغير ذلك من الاسماء وان كانت لا تعلل فان اسماءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسموا بالفال كما اتفق أن رجلا ولد له غلام فسمع رجلا آخر يقول يا أعمش العين فقال نسميه عموش فسمى بذلك واتفق أن رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول لاخر هات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة أو نخلة أو نملة أو قملة وقال بعضهم في هذا المعنى

ووزن زبلة لديهم عجله * ونمله ورمله ونخله

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم أن زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لاخر دم الحس قفاك فسماه بذلك ثم ولد له ولد ثان فسمع رجلا يقول لاخر شاربك فى الخرا فسماه بذلك ثم ان دم الحس قفاك كبروا نتشى وكذلك شاربك فى الخرا بلغ من العمر عشرين سنه فأرسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق في يوم من الايام أن دم الحس قفاك قال لاخيه شاربك فى الخرا اقصد نا يا أخى الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شاربك في الخرا مليح السمع والطاعة فتوجه دم الحس قفاك هو وأخوه شاربك فى الخرا الى ان اشرفا على بحر النيل ونزل فيه وكان دم الحس قفاك ماهر في العوم وأخوه شاربك فى الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك أخاه شاربك في الخرا فتضايق شاربك في الخرا واشتد به الامر وأشرف على الغرق فالتفت اليه دم الحس قفاك فرأى شاربك فى الخرا في شدة عظيمة فاقبل عليه ووضع يده تحت ابطه واسنده على ظهره ولم يزل يتلاطف به حتى أوصله الى البر فلولا أن دم الحس قفاك سبق والا كان شاربك فى الخرا غرق (ومر) رجل فرأى والدا يضرب أباه ويسخر به ويسبه فقال يا غلام ان لابيك عليك حقا أن لا تنهره ولا تؤذيه وأن تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدى وأنا لاخر عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له أن يحسن اسمى ويعلمنى القرآن وأن يرشدنى الى أحسن الصنائع وهذا سمانى دبوس وعلمنى لسان المجوس وصيرنى بين الناس حلبوس أفلا أضر به وأسخر وأسبه فقال له بل صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له ما اسمك فقال تنور قال وأمك شرارة قال وأبوك قال لهب قال وفي أى واد أنت قال وادى النار فقال له رضى الله تعالى عنه اذهب الى واديك فان أهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضي الله تعالى عنه (والاسماء) تدل على لطافة المسمى أو على كثافته وفى كلام أهل العلم والتاديب كل احد له من اسمه نصيب

(واما كناهم) فابو شعره وأبو معره وأبو عفره وأبو دعموم وأبو شادوف وأبو جاروف وأبو مشكاح وأبو رماح وأبو بطاح وأبو بقر وأبو مطر وأبو هودج وأبو خرق النورج وأبو ضلام وأبو شقوير وأبو قشقوش وأبو قسم وابو جريده وأبو طعيمه وأبو طعيمه وأبو بليلة وأبو زغلول وابو سيسي وأبو جاهل وأبو قصاله وابو زباله وأبو عبوص وأبو عوص وأبو لبده وأبو نسكه وأبو غده وأبو زعيط وابو معيط وأبو بريطع وأبو زعبزع وأبو تعيتع وابو شعيشع وابو صابر وأبو خنافر وأبو هبول وابو هوير وابو طرطر وابو عوكل وابو حوقل وابو عسقول وأبو ذبابه وأبو زغابه وأبو طريف وابو قدح وابو عريش وابو كريش وأبو فتيشه وأبو دشيشه وابو قزق وابو قلوط وابو جحلاط وابو جيص وابو كانون وابو مقلد وابو جعباظ (ويلقبون) عمران القليط وعمير القرط وقميرى وفنديسه وشحيبر وبعيبر وعنطوز الباب وشلاطة حلاب ومجد القلاب وكسبر التقلية وبربور الهبلة ولهاط الزبلة ومشالى الجلة ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظة هاه وهيه وايش مالك واى مالك وايها مما هو مشهور بينهم (وأما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون زعره وبعره وهيطله وميكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودعيكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره وعباره وشلبايه وعطايه وعليوه وحليوه وهديه وبليه ولبده وغده وشمه وبله وبلمه وسروه وبروه وفيوه وخربوه (ويكنون) بام جعيص وام معيص وام رميح وام عرام وام زوام وام صقيره وام صقيرد وام شواهى وام دواهى (ويلقبون) بخلايه وكرسايه وغاسوله وفاره وفرفار وغاره وغايره (فهذه) اسماء والقاب وجودها كالعدم وانما هي الفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها ياداهيه ياداهيه تقول له تجيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها ياداهيه ياداهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى اتعشى فقالت له ابنك يبخرى كل انت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعة قالت له تجيلك يا أبو عنطوز (وأما أولادهم فانهم مثل أولاد الهنود وأولاد القرود دائما في شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس غارق في الجلة والساس ونومه في المدود وثمربه من المترد واكله من الحله ولعبه حول العجله يشخ ويخره في ثيابه دائما في سخامه وهبابه عمره في الدناسه وأمه في نجاسه واذا درج في الحاره لا يعرف غير الطبله والزماره والطرد وراالثور والفحل وسخامه في الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائما في تنغيص خالى من التنظيف وكلهم قحوف من قحوف الريف (وأما نساءهم عند الجماع فانهن في حكم الضباع يدخلن الافران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم روائح الدمس

حتى يصيروا في قلس ثم ينضجعوا على شيء من القش وما تيسر من القصل والعفش بعد أكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهي تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روائح الجله والطين وتعطيه رجليها وينظر الى عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول أحيه جتك داهيه أحيه جتك مصيبه أحيه جتك غاره فغنجها بليه وجماعها رزيه وربما جامع الشخص منهم زوجته في مدود الحماره او في الغيط جنب العباره وقد تمكس المرأة منهن الجمعه لا تغسل من الجنابة لمه وكذلك الرجل بتحقيق في أعظم الدناسة وعدم التوفيق (وأما اعراسهم) فانها مثل قيام الغارات أو تعفير الكلاب في الحارات يدوروا بالعريس دورة وهم في غارة وغوره وعياط وصراخات ودواهي وبليات وزعيق وعفره وصياح وغبره والكلاب تنبح والشعرا تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا في هزل صاروا في الجد وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والكمد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوزه ويجلسوا على نخ أو حصير أو برش من ابراش البيرو يأتوا له بالعروس كانها فحل جاموس منقشة بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزعاريط تصيح والجدعان تمشي بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوف النظره وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه الفعله مثله بين الملا وهذا من اقبح افعالهم وأنحس أحوالهم اذ لا يجوز هذا في الشرع ولا يقول به أصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شيء عال ويأتي اليها الطبال وينشدوها الاشعار مما هو مناسب لها بالاعتبار شعر

ياعروسه يا أم غالى * انجلى ولا تبالى انجلي ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى وجهكي بالنقش شبه * وجه ضبعه في الرمال * لك مسخة شعر يربط * فوق راسك لا محاله تشبهي به أم مجبر * دائرة وسط التلال ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالي وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى واشخرى له واغنجي له * بالدواهي والهبالة تصلحي له ياعروسه * ثم امرك بالكمال

(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس وينادى بينهم رجل فلفوس بيده شلعة من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى في أمانه تويا نساء يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرمي نصف أو نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه التيوس وينادوا قمح والاشعير والاسمسم مقشور غز برفان كانت مليحه قالوا قمح زريع أو سمسم مقشور وان كانت قبيحة قالوا شعير نبت فوق الجسور ثم انهم يدخلوهما الى الفرن

او البيت و يسرجوا لهم بشيء من عكار الزيت ويفرشوا لهم شيء من التبن او القصل و يضعوا لهم وسائد محشوة من قشر البصل و يغلقوا عليهم الباب و يدقوا لهم بالحجارة علي الاعتاب فان أخذ وجهها هنوه و الا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرفت البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكة و فرحهم مصيبة وولبمتهم الكشك و الفول و نوع من البقول والارز بالعسل بشبه الطين والارز باللبن يشبه طعام المحانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكش حيث قال في القصيد شعر

و يوم عملنا العرس يا ما رقصنا * و يا ما حرقنا قش جو المساطح * نصفها بالسنط من فوق قتنا وكان انهدم يا ماقش نافضيح * وأخرجتها للضوء برالزريبه * بقاشي يقول مشعروشي يقول قامح * وصبحت تهنينا أكابر بلدنا * علينا تفال العيش مسبول سايح

هداديبه تخبط على ثقل ركبتي * واما بلا ليده قليل الملايح

وجاس بجنبي ابن كل خرا * وابن الغفير وانا أروح روايح

أي جلس بجانبه مشائخ الكفروهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان الاعادة في ذكرهم ليس فيها افادة فتمد أفردت عرسهم بمؤلف فراجعه ثم انهم عند الصباحية يجتمعوا المشاة في الظهرية ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومة لا قدر لها ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرحوا في طولها و العرض و يقولوا احكمنا عليك يا فلان قوم هات العيش والمش ورطل دخان ويا كلوا و ينطوا و يشيلوا و يحطوا و ياتوا بحجارة الدخان مثل ارباع الكيل ويصيروا في عياط و شياط الى الليل ويسموا هذا اليوم يوم الهرو به وأمورهم كلها مقلوبه و بعد ثلاثة ايام يخرجوا العروسه بلمامها ويكشفوا وجهها ثاني مرة و يجعلوها للناس شهرة ويأخذوا النقوط من الناس واحوالهم في انعكاس (ذكروفا ئيهم) حكي ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث و على راسه لبده مشرمطه ولابس خلقه متقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسة وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا و شدة البرد وهو في حالة مكربة فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا من فلاحين الريف ينشا الشخص منهم على التعب والنصب والهم و الغم والطرد والجزى وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة و الصلاة فيصير في هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا اخذناه وعلمناه القران وشغلناه بالعلم والبسناه ملابس النعم يتغير طبعه و يرق قلبه و تخف ذاته وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال الوزير

ايها الملك اما سمعت قول الشاعر

لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر في ضرعه
من كان من جمزة أصله * لا ينبت التفاح من فرعه

وقال اخر الطبع والروح في جسم لقد خلقا * لا ينفذا الطبع حتى تنفذ الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه وحكي ان رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغيرا فرحمه واخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدى يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابى ورأى ما فعل انشد يقول غذيت بدرها ونشات فينا * فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكي ان جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجات الى اعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لا تتعرضوا لضيفي فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون أبدا ولا أسلمه لكم ابدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوما ليغتسل فلما ابصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف مع غير اهله * يجازى كما جوزى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت بقربه * من الدر ألبان اللقاح الدواسر
واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها واظافر
فقل لذى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام على رضي الله تعالى عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالى الامور فاذا نالوها اعتنوا بمذلة الاشراف وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف قحوف كانهم خلقوا من صخر كما قيل ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه هل في الانام رأيتم * قحفا رقيق الحاشيه فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الارذال خصوصا دنيء الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) أن امرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهى متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دنيء الاصل تعلم العلم فدبرها ان تدعى أنها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله وتختفي الى ان تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم

الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وأنها تابت ورجعت الى دين الاسلام وأخذ على ذلك منها شيئا ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضى الله عنه فمن منح الجهال الى آخره (وكذلك) يا ملك الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دنيء الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابي ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عني فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فاكل حتى شبع واذا محتسب المدينة مار ينادى على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية أن ينضجوها ولا يبيعوها طريه فقام هذا الرجل الكثيف الرزل وأخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال المحتسب نصرك الله على هذا الرجل بياع الزلابيه انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل ردىء الحال والفعال وقال ما ذنبي معك وأنا شفقت عليك وأطعمتك حتى شبعت صدقة عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال له وأبوك قال فلان قال وأمك قال مرجانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا ألومك أبدا جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الى سبيله وفي هذه الحكاية يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لا بد من أخذه وتعليمه ولا اركن الى ما تقولونه فقال الوزير افعل ما بدا لك فاخذ الفلاح وانعم عليه والبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين قال فتذكر الملك ما قال الوزير في الفلاح ونصحه الملك في عدم أخذه وتعليمه فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الان على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني أنه صار لك قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادي ان اضمر على شيء وتبينه لي فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه وأطبق عليه يده وأتى اليه وقال له انظر ما في يدي قال فاقام الاشكال وقال في يدك شيء مدور قال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل) التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر أحوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار الشد أقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وامامهم شيخ كبير قد طعن في السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو

امام القوم قام اليه واكرمه واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال فى نفسه لعله من اهل الصلاح لان ما فى هذه القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وان يجتهدوا ويفيقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدى الامير وقال له انى اريد ان انصحك ايها الامير وارشدك الى شىء تفعله فان انت فعلته فاقوا لانفسهم وسددوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ فان ما فيهم من هو اكبر منك سنا واعلى قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم دا الجامع اللى فى وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة اللى يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسددوا المال ولوانى طاوعتهم يا امير وصرت كل يوم ادخل دا الجامع كان انكسر على مال السلطان وما نفعنى طول عمرى ما اعرف دى الصلاة اللى يقول عليها الناس ولا دخلت الجامع ابدا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له انت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق فى رقبته الاوطية واركبه حمارا معكوسا ونادى عليه حوالى البلد بعد ان ضربه ضربا موجعا واخرجه من القرية على اسوأ حال (ومما يحكي) ان ابا نواس جلس يوما هو والخليفة هرون الرشيد في محل المداعبة والملاطفة فاحضر بين يدى ابي نواس صحن من الخشتنانك المحشو بالسكر وصار يا كل هو والخليفة فقال الخليفة يا ابا نواس هل يمكن ان احدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون واضرابهم فانهم أناس نشؤا في اكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من الماكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بد ان تحضر لى رجلا منهم في هذه الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشى فى شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكى سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد ان يتحزم عليها بان ايره وانكشفت عورته واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لبدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة يا كل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو فى حيرة لا يدرى اين يذهب ويا كل وهو ينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه ابو نواس في هذه الحالة عرف انه قحف من قحوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير في نفسه ولم يعرف كلاما ولا سلاما بل ظن انه يريد ان ياخذ الرغيف منه فحطه في عبه وقال له يا جندي انا ما معى شىء تا كله غير هذا الرغيف وانا ان اعطيته لك قتلني الجوع وانا عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر فيه جنادى كثير مثلك ودورمثل دورنا وخايف من الجنادى لا يقطعوا راسى فقال ابو نواس فى نفسه الحمد لله الذى اوقعنى فى هذا فهو المطلوب الذى لم يعرف الكفر من

المدينة ثم انه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تفزع فما لى حاجة برغيفك ولا انا جيعان
وانا مرادى اغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندى وانا الآخر لما تغدينى وتبيض
وجهى ازورك باربع بيضات وان فقست وزتنا اجيب لك وزه خضرا واجعلك صاحبى
ولا تخلى احد يقطع راسى لانى خايف اروح الكفر بلا راس قال فضحك عليه ابو نواس
وقال له امض معى فى هذه الساعة اغديك واصافيك قال فسار معه وهو لا يدرى اين
يذهب حتى اقبل على ديوان امير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما راى الديوان وكثرة
العسكر بهت وحار فى امره واندهش وقال الله وكبر القيامه قامت ودا المحشر لا كلام ثم انه
اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف ولا تخش من شىء وضمالك على فقال
له يا جندى اخاف العرض على ربى من الحساب ليحاسبنى على ضرب البهايم ونيك الحمير فى
الغيط لانى ما خليت حماره فى الغيط بلا نيك من خوف لا أهجم على نسوان الكفر عسكنى
المشد يقطع راسى وباسمع الناس وهم يقولوا كل من نكح دابة يجى يوم القيامة وهو حاملها
وانا نكحت دواب كتير حتى الكلاب والقطط لا اقدر احملهم فى هذا اليوم وانت تشفع
لى عند ربى يسامحنى فى هذا اليوم مما فعلت فقال له ابو نواس لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما
هو ديوان الخليفة هرون الرشيد السلطان فقال له يا جندى انا ما رايت مثل هذا المحل ابدا
ولكن ما يكون الخليفة قال له هو السلطان الذي يقبض المال من بلاد الارياف والكفور
فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع
راس واراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سال عن القضية فاخبروه بها فضحك وارسل
يطلبه قال فاخذه ابو نواس واقبل به على الخليفة وهو فى دهشة وحيرة مما رآه من كثرة الجند
والعسكر حتى وقف بين يدى الخليفة فقال انا فى حيرتك يا رسول الله يا ابو زعبل يا ابو عنطوز
بالله يا مشايخ الكفر خاصمونى قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه
وروعه ثم انه نظر فرأى الخليفة جالسا على الكرسى وعلى راسه التاج الكسروى فقال له انا
فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من اى البلاد انت
فقال له انا من كفر ابو زعبل وانا شيخ الكفر وعندى بيت ملان تبن وبصل وعندى عنز
ومركوب احمر وحياة راس السامعين وعندي فرختين وديك وشونتين عضم وقحف
طويل مثل قحفك دا يا خطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من أحضرك عندي قال دا
الجندى صبيك لا جزاه الله خيرا وكان مراده ياكل رغيفى دا ثم انه اخرج الرغيف من عبه
واراه للخليفة فقال له الخليفة انت جيعان فقال يا خطيب صبيك اوعدنى بالغدوة فقال له
الخليفة ما تشتهى قال العدس والبيسار هات لى عدس ومترد بيسار ورغيفين دره وانا
اخلى ام خطيطة تدعى لك فقال له الخليفة اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه بحضرة

الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفا عليه أن يقع من وراء ظهره فامر الخليفة ان يقدموا له الصحن الذى فيه الخشتنانك فقدموه اليه فلما رأى الصحن قال يا خطيب المسلمين اعطنى من دا المتردكوره العب بها فى الكفر اناوابو دعموم واولاد الكفر فضحك عليه الخليفة وقال له كل منهم كورة فقال يا خطيب المسلمين الكوره تتاكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فاخذ العلاج واحدة ووضعها فى فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها فى جوفه صار ياكل اربع حبات سوا ويعجنها فى يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو فى حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح مايكون هذا الذى تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين طول عمرى آكل العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ماراً يت مثل دا ابدا الا انى سمعت ام معيكه جدتي تقول نعيم الدنيا الحمام والله اعلم ان داهو الحمام اللى يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك يا فلاح كل واشبع فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر أزورك بحمل له وحلاب لبن من بقرتنا الحمراء وخمس بيضات وانت الآخر ماتحرمني من نعيم الدنيا دالما احضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وانعم عليه واذن له بالانصراف ومضى الى سبيله (وافى) بعض اهل الارياف صديقاله وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دى بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بداهيه كبيره فقال له تلفك وتلف وليداتك فى الشتاء (وجلس) بعض اهل الارياف بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكي وقال يا بويه عجل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضى ديك والعام داديك احنا يا ولدى اصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصاركا نه مات له ميت (وولدت لشخص منهم حمارة) فلقيه صديق له فقال له حمارتك ولدت فقال له وسبعت فقال له ما جاب الله فقال له جحيش كيفك سواء بسواء فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحياه (وعطس) رجل منهم ايضا فقال له فقيه من اهل الريف يرحمك اللى عطسك ولو شاء لفطسك واخرج العطسه من قيرة الفير اللي خلفك فقال له الفلاح يافقى لاعدت تنسانا من دى السورة تقراها علينا فى المسا والصباح واعطيك ايام المقات اربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكه وتهديها لابوزعبل فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (وجلس) جماعة من اهل الارياف يتحادثون فى احوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل منهم يقال له ابوعفره وسحب رداده واتكا على عصاه ثم ضرب بها الارض وقال لهم يا شيوخ الكفر زمن الفرح اللى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير ولاعاد يجى زمان مثل زماننا اللى كنا فيه وماحصل ايام الاعياد والمواسم فقالوا الله

عليك يا بوعفره احكى لنا على زمن الفرح اللى شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله وكبرأنا وأبو
معيكه وأبودعموم وكان معي ابنى فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجرى مثل الكلاب السعرانه
وانا نافش وعلى رداء من محرالكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع وجبة صوف خدتها
بخمسة جددا الدراع ولبده خدتها بعثماني وأنا مزوق على العيد كيف عنز الضحية وتحزمت
بسير سكين خدتهم من سوق هربيط باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسي شد مشنير
خدته من سوق بيشله بنصين فلوس جدد ونبوت كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب
احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر كانت سرقته ام زعبل من واحد حضري دخل دارنا
اللى على البركه بالاماره يشتري بيض ورحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على الطريق
اللى تطلع على الكفر بتاع أبو عنطوز نمشي عليها كيف كلاب الغنم لقينا واحد دبح جدى
بالتخمين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابي على راس صاحبه وهو عمال يسلخ فيه فقال
لي ما تطلب يا شيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس الدقماق وحياة ام
زعبل ان كنت ما تكارمني اليوم وتتوصابى والا ما عدت تدبح جدى ولا كلب فقال لى
يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له اطلب السقط اقسمه بيني وبين اصحابي
كل واحد يا خذ تلته فاخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط وحياة لحاكم يا اولاد
كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا شيخ وورد
على الجدعان اليوم اطبخ أغرف وانا معمود فى الكفر والا ما كان اعطاني السقط وقسمناه
احنا التلاته كل واحد خد بجديدين ولكن واحد من شركاتى غار على وخد رجل زايده
وانا سرقت ودن من اودان الجدى وطلبت اسرق سنا من اسنانه اعلقها لابنى عفره على
راسه تمنع عنه النضرة تغلبوا على شركاتي وقالوا لى يا أبو عفره لا تخون الامانة ان جات
الاسنان فى حصتنا خد ما تريد فتركت الامرده وخدت حصتى فى طرف ردايه وكل واحد
من شركاتي خد حصته ولفعت نبوتي على كتفي وبقينا مثل الكلاب السعرانه وانا اعفر
بين الكيمان والكلاب تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حزقنى شخاخى وحياة لحاكم من
خوفى من الكلاب لا يخدوا مني السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ ولما دخلت
الدار شفت ام زعبل حشا العيب قاعده فى جنب مدود الحماره كيف كلبة المشد تعمل الجلة
عليها قميص من قطن مخطط كنت شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد
وفوق رأسها طرحة كبيرة مثل الرداخدتها باربعة انصاص فلوس جدد وسرموج أخضر
واحمر مصبوغ بحنا وبرسيم سايل للخوران وفي رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفي يدها
تبايل نحاس اصفر وفى اودانها حلق طارات فدخلت عليها مشنغر بدقن كيف دقن التيس

وشوارب مطر طره كل من شافهم خري على روحه فقامت ام زعبل و مسحت يديها من
الجلة ولاقتني بالحضن لا تقول الا بقينا ليف الكلاب الجياع و بعد ما لاقشتها ولا قشتني
ولا طعتها ولا طعتني وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان يعني ديك القضيه وأنتم
تعرفوا اني حدق وشاطر وما يطلع من حنكي عيب وما انتم شفتم ايه من الفرح و بعد اودا
فاني اغني البهايم والحرات اتعلمت الغنا من ابويه وجدي و أنا صحيح قوي فقلت يا ام زعبل
ربنا يخلي لي شلشولك وقامتك أنا با نظر حلقك بيشتم الناس وهو مايل على اودانك وأنا رايح
اغني عليه فقالت لي يا بوزعبل وحياة شاربك اللي كيف شارب الكلب الا تغني لان اوحشنا
غناك وقصايدك ومن ادنا تسمعنا قصيد تك اللي تقولها في الحلق فنشدت لها قصيد و من
صلى على النبي يستفيد ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
نبيع الورد في الصبحه * قميصك زين الطرحه عسى الله أنظرك لحه * تجمع عندنا الجلات
ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ألا يا بو قيص هر بيط * عسى الله انضرك في الغيط واديلك قدح مخيط
* واديلك شمال كرات ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وأعطى لك شمال خبزا * واعطى لك قدح جميز واجعل لك على ممز *
فدايره ندخن في الصبحات ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
أنا حبك كا العمله * ويازينك حدا الجله تعالى الغيط بلا مهله * وتتفرج على العجلات
ألا يا بوحلق طارات تبيع الورد بارطالات
تعا عندي وكل جعضيض . وجيب لك يا مليح حميض . وأقلي لك كما بيض
بزيت حار من حدا الزيات . ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
أنا اخشى ان اقل تعال * تعاوني على دي الحال * تعالى امشي وضال عمال
أروح بك دارنا ونبات . ألا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ودمس لك أنا القيه * وجيب لك فول من القضبه * وكل واشرب كمان شربه
تخليك تشبه العنزات * ألا يا بوحلق طارات . تبيع الورد بارطالات
وجيب لك عدس مع بيسار . وكسرة عيش مع فول حار . وجيب لك ممرجة زيت حار
تنور لك كما القمرات . ألا يا بوحلق طارات . تبيع الورد بارطالات
وحطك جنب مدودنا . والا جنب جلتنا . وورديك بوز بقرتنا
وحى نفرش من المصلات . ألا يا بوحلق طارات . تبيع الورد بارطالات
وان شا الله اروح طلخه . وجيب لك يا مليح فرخه . وفي الدار ان ترى الشحه
عليها صب من بولات . ألا يا بوحلق طارات . تبيع الورد بارطالات

وخليك كيف أبوبر . وتتمطقش وتتمسخر وتتشقلب وتتغندر . و تبقى كما الكلبات
ألا يا بو حلق طارات . تبيع الورد بار طالات
وتعطيه لي وتتبكه . وحطوفيك واتكه وانا ابو عفرا بودكه . ابيع المش في الحارات
ألا يا بو حلق طارات . تبيع الورد بار طالات
وناشاعر وشيخ الكفر . نشدت قصيد كيف الزمر . وقوي وارقصي بالعفر
ودا يوم عيد وله طنات . ألا يا بو حلق طارات . تبيع الورد بار طالات
وحط اللحم والفشه . على الكانون والكرشه وتتغدا وتتعشه . ونعزم دارا بوكرات
ألا يا بو حلق طارات . تبيع الورد بار طالات
ونختم قولنا الاباس . نصلي على النبي ياناس ويشفع لي وجمع الناس . وينقذنا من الهلكات
ألا يا بو حلق طارات . تبيع الورد بار طالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هي وابنها عفرد واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحى من على رأسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم اول وثاني وقالوا غدا يسمع بك نصراني البلد ويقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك يا عرص تقول له ياسيدى وان شا الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطاني شيء أنعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لي يا بو عفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك ما بقى معي فلوس وانا قتلان فقالت لي من خلى شي لعقب الزمان ينفعه أنا خليت في الصومعه اربع بيضات خذهم ولا تقل لحد فان الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم يا ابو عفره في نعمه كبيره هات لنا ببيضه مرسين وببيضه محلب وببيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر نزعفر به ثياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شويت زيت حار ادهن بها شعر راسي وتدهن بيقيتها دقنك وشواربك وتنط بين الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين فخدت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا في كرش الجدى شويه فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفرا كه حتى بقى متل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقي متل طعام المشد وجوني الشباب والجدعان يغنوا حولي ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمرد بينهم وكان يوم ما عاد يجي متله فقالوا الله اصحابه زمانك يا ابو عفره ولي وراح وماتت الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يوردلاستاذه المال فانزله في محل فيه طاقة مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح في نفسه ياترى يا بو معيكه الاماره لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انضر كيف ما يفعل استاذك

مع امراته ولما تروح الكفرا احكي لام معيكة تعمل داك العمله متل ما تعمل الاماره و تحضنك
ام معيكة بداك العمله ولا بد ما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركى وانت تنضر طريقة
ما يعملوا بحريتهم وتبقى تقول للجدعان أنا بقيت متل الاماره و تبقي ام معيكة متل امراة
الامير استاد البلد ثم انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فعام الفلاح ونظر الى الطاقة
قال فريت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللى يقولوا عليه النامس وعليه الفرش
يلمع وجلست زوجته على سرير متله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام اللين ما يعرف
يقولوا ايه شردم بردم بالتركى ومره بالعربي الى ان اشتهي منها اقضاء الحاجه خدمن جنبه
ورده ورماها بها فجت له بحسنها وبجمالها على احسن حال وأنم سرور وعملوا داك العمله
وبعدها كل واحد منهم نام على سرير ثم لما اصبح الصباح اخذ الفلاح خاطر استاده وتوجه
الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكة ومعها زلعه ملانه ماء من البحيرة فسلمت
عليه وجلست هى واياه فى منادمة متل منادمة القرود او بربرة الهنود الى ان سالته عن المدينة
وعن استاد البلد فقال يا ام معيكة المدينة مليحه ولا صعب غير الشخاخ فيها لانهم لا يشخوا
الا فى نقره وهى مبنية كيف دارنا ولا مليح كالي الامراة استادنا تشن و ترن وعليها خلقان
ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم احمر واصفر وعلى راسها قحف متل قحفى اللى ألبده
في ايام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفى ايديها اساور صفر الله اعلم انهم من
سباط النخل ولابسه قميص احمر مخيط متل الزكيبه اللى نعبي فيها الفول الاخضر وفى سيقانها
حجل كيف حجل ام دعموم اللى شريته لها بنصفين فلوس جدد ولابسه شايه خضره الله
اعلم انها صبغتها برسيم ويا حسنها وقت داك العمله اللى يعملوها الرجل مع النسوان
نخاطري يا ام معيكة تعملي لى متلها حتى يقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا ابو معيكة متل
الاماره فقالت له يا ابو معيكة احكي على شفته من امراة استادك فقال لها لما رحت المدينه
وطلعت للاستاد خطني فى مطرح فيه طاقه تطل على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه
الامير فصبرت لما دخل الليل وبقيت أخنس كيف الكلب فريت الامير استادنا قعد على
خشبه سوده مربطه بشرامط بعضها أربع رجلين كيف عريش المقات اللي نعمله ايام
البطيخ فى الغيط وقعدت امراته على خشبه كيفها متل جرافة الغيط وبقا يكلمها بكلام
الجنادى يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها داك العمله فخدفها
بنواره حمره متل نوار ابو النوم فقامت تشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله
فقالت له ام معيكة وحياة شاربك اللي متل شارب التيس لاعمل لك متل عمل الاماره
وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجي الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى دخل الليل
فقال لها اقعدي في مدود الحماره وانا اقعد فى مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت فى

المدود وعليها الشلاتيت والشراميط وآثار الجله فيها وفيها الشخاخ أيضا قال فلما خطر للتعيس الناصيه قضاء الحاجه بعد ان صار ينادمها بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وسؤالات عن البقره وعن العجله والتور والجله وغير ذلك أراد ان يرميها بشيء مثل ما فعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب طوب محروق فخده ووحدفها به فوقع في وسط راسها ففلقها وسال الدم فصرخت باعلى صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر فاقبل هو وطائفته وسال عن القضية فاخبروه بها فاخذه وضربه ضربا موجعا وأحضروا للمرأة جراحيا فقطب رأسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى ان برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات في البلد (واتفق) ثلاثة انفار من قحوقة الريف ارادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأي فيهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يتطوا الروس واحنا فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركي والا قطعوا روسنا فقالوا له اصحابه يا بو دعموم احنا ما نعرف شيء بالتركي ولا غيره فقال لهم انا تعلمت التركي زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشدو النصراني ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا التركي فقال لهم اذا طلعنا المدينة نروح الحمام اللي يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه يشخوا ويخروا فيها وبعدما نخرج من نعيم الدنيا نقف ونلتف في بردنا وتم امرنا اقول لكم قرداش محمد قولوا اهاه نوار اقول لكم معا كم شي برمنقار قولوا يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب يتطوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقي في مصر مثل الاماره ويشيع خبرنا عند الكفر انا اماره نرطن بالتركي فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام ابدا فقالوا له اصحابه دي شوره صواب يا بو دعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر وسالوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابط ورموا البردو الشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما نزلوا في البرك والابيار فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان ياخدوا بردهم ليستروا بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم وصارت عوراتهم في الغالب مكشوفه وايورهم مدليه ودخلوا الحمام مثل دخول الجاموس أو المعز أو التيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام وغطسوا في المغاطس مثل النيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم في حالة الاثوار وصور الابقار حتي لبسوا الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وارادوا الخروج بلا خلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجره يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش

محمد فقالوا ده نوار فقال لهم معاكم شي برمنقار يعني جديد فقالوا يوق يوق يعني ما معناشي فقال لهم صاحب الحمام أي وقت يا نيوس تعلمتم التركي المعكوس وبقيتم أماره وما هذا التركي الذي يشبه الخرا أقسم بالله لايخرج منكم عرص حتى يحط الاجره بزياده قال ثم انه أمر اصحابه بمسكهم وضربهم واخذ البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا في الاجره وقد اقترضوها من أهالي الكفر وخلصوا بردهم وتوجهوا الى سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد ينادي في الاسواق على رجل يستحق القتل فظن أنه ينادي العونة يا فلاحين ففر هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينه فقال لهم لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونة والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونه والسخره فانظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم (وطلع رجل منهم) قرية على شاطىء النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة فاعتقد انهم ذاهبون الى ضيافة أو الى هروبة صنعها لهم أمير البلد فذهب الناس الى أن دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس في بعض الصفوف الى أن أقبل الخطيب وصعد على المنبر فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف ومتحير الى ان فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة وسمع ضجيجهم بالتكبير والتهليل فاعتقد انها هرجة وقعت بينهم قال فصاح سعد يا لحرام الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خدوك القوم يا أبو كتكوت ولم يزل في خوف وكرب حتى وصل الى الكفر فلاقاه أصحابه وسلموا عليه فرأوا أحواله متغيره فقالوا له ايش أصابك ودهاك يا أبو كتكوت فقال لهم يا ما قسيت في دي السفره كانوا القوم مرادهم يا خدوني ولولا اني سحبت النبوت وخرجت هاربا والا كانوا اقتلوني فقالوا له ايش الخبر يا أبو كتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمني الله وبركة الشيخ أبو طبل فقالوا له احكي لنا على ماجري لك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرأيت ناس كتير رايحين زي قطايع الغنم فقلت لا بد ماهم رايحين لضيافه أو هروبه ففرحت معاهم حتى دخلت دار كبيره فيها حجار طوال منقامه زي الدعايم بتوع العريشة اللي نعملها في الغيط وعليها قناطر مبنية زي قناطر الصابون وفيها حبال مدلية زي حبال التيران في كل قنطره حبل وفي جنب حط من حيطان الدار خشبة عالية لها سلالم زي سلالم الغرفه اللي نعملها على البيوت من الكرس والطين ونلطخها بالوحل من أولها لآخرها والخشبة دي لها راس كبير زي الناطور اللي نعمله في المقات وقصادها عريشة صومعة زي العريشه اللي نحرص عليها الدره والحمص في الغيط ولها سلالم فطلع فوقها جماعة وقعدوا فيها ساعة وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه وقال كلام ما حد يعرفه الا واحد خرج من حاصل في جنب الدار عليه عمامه كبيره والله أعلم انه قاضي ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم بقلب قوي ووجه كاشر زي وجه تيس

الوسية وماضا طالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاخرانى وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق رأسه ونضر للناس اللي تحته وبهت فيهم وكشر على أنيابه وهوساكت غضبان كل من شاف شوار به شخ على روحه وحياة الحاكم ولاعمرى شفت أقوى قلب منه ولا أشد حيل ولولا أنه راس صابيه ما كان عمل دي العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم وبعد واحد من الجماعة اللى على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كتير فالحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهوساحب السيف يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله اكبر وقامت العيطه وكنت اسحب نبوتى وخرجت هارب وماسلمنى الا الله وبركة الشيخ أبوطبل فقالوا له أهل الكفر والله ياأبوكتكوت لولا عمرك طويل ماسلمت من القوم وكانوا قتلوك وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم ياشيوخ الكفر ماعدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل هذا الفلاح ومن جهله وصقاعه ذقنه لايدرى الصلاة ولا الجامع من قيام الهرجة (واتفق) لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن في أزقة المدينه فلقين رجلا قحوف الريف وهو في حالة رذيلة وعلى راسه قفص ملآن من الفراخ يريد أن يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان فقالت احداهن للاخرى ماتقولي فى اللي ياخذ الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانية وأنا آخذ ثيابه وقالت الثالثه كل ده ماهو شطاره الشطاره في اللي تبيعه يبع العبيد أوالمقداف أوالجرافه (قال ثم ان الاولى) التى التزمت باخذ فراخه أقبلت اليه ورغبته بزيادة في الثمن قال فمضى معها الى أن أقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثان من جهة أخرى وقالت له اقعد هنا على الباب فانه باب بيتى واصبر حتى اجى لك بالفلوس ثم اخذت منه القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثاني ولم يزل الفلاح جالسا على الباب ولم ياته أحد ورأى الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لابد ان دى دار كبيره وسأل عن المرأة التى اخذت منه الفراخ فقال له الناس ياسقيع الذقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجال ونسوان داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى دربا كبيرا نافذا من الباب الثاني فاحتار وصاح ولطم على وجهه وأقام الصراخ فبيما هو على هذه الحالة (اذ أقبلت عليه المرأة الثانيه) وقالت له ايش صابك ودهاك يامسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دى العاهرة وخدت منك الفراخ وتركتك في دى الحاله فقال لها الفلاح وحياة عيونك يامليحه مامعى غيرهم فقالت له امشي معاى الى بيتنا وأنا أعطيك شيء من الدراهم صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وأنا لاخر ما اروح الكفراز وركب بحزمه

لحلاح وحزمه لحلاح وحزمة بصل وشو ية قرله تبقى صاحبتى وان شاء الله اجيب لك
كان عشرين قرص جلة قال فاخذته وسارت الى أن أقبلت الى بيت كبير عالى البنيان
فسألت عن صاحبه فقالوالها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض
المتنزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه أحداً سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها
الى وسط البيت فرأت فيه بئراً من الماء تملا منه الحريم قال فوقفت ونظرت في البير ثم انها
ولولت وصرخت وبكت بكاء شديداً فقال لها الفلاح بتبكي ليه يامليحه فقالت له يافلاح
كعبك مشوم وقعت اساوري الذهب فى البير فقال لها ماتخافيش أنا أنزل وطلعهم لكي من
البير فقالت له تعرف تغطس فى الماء فقال لها دى صنعتي وطول عمرى فى الهم والغم وجصادي
السنه اللى خرى فيها الضعيف والقوي ثم قال لها اربطيني فى حبل البكره ودليني في البير ثم
انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته في البير الى أن وصل الى الماء فارخت الحبل عليه وأخذت
ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها (هذا ما كان منها) واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص
فى الماء ويفتش في قعر البئر حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء ولم ير
شيئاً قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادى المرأة فلم يجبه أحد فبينما هو فى هذا الحالة
اذأ قبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح فى البئر وينادى طلعيني ياصبية طلعيني
يامليحه داماهوش مليح منك وداعيب عليكي وانامت من السقيع والبرد فقال له الخدم
أنت انسى أم جنى فقال لهم أنا ابو زعبل بن جنيجل بن كلب المش فقالوا داعفريت
لا كلام فقال لهم والله ياوجوه الخير ماناعفريت أناراجل فلاح وحكي لهم قصته قال
فدلواله الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا أنه أنسي قالوا داحرامي وقع فى البير فنزلوا
عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو
لا يعرف أين يذهب (قال فاقبلت عليه المرأة الثالثة) وهو في هذا الحالة وقد صارت
الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه بمنديل كانت
معها وسترته بفوطة وقالت له امرك الى الله يامسكين ياحزين ضحكت عليك نسوان
مصر العواهر وخلوك فى دى الحالة وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال
فبكى الفلاح وشكى وقال لها يامليحة وحياة شلشولك خدوا فراخي وثيابي وحزامي
الليف وشدى ومركوبي وماعدت أصدق كلام نسوان أبداً فقالت له لا تظن أني من
عواهر مصر أنا عمرى ماخرجت من بيتي غير النهارده ولما رأيتك في دي الحالة شفقت
عليك ومرادى أعمل معك جميل وآخذك الى بيتى والبسك لبس مليح وخليك شلبي
ظريف واعملك مملوك وحط لك خنجر في حزامك وعلمك التركى وتبقي تقول شندى
جندى على فلاص جعاص فقال لها الفلاح أنا فى عرضك يامليحه تعمليني جندى

وتعلميني التركي وانا على الحلال من ام شحيبر كل من عاد يقول لى كاني ماني في زماني قطعت
راسه ولو كان أبو عوكل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى قال فسار
معها الى أن اقبلت الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فاكل وشرب وارتاح
في نفسه ثم انها أتته بماء ساخن رغسلته بالليف والصابون وألبسته قميص وزبون
وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصة وخنجر في حزامه
وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق واعطته بابوج جديد ومحرمة في حزامه
وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا لح عليك حد في الكلام
بالحماقة وشدد عليك قول له كرته هر يف بوك يمه ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمة دي
أصل التركي اذا عرفتها ما تمضي عليك شهر زمن الا وانت صنجق ويبقى لك طبل وزمر
فقال لها الفلاح أنا في جيرتك يا مليحه تخليني ابقى صنجق ويصير لى سطوه في الكفر وكل
من قال لى كل خره اقطع راسه وابقى ان شا الله يزورك بربع كشك وعشر طور كعك من
اللي تعمله ام شحيبر واعمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل والجله وافرشها بالتبن والقصل
وتبقي تناحي فيها ويبقوا يقولوا الجدعان أبو شحيبر طلع المدينه فلاح ورجع جندى
يقول شندى بندى ويقطع الروس قال ثم انها اخذته ونزلت من منزلها تمشي وهو يمشي
خلفها الى ان اقبلت على سوق خان الخليلي وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب
الدكان تاجر من عمد التجار وعنده أنواع الاقمشة من الخز والديباج والاطلس والشاشات
وغير ذلك فقالت له اريد منك كذا وكذا مما يساوي الف دينار فاحضر لها ما قالت عليه
وربطته في بقجة كانت معها وقالت له يا سيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح
الى بيت الامير واعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهي
على بركة الله تعالى قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها)
واما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تاته المراة فتضايق والتفت الى الفلاح
وهو في هذه الحالة فقال له ستك بطت علينا فهز راسه حكم ما اوصته فكرر عليه التاجر
الكلام فهز راسه اول وثاني ولم يتكلم فتضايق التاجر من الكلام وقال لجيرانه من التجار
ما هذه البلية في هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كانه ما يعرف الا بالتركي قال فبينما التاجر
على هذه الحالة اذا اقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك يا سيدى تكلم لنا هذا
المملوك بالتركي وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركي فهز راسه فاغتاظ منه وسل
عليه السيف واراد ان يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ الفلاح فقال
له كرته هر يف بوك يمه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم
ويصيح بكلام الفلاحين ويقول انا في جيرتك يا بو زعبل فضحك عليه الجندى وبقية

التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه واخذ ما عليه واراد بيعه للمتداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو فى اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينه بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمتداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا اه * وطلع رجل من الاريافه الى المدينة فحصره البول والغائط فسال عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوب الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف وقبض على اطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقره غويطة طويله اخرى انا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضي حاجته على عجل وقام يجرى من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن اعينهم * وطلع رجل آخر من الارياف الى المدينة فادركه الغائط فتحير ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخره كلما اردت ان اشخ قدام دكان يمنعونى الناس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينة ما يخرا فيها احدا الا بفلوس ان كان معك فلوس دليتك على عطفه او نقره تخرا فيها والا تخرا على روحك فقال له وحياة دقنك ما معايا الا نصين فلوس جدد كنت بعت بهم بيض خدهم ودلنى على محل الخره وابقى ازورك بعشرين بيضه وجانب كبر قال فاخذ منه النصفين ودخل به الى جامع واتى به الى بيوت الاخلية واوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقره غويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته فظن فى نفسه ان الشخص في مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فاكدت مع الفلاح وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرجل في بيت الخلاء هو ان زوجته لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو في هذه الحالة اذا اقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتنحنح له اول وثاني وثالث والفلاح يقوله

انا ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضرب به وهو يصيح والجندي يقول له يا انجس الفلاحين ايش قطن قطن قطن وانت فى بيت الخلاء ولم يزل يضرب به حتى اقبل عليه الناس وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال المدينة يا ابو دعموم فقال لهم المدينة مليحه الا انك تاكل فيها بجديد وتجرى فيها بنصين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب ﴿ وطلع آخر المدينة ﴾ فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكا صغيرا مقليا يسميه اهل مصر بساريه له لذة فى الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ماهو ثم قال فى نفسه داشيء عمرك ما اكلته ولا رايته ولابد يا ابو قريطم اظن انها الكنافه اللى يقولوا عليها تطلع فى المدينة ويا كلها الاماره وغدا تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد أنت واياهم على كوم ابوعنطوز تنفش الصوف وتبقى زى الكلاب الكواشر وتبقي بينهم بحمص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا ابوقريطم قل لنا ما اكلت فى المدينة من الطعام اللى يا كلوه الاماره تقول لهم اكلت الكنافه فما يصدقوا قولك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك اخذ لهم عضمتين من عضامها وتحطهم فى قحفك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه حط فى قحفه شيا يسيرا حتى طلع الى الكفر فقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب السعرانة وهم دندوف وشخينة وزعير وتر وفر وقافد ولقالق وزراره ونياك الحماره وسلموا عليه وقالوا له يا ابو قريطم اطلع لنا الكوم وقل لنا على المدينه وما اكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوى وفيها جنادي كثير قوى وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقيلي وخدت من اللى يقولوا عليه الحضر كرشه اللى يبيعوها على الخشبه العاليه العريضه زى الجرافة واكلت وتنعمت واشبرقت حتى خدت مكان وحياة الحاكم بجديد ترمس مملح واكلت فول حار فقالوا له ابو قريطم كثرت عليك مال السلطان وعمايلك دي ما تخلى وزق وانت عمرك تصرف ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر او اقول لكم كاني اكلت الكنافه التي بتاكلها الاماره قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فقلع قحفه من على راسه واوراهم عضم السمك فلما رايه صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا احربي وزغرطت النسوان وقالوا له يا ابوقريطم بقيت زى الاماره وغدا استاذ الكفر يشلش عليك ويقول بقي ابوقريطم سعيد ويا كل ما ناكل الاماره ومتى ما بلغه الخبر شيعك المقداف او الجرافة وانت تكتم السر ولا تقول لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافه ابدا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم فكتمه الخبر تحلفوا الى على الشيخ ابوطبل فحلفو كلهم ان لا حد يبوح بدي القضية فانظر

الى قلة عقولهم وشدة جهلهم وطلع رجل منهم المدينة يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امضي معي الى المنزل خذ الفلوس فمضي معه فحصر الجندى البول فراى فى طريقه كنيف فدخله ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطا عليه فدق عليه باب الكنيف فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطيني حقى يا جندى ما يحل لك من الله تاخذ بيضى وتخليني واقف على باب بيتك كلما كلمك تتنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح وصار عليه ثم خلصوه وفرهاربا * وطلع آخر المدينة يبيع تبن فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان ياتى الى رجل صيرفي لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده فسال عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال للولد بالله دلني عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى منها المقصوص من النحاس لاني راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلوني على بيتك ده قال فاندهش الصيرفي وقام وهو قابض على سراويله ضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره * ومما اتفق ان قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزور قيمها فى عدم الذوق ويفتخر عليه بما هو به حكم ما نلعب ازلاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها فى عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال اريد ان ألعب معك في عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامه فى غداة غدا ان شاء الله تعالى نجمع اصحابنا اعدم عين الذوق ونلعب انا وانت فى عدم الذوق وتبين شطارتك قال فلما اصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته في عدم الذوق وحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد فى عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على أكتافه وشق بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك في ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر بقى شيء عندك من عدم الذوق غير دا تفعله قال لا فقال له دى ما هي شطاره لان الناس استعدموا ذوقك لكونك أذيتهم وشوشت عليهم وانا افعل اعجب من ده وهو اني اخلي الناس يستعدموا ذوقى بالورد والنسرين والريحان واشباهها فقال قيم الشام هذا شيء له ريحه طيبه وزى ما تعمل فقال له بكره تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعال معي وانظر ما اخبرتك عنه البارحه قال فمضوا جميعا حتى اقبلوا على بياع الزهور فاخذ قيم مصر منه شيا

يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى اقبلوا على ميضأة المسجد والناس فى ازدحام وقت الصلاة فى بيوت الاخلية فصار قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس فى بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين والريحان ويقول له خذ يا سيدى شم الورد وغيره يبقى نهارك مبارك واعطينى ماتيسر فيتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا فى خرا والا فى نياز وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك اقر على نفسه قيم الشام انه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق ان ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه المآكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخى اخبرك عما حصل لى فى الطريق وهو انى سافرت مع القافلة فعدمنا الماء فى بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت فى جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابى ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل فى الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقى عندى شىء تأكله وآخر نزولك يا اخى ما فعلت فى البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجر طاحونة فوضعته على كتفى ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يوما وانت نازل فى البئر من غير شىء فكيف طلوعك وانت حامل حجر طاحونة اشهد لك انك قيم الثقلاء فى مصر والشام وانا من تحت يدك انصرف عنى قال فاخذ خاطره وانصرف بعد أن كتب له محضر بذلك أنه قيم مصر والشام فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) أن اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفنى * قلت ايش فيك اصفه
كل ما فيك ثقيل * حل عنى وانصرف

(وقال آخر)

حط فى الشرق رجله * مالت الارض والسما
وثقيل تبسما * أصبح الكون مظلما

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغى الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر

لارحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل
ولو كانت بلادك ألف مصر * ويروى كل مصر ألف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل

وانشد فى فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكي) بعض الفلاحين رجلا الى القاضى وادعي عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فاحضر القاضى الرجل المدعي عليه وساله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش على فقال القاضى للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح اتابيك ياقاضى تور وانت اذا نزلت غيطى باهل ترى اضربك اكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والانرعى غيطى فقال القاضى اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذى تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب) من هذا المعنى ان رجلا فلاحا دخل على الامير حماربن بقر وانشد يقول

يا ابن بقر ما أنت الا تور * والناس حداك عجاجيل

لما تعمل بقرونك هاش * يولوا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اى مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما أن الثور اذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لاءم حاله وناسب جهله وهباله اقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها فى هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت أم زغابه في المعازيل * تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل

وحولها شفت سربه من عجاجيل * وهم ينطوا وهى تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما أن الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من التحنجل وهى لغة ريفية فانهم يقولون فلان بيتحنجل أي يجرى جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام انى رأيت محبوبتي هذه وهى ام زغابة فى معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه أيضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهى الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشىء منجذب اليه (وطلع رجل) منهم المدينة لقضاء حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا له كيف حال المدينة فقال لهم المدينة مليحة فقالوا له يا ابو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابيه اللي يقولوا عليها الحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادى فى المدينة ويقول حلو بارديا تين فخدت منه عشرين جميزة باط بجديد وحطيتهم فى مترد وعفصتهم بيدى وشربت عليهم جرة مويه من البحر فقالوا له هنيالك يا ابو عوكل لكن تضيع وتبعزق ولا تخلى فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضي وجدايد (وقال رجل فلاح) لصديق له يا فلان عملت السنة كعك فى العيد فقال له عملت

ر بعين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له أفقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شيء عندك منهم قال بقى معي واحدة انحس بها الحمارة من كفر دنديط الى كفر هربيط (وأرسل) بعض الامراء غلاما له فلاحا بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فاخذ النصف فضه واشتري باربعة جدد كعك وأربعة جدد زعتر من غير دقة ووضع الجميع بين يدى الامير فلما رأوه الحاضرين ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وأرسل) بعض الامراء أيضا غلاما له فلاحا وقال له خذ دي الدراهم واشترى لنا دبه (يعني بطة جلد يوضع فيها السمن أو العسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسال عن بياع الديب فدلوه على القرداني فاتاه ورآه يلعب بالقرد والدبه والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه وقال له مرادى نشترى للامير دبه مليحه فقال له القرداتي عندي واحده مليحه روح بنا تفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتي ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام وكان في ذلك الوقت الامير حاضرا هناك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتي قام يده في الطار وسحب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتي ان خدامك ده جاني واخبرني أن مرادك تشترى دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنظر لعبهم وتشترى ما تريد قال فضحكوا الاماره فامر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من عنده فتوجه الى بلاده وأحسن الامير للقرداتي وأمره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا قال له ابوه فقال له ايش هجاك بربق فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتني عليها النقطه اللي فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا ابو عموم فقال شعر مفعص لا له أول ولا آخر لقد اقول جنيشن خلوت به أنت * منزلنا يا طالعة القمر وشن

فقال له دا كلام موز فقال له ذا كلام هار بن الرشاد اللى وقع فى الجب لقفه التمساح نزل عليه الوحل في جامع الطيلون اللي النار بردو سلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى بن ابو طالوب جرى له زى ما جرى (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرأ الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسى فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له أنا ما بشكي لك انا باشكي لربي وجع راسى ثم انه ركع وصلى وأتم صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل) آخر من الفلاحين فاحرم بالصلاة وقال يارب خلى لنا بهيمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلى لى ولدي عنطوز فقال له رجل عارف بطلت

صلاتك فقال له الفلاح انا سمعت هذا الكلام من أبويه وجدي قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقني فضحك واطلقه ثم انه أتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرف الصحة من الفساد (وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه البقرة روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخذ شحيبر يحلبها في المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلوة (وصلى رجل آخر) فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على اكتافه وضحك على قفاه وأمسك لحيته بيده وفمه الوحل والجلة فقال له يا ولدي انزل عني حتى اتم صلاتي ثم انه تشهد واتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدي يقول حديث عن أم عازبه جدته العدية من لا يسقع فقه مايربي ابنه وأولاد الصغار مثل اولاد المعزه وابوهم كيف التيس ينطواعليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجدته وامثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم) فلما كبر ورفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معبكه المجنون جيتك يارب بلحيتي وجلي وقفاي ومركوبي لا تردني يارب خايب لا من رحمتك ولا من رجاك الله وكبر وركع وصلى وأتم الصلاة الفشروية (وصلى آخر) فلما قرا الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط بلاهدم قاتل الله الابعد (وصلى) فقيه ريف بجماعة فلما قرأ الفاتحة وانى الى آخرها قال ولا الضالور فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت فقال له بل انت كفرت (وحكي) ان رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله فقال الامام هذا اللفظ شنتير كيف بذير جماعزا كبين فيل جتهم طيرا ابيل خلتهم مثل الفطير ثم ركع وركع الاخر واتما صلاتهما التي لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب فضرط من شدة اللدغة ثم رفع راسه بسرعة وقال يارب انت تعلم اني ما ضرطت بخاطري الا غصب عني سامحني يارب ثم انه تشهد وسلم (وصلى آخر) فلما سجد رآى تحت جبهته انخفاضا فاخذ قرص جلة ووضعه تحت جبهته واتم صلاته عليه (وصلت امراة من نساء الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب وأخذ من جانبها رغيفا فامسكته وقبضت على اذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه واتمت صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرا في الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا ولده بيئذيني ويشوش علي وانا اصلي واذا ركعت شلح ثيابه وشخ علي فقال له المؤدب احق ما تقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب في انك تؤذيها وهي في الصلاة فقال له ياسيدنا لان عبادتها باطلة لا فيش ولا عليش لكن اسالها انت ما تقول وما تقرا في صلاتها قال لها المؤدب تحسني الصلاة فقالت

كيف لا احسنها وانا اعرفها من امي وجدتي وجدة جدتي فقال لها اقرئي الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جاء الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال لها المؤدب قاتلك الله ماهذا قرآن ماعدا البسملة والحمدلة فقال الولد اسالها ياسيدنا ماتقول بعد الصلاة فسالها فقالت اقول زي ما كانت تقول امي وجدتي سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت ياملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له امرتك ان تخرا عليها فصلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر وأراد أن يقرأ دعاء الافتتاح قال لفحت وجهي للي شرح السموات والارض لاني لاحنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فمن أي ملة انت قاتلك الله الا بعد فقال أنا من بني عقبه فضحك عليه ثم تركه ومضى (واما احوالهم) فمشهورة واضرابهم كثيرة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) ومايقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط في الدين ونحو ذلك فنقول (سئل) فقيه ريفي عن تفسير قوله تعالى ياارض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي مامعنى اقلعي فقال هذا الجاهل أي سيري مثل المراكب المقلعة (وتولى) بعض فقهاء الريف عقد نكاح فقال للولي قل انكحتك بنتي خطيطة البيضة اللون الشقرة الشعر اللي عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلاحول بشرط أن تكون في طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها وتسرج قنديلها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها وهراشها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبي نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوي عمت بركاته ونفعنا الله به في الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا المبيت في قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقرمربوطه فجلسنا تحت المسقوف منه بعيداً عن العجول نتذاكر في العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومنهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافي الرجلين من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها النجاسة ظاهرة فقال لنا ماتكونوا فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال أسالكم على سؤال قدام مشايخ بلدي ان قلتوا الى عليه ورديتم جوابي عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد وامامها وخطيبها وماعمر حد غلبني ولا عرف سؤالي قال فضحكنا عليه وقلنا له اسال عما بدالك فقال يافقهاء الازهر الصلاة لها كام عنصر وفين عنصرها الاولاني وعنصرها الاخراني قال الشيخ عفا الله عنه فقال له رجل من أتباعنا الصلاة لها مائة وستين عنصر الاولاني من عناصرها رجليك والتاني ايدك

والتالت طبزك والآخراني دقنك قال فسكت واحتار في امره فقالوا له أهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يا بوحنجول فقال لهم طول عمري اسال الفقها وغيرهم السؤال ده ماشفت حد جاوبني عنه الا دوله وأنا اقل لكم يامشايخ البلد الحق انهم غلبوني قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله وأحضر لنا متردين لبن دشيش وخبز ذره فاكلنا ونمنا في مكاننا الى ان أصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا وأخذنا خاطره وتوجهنا والحال انا لم نعرف السؤال ولا الجواب وماعرفنا هذا الكلام غير أنا بعنا لشدة حذقه أجابه من معنى سؤاله وأعطاه كلام قصاد كلام (وسال) بعض الفلاحين أخانا في الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهي رحمه الله تعالى فين هى قبلة طبزك فقال له دقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ماحكاه شيخنا أن مما اتفق في بعض السنين أنه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها وأخبره أنه من علماء العجم ولا أحد يقاومه في العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام حتى مال اليه وصار عنده في منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم أسالهم بحضرتك سؤالا فان أجابوني فانا من تحت أمرهم والا يكون لي الفخار عليهم قال فارسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسال العجمي عما بداله فقام العجمي بين ايديهم وسالهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له ياوزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لا بد أن تجيبوه عن سؤاله وألزمهم بتلك المساله لميله للعجمي ومحبته له فقالوا له أمهلنا ثلاثة أيام حتى ننظر بتمية مشايخنا فامهلهم الوزير فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأى في دفع هذا العجمي ورده الى بلده مقهورا فقال رجل منهم الرأى عندي أننا ننظر لنا رجلا من أجلاف الريف بقحوفهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشي خلفه ونطلع به الى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذى يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فرأوا رجلا من أجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الساقين كبير اللحية على رأسه قحف طويل وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت يا كل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما رآهم ظن أنهم يريدون أخذ البيضة منه فاخذها ووضعها في قحفه من داخله وأراد الهروب منهم فقبضوا عليه فقال لهم أنا في جيرتكم ياشعرا فقالوا له لا تخف يا فلاح ولا تخش من شيء فقال لهم أنا خايف تخدوني لاستاذى

يقطع رأسي وأنا عمري ماضيعت ولا طلعت ومصر غير السنادي وانا كنت جيعان وجبت معايه أربع بيضات شويتهم أكلت ثلاثه وفضلت معايه واحده فخفت منكم وشلتها في قحفي وانا علي مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا أعطيناك القرشين اللي عليك وغديناك وبسطناك فقال لهم أنا الاخر كل ما أمرتوني به فعلته من أمر فحت بير او هدم حيط أو شيل طين أو جلة عملتها لكم في ساعه أو ارکتم رايحين في عركه خلي عنكم وها توا لي نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا الف رجل أطحنهم فقالوا مامرادنا الا نعملك شيخنا ونطلع بك الى واحد عجمي يسالك تجيبه عن سؤاله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابدا الا بالاشارة خكم ما يكلمك بالاشارة فقال لهم خدوني للمعرص ده وان طلبتم اضربه خبطه بلكاميه قتلته ولو كان عند السلطان والوزير وأنا يا ماقتلت ويا ماسرقت وانا علي مال السلطان وعلي ان أرد العجمي ده مغلوب (قال) فاخذوه والبسوه لبس الفقهاء وعمود علي قحفه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها هنا الما ترجع فقال لهم وحيا تكم لم أخليها الا انها بيضة فرختي واول بيضها ولما اجوع اكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم حتى اقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم واعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذي يجيب العجمي في سؤاله قال فجلس العجمي متادبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح ومدرجله لم يعتبر من حضر كانه قاعد في زريبة بقر فلما رآه العجمي على هذه الحالة استعظمه وقال في نفسه لولا انه من العلماء الاجلاء ما احتقر المجلس. ثم ان العجمي اشار اليه بالسؤال يريد منه الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى نحو الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين اثنين فرفع العجمي يده الى السماء فوضع الفلاح يده على الارض فاخرج العجمي من عبه علبه وفتحها واخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح البيضة من عبه والقاها الى العجمي فعند ذلك هز العجمي راسه وتعجب منه وقال للوزير ولبقية العلماء قد اجابني عن سؤالي الذي اشرت به اليه واشهدكم اني صرت من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء اكراما زائدا وانصرفوا منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعدما نزلوا الى منزلهم نحن ماعرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال لهم الفلاح يا خساره عليكم انتم فقها ولكن ما تعرفوا تردوا للناس جوابهم انا لما قعدت قصادو جهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب وشاورلي بصباعه كانه يقول لي اصحي لنفسك والا خرقت عينك بصباعي ده فاشرت له انا الاخر اقول له ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعيني دول ورفعتهم له ورفع ايده الى السماء كانه يقول لي ان لم اطيعه والا اصلبني في السقف فحطيت ايدي انا الآخر على الارض اقول له ان أردت تفعل معي ما بتقول خبطتك في الارض خبطة

طلعت عفار يتك فلما رآني غالبه وظافر عليه اخرج لي فروج دجاج صغير يوريني انه يا كل كل يوم فراخ وانه متنعم في الما كل والمشرب فاخرجت له من عبي انا الاخر البيضة المصلوقة اوريه اني متنعم في اكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمي وسالوه عن الجواب فقال لهم طول عمري اسال العلماء بهذا السؤال وانا ناظرهم فما عرف احد جوابي الا شيخكم هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم اشرت له اولا باصبعي اشير اليه بقولي ان الله واحد احد فاشار الى باصبعين يشير الى انه ليس له ثان فرفعت له ايدي اشير عليه انه رفع السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لي وبسط الارض على ماء جمد فاخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه ان الله يخرج الحي من الميت فاخرج الى البيضة يقول لي ويخرج الميت من الحي فاجابني جوابا شافيا فما رايت اعلم منه فعرفوا ان العجمي كان في مقصد والفلاح كان في مقصد آخر على حد قول القائل

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) ان رجلا امسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف فقال ايها الناس الى كم تلتهوا في الحصيدة وفي الزرع والقلع وغدا يجيكم اللموم وتحضر لكم القوم فاستعدوا والقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق واعلموا يا اهل بلدنا اللي وراه عدو ماوراه هدو قوا كم الله يا قوم قدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا لا يجيكم العدو من جنب النفرة فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصرة وقولوا يا حنان يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل وصلى بهم صلاة معزاويه لا فرض ولا نيه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتين وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم تفيقوا الزرع الوسيه والا صبحكم الكاشف بداهية وبلية فغدا تسرحوا للعونة والسخر وفيقوا للغنم والبقر وافحتوا ابياركم وفيقوا لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم (وخطب آخر) فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا للخطيب وعدوا انه كلب ينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على انه يسرق واياهم فول اخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية واخذ كل واحد منهم غمرا كبيرا من الفول واخذ هو غمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال ايها

الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك ومال الناس لما كنا واياك في السرقة اخذ كل واحد منا غمر واحد وانت خدت غمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسال فقيه ريف بعض العلماء) وقال له مرادى اقرا الاجرومية على مذهب الامام الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل) على العلامة الحميدى رحمه الله تعالى رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدى شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى انظره لك فجلس عنده واذا برجل اقبل على الشيخ وقال له عندك ياسيدى مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سالوه عن مختصر القرآن فقال لهم انا فقيه الريف اقرى الاولاد فى بلدى القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل احدا اختصره فيكون اسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) منا كابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسه لياخذ لرجل فقيه نيابة في بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتنى به فلما حضر بين يديه قال له القاضى هل تحفظ القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضى وعندى مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضى جهله وضحك عليه وطرده (ودخل) بعض فقهاء الريف الجهال على ابى حنيفة رضى الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام في هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر في مسالة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابي حنيفة ان يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) ان الاثنين اختصما فى آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتذكرون وقال الاخر لعلهم يشكرون فبينما هم فى المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسالوه لاعتقادهما انه يحفظ القرآن هل هى يتفكرون او يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى اننا ناخذ من كلا كلمة جانبا ونجعلها لكلمة لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل) رجل من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فراى رجلا يدرس فى مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروى حديثا باطلا فقال له رايت هذا الحديث في اى كتاب فسال له في كتاب عندى يسمى الدلهمة والبطال فقال اضعفت حين اسندت ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى) بعض العلماء قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت في نفسى اسال عن فقيه البلد وانام عنده قال فسالت عنه فقالوا لى انظره على الكوم العالي في وسط البلد مات له حمار وهو

يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده و يبيعه فتوجهت اليه فرايته على الكوم
و بيده حجارة يضرب بها الكلاب و يمنعهم عن حمار الميت حكم ماذكر لى اهل بلده وهو
فى حالة رذلة و ثياب دنسة حافى القدم تعيس الناصية فسلمت عليه فرد على السلام
بتكلف و هو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص جر روح يا مشوم و يضرب الكلاب
بالحجارة و هو في كرب كانه بغازى القوم قال فجلست ساعة انظر فى حاله واذا برجل اقبل
عليه من اهالى قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامراتى انت طالق بالثلاثه وسالت فلا
حد ردها لى وقالوا لى ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وانا خاطرى تردها لى
وتخلصنى من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه وقال ان كان مرادك اخلصك
من اليمين ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ مراتك وقت
السحر و روح بها بركة الماء اللى فى المحل الفلانى و خليها تشلح ثيابها وتخوض في الماء
حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل الماء فرجها فان الماء ملاك والملاك
ذكر فصدق عليه انه نكحها قال الله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت
ماقاله لهذا الرجل اخذتنى الغيرة في دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت له
قاتلك الله وعلمك وقريتك ونهيت السائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق
الثلاث ولا يجوز لك ان تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت انى لا ابيت في
هذه القرية لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد اخرى و نمت بمسجدها الى ان طلع النهار
وتوجهت الى سبيلى وقال) بعض فقهاء الريف لتلامذته قد ظهر لى في القرآن بحث
وهو قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف لانه محكى بقيل (ودخل بعض
العلماء) قرية من قرى الريف ساحل البحر بنواحى الجبل فراى محلا يشبه المجلس
وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع فجلس يقرا سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة
من تلك القرية ليسمعوا قراءته الى ان وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله مافيه كلاب وانت بجعل فيه كلاب اخرج من
بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقهي بلدنا
الحاج خلف الله و نساله فان قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فارسلوا
خلف هذا الرجل فحضر شخص كانه سارية الجبل من طوله او عمود من عواميد
الصوارى من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملفح بحرام ابيض دنس
لا غير فلما حضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى ابين لكم
واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام فطرحوه
عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة عريان مكشوف الراس

والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء وهو في وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات اللى خلقها الله تعالى فرأيت اول سما فيها بقر وثانى سما فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران وخامس سما فيها كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد اصناف من الحيوانات الى ان قال وشفت السما العاشرة مليانه غنم وانتم يامشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تعوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لا بدله من كلب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فاخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان) بعض فقهاء الريف يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف في الجواب لشدة جراءته في الكلام من غير معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا اسرعة جوابه في المسائل واتيانه بكلام ليس هو في كتب الفقه الان فيه رائحة المناسبة فقالوا امر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم ياخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونساله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فاخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جاسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يامولانا رأينا فى بعض الكتب خذ الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى ارض الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبي * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم وأراد ان يذكر حديثا باطلا فقالوا له امسك ما معك قبحك الله أما كلامك في حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك في الكذب عليهم واما الكذب في الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وأبطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا ان العلم امانة وان الشخص لا يجوز له ان يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما ينبغ من جهلة علماء العوام (فقد سال بعضهم) رجلا من اهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف فقال لا اعرف واني والده وكان من العلماء فقال له اني سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت له لا اعرفه ولم يبلغني في وصفه شيء توقفت في الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا واصبح ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تاخذوا العلم عن ولدى فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (واوصى لقمان ابنه) فقال له يا بنى اذا سالك الناس فقل لهم لا ادرى فانك اذا قلت لهم لا ادري لا يسالونك حتى تدرى وان قلت ادرى سالوك حتى لا تدرى (وقرا بعض) جهلة

فقهاء الريف واذا بطستم بطستم جبارين يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرا آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها النفسه ظالما فى اى سورة فاطرق ساعة ثم قال في سورة الدخان (واشتكى) رجل ولده للقاضى وقال له اصلح الله مولانا القاضى هذا ولدى يشرب الخمر ولا يصلى فقال له القاضى ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فانى اصلى ولا اشرب الخمر فقال له ابوه انه يزعم انه يقرا القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرا شيا منه قال له القاضى اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الزنابا * بعدما شابت وشابا　　ان دين الله حق * لا تغيره ارتيابا

فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضى وانا الاخر كنت احفظ فيه آية اخرى وهى　　ارحمى صبا كئيبا * قد راى البعد عذابا

ثم قال القاضى للرجل خذ ابنك فانه ماهر فى القرآن فانظر أيها المتامل الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضى الذى لم يفرق بين الشعر والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان فقال له رجل أفي الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته وبعضهم أجاب عنه بان فيها قولين من جهة النحو (ودخل) بعض العلماء قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلى فرأى أهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفار ميت معلق فى عنقه فتعجب من فعلهم وقال لابد أني أسال فقيه البلد عن ذلك الامر فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة وهو أيضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة وخشبة وسكين ومعلق فى رقبته فارا ميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وساله عن هذا الامر ومن أمر أهل القرية بهذه الفعلة فقال له أنا أمرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال حديث في كتاب عندى واسمه كتاب التيه ولفظه حدثنى يحيى بن يحيى عن شعبان النورى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة أحدكم الا بقفة وسكينة وخشبه ومغرفة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمغرفة ووقار تصحفت بفار واما سنده الحديث فهو حدثنى يحيى بن يحيي عن سفيان الثورى فتصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى أهل القرية وأبطلهم هذا الامر وسعى فى خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فاخرجوه من البلد بيد أمير البلد وطردوه

(ودخل) بعضهم قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقوله وأنتم يا أهل هذا البلد تشهدون أن محمدا رسول الله قال فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فاذا هو خمر قد صبوه في اناء و يناول رجل منهم للناس ويقول هاتوا الثمن و يقبضه منهم فقال هذه أعجب ثم مضى الى المحراب ليسال الامام فوجده قد أقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة وأقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته ساله عن القضية وعن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدى أن المؤذن الذى سمعته لا ينطق بالشهادتين نصراني احتجنا اليه لمرض أصاب المؤذن ورأيناه صيتا فأقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق لشهادتين وأما الخمر الذى رأيته يباع في المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين وأرباب الوظائف وأما رفع رجلي التى رأيتها فقد أصابتها نجاسة وأنا داخل المسجد وأدركتني الصلاة فقمت أرفعها وأصلى على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لاني خشيت من المشي عليها فيحصل التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل وأتى القاضى فدخل عليه ليساله عن هذا الامر فوجده غلاما يلوط فيه فتحير في أمره وقال له ماهذا يامولانا القاضى قضيتك أغرب مما رأيته وأعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعى أهله أنه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فاخذته لاختبره وقلت ان فعل وأنزل فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد انزل المنى وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله أنتم وقريتكم جميعا وحلف أن لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فارسل الى من ولاه هدية وأرسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندى، ان الواصل لكم هدية خروفين وسرموجتين الافندى خروف وسرموجة والنايب خروف وسرموجة قال فلما وصل القاضى مكتوبه أمر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية (ونظيره) مكتوب فنين الذى ذكره سيدى على ابن سودون في ديوانه الذى ارسله لاهله من الصعيد قال في عنوانه يصل ان شاء الله تعالى الى درب المحروس الذى خشبته سنط ولقية و يسلم ليد أهل بيت فنين وفي داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما في النخيل من الاوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق أطول من مقود زراقة ولو كان طاق أو طاقين أو طاقات من كل بدو سبب وفي هذا المعنى أقول لكم كان شعر

ان كان ابي ما مات وامى تعيش * فبلغهم ياريح عنى السلامات
وروح قل لهم انى مع الناس في البلد * و يا ماجرى لى بعدكم من نكبات

وانكم لفي غفلة كبيرة عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الا حيله فنين مات
والذي نعلمكم به ان كنتم للسع طيبين بالحياة اني ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز وز
فقس الصيف من ديك الوزه وايضا خروف ا باق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تبقوا
تتكلموا جزاف ارسالم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا
على عرضه وارسلتم تطلبوا كشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وان طبخته
مايوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نيده وماقلتم لي بعسل او بلاشي وطلبتم قليلات والفلاحين
مازرعوا الاقرع طويل فيكون ذلك في خاطركم من حقه وبلغني ان امراتي حبله من
بعدي فلا تخلوها تولد حتى اجي وان ولدت قبل ذلك لا يكون الا صبي وسموه دار الخطيب
فاني دخلت دار الخطيب ورايت فيها من الطعام شيء كثير اعجبني وجرت لي فيه حكاية
ولكن ما تقولوها لحد ابدا تبقى فضيحه وذلك اني اكلت يوم بطيخ ونمت حشا كم العيب
في بيت الفلاحين فشخيت في تيابي وانا معذور بزيادة فان البطيخ يكثر الشخاخ فغسلت
قميصي ونشرته في السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت
وارتجفت بسلامتي رجفة خلتني ضعفت ضعفة لو ضعفها غيري كان مات وعرفت انها ما هي
بشارة خير وانها تدل على موت اخي وابويه والحمد لله اللي كانوا فدايه واني صليت وصمت
لله تعالى اللي ما كنت في قميصي ولو كنت فيه كنت انكسرت فقلت حوالينا ولا علينا
ولكن من الرجفة وجعتني عيني التي تبقي ناحية المشد وقت ما اخرج من دارنا والذي
نعلم به الوالد زوج الوالدة اني دخلت يوم البستان انا والخولي فرايت فيه نخل شي طويل
وشي قصير وشي ما يشبه شي فقلت له دي ايه قال لي توت ودي ايه قال نخله ورايت يا ابويه
نخله كل ورقه قدر الصفحة اللي تتخذت اخي فيها فقلت ودي ايه فقال لي موز فعجبني قوي
وقلت له الموز يطلع في البستان فقال لي ابوه فقلت له والجبن المقلي يطلع نين قال يطلع في
طاجن الجبان وانا كل يوم اجي واطل من الطاقه وعمري ماشفت في طاجن الجبان جبن
مقلي فوعدت الخولي وراهنته من امراتي الحبلة لامراته اللي لا حبل بانه يعمل امراتي
يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلوه يغلبني وياخذ امراتي وابقى يتيم وكاني وودن الشيطان
مسدوده اصبحت اكتب لي محضر واخذ خاطر الجيران مار او النخلة جبن مقلي في طاجن
الجبان والذي نعرفكم به اني لما طلعت البلد ولقيت الصابون غالي فبعت الحمار الابيضه
واشتريت لي حماره سوده على شان ماتتوسخش وكان كلام كثير فاني لو كتبت لكم اللي
في خاطري لكان كلام يجي من حد عندكم لحد عندي وبعد السلام على اهل الحاره كل واحد
باسمه كثير كثير بتاريخ صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع
والتلاتين من جماد الاوسط سنة ما اعرف شي اللي تقولوا عليه بالاماره مطرت المطره

واهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب كثير لا يحصى) فقد ارسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع وار بعين والف يقول فيه السلام من الفقى ابو على اللى اسمه محمد على حضرة صاحبنا اللى يطالع فى القرآن زي ما يطلع الزرع فى الغيطان ويتكلم بالفهامه ويا ماله علينا شهامه اللي يبيع الكتب المنظومة من الكلام زى قصة الجارية والتودد والورد في الاكمام حاوى الكتابة في السطور ومن يعرف كتاب الفخ والعصفور وانا فى شوق واشتياقه لا يحمله جمل ولا ناقه ولا حمار ولا حمارين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه وفى هذا المعنى اقول لك كان

السلام عليك ياسيدى والرحمه ❊ سلام من هو لا يا كل بعدك لقمه
الاصايم عن الزاد وهو زى الاعمه ❊ وانا قصدى اشوفك ولو فى الضلمه

وانا كنت اريد اجيك وحياة راسك ما عوقنى الاسر موجتى مقطعه وانا اقول لك شوف لي كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه ويا ما قالوا لى عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وراحرى فيها من العجايب وانا امبارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاودنسيته الله يسامحك ويسامحنى الله انه لا غالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جيرانك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب أبو على واسمه محمد وكتب عنوانه توصل دى الورقه مع ابو عماره اللى يبيع فى بلدنا الفول الاخضر والمش والزيت الحار يوصلها لبولاق وواحد يبقى يوصلها لسوق الكتب اللي يقولوا فيه حراج حراج ❊ فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام الذى يشبه الوحل وامثال هؤلاء الجهال كثير ولقد احسن الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس ❊ بليد يسمى بالفقيه المدلس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا ❊ ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها ❊ كلاها وحتى سامها كل مفلس

(ومما ينسب لسيدي عبد العزيز الديريني)

ان شئت تدعى فقيه قوم ❊ فطول الكم ثم عمم ❊ واجعل على الراس طيلسانا
واعقد على المنكبين واختم ❊ واجلس مع القوم فى صباح ❊ لا بالبخارى ولا بمسلم
الا صياحا ونفض كم ❊ ولا ولم لا ولا نسلم ❊ وان لقوا الوقف ياكلوه
وقد نسوا العلم والمعلم ❊ ثيابهم بيضوا رياء ❊ وقلبهم بالسواد مظلم
فان ترى في الورى فقيها ❊ فصح وقلت ياسلام سلم

اى اذا رايت فقيها على هذه الحالة فاسال الله السلامة منه والبعد عنه نسال الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ورثاهم) قيل مر بعض اهل الارياف بجماعة من

اللطفاء ينشدون الاشعار في معنى العشق فقال لهم زيدوا يا مغنيين القوم من ذى القول المليح فقد ذكرتوني نشيد مليح قلته وانا احرت فى الغيط اكمني عشقت ام معيكة وكنت رايح اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت في ام معيكة فانشد يقول مواليا

ماضال قيصى يشحطط من ورا المحرات حتى اتتني صبيه رايحه يتبات

فقلت يا ام معيكه ارحمي من مات قالت انا رايحه اخرا واجيك بتبات

اقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافر الذى ليس له اول من آخر وقائله من ابلد البشر او من اغشم البقر وتفاعيله باحتياط متخبط خبط متخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضال) هذه كلمة يستعملها اهل الارياف وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها مازال فيبدلون الزاى ضادا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل او الضلال أو من الضئيلة وهى الحية قال الشاعر

فبت كانى ساورتني ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم نافع

ومصدرها الفشروى ضل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول (قميصى) على وزن حريه ى أو جعيصى واشتقاقه من القمص أى قمص الحمار يقال حمار قماص أو من بلد يقال لها منية القمص ومصدره قمص يقمص قمصا فهو قامص ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) ماخوذ من الشحططة أو من الشحوطة اى ينسحب وينجر على الارض يقال شحططة اذا جره على الارض وهذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط حبيبك ورخه الف فرقله واكويه بالنار حتى يلتقى عمله

حتى يلين ويبقى قرص من جله قوم اطعمه عدس وبيسار وبسله

والشاهد فى قوله شحطط حبيبك وشحطط على وزن ضرط بتشديد الراء وضرط فيها مناسبة من وجهين الاول الوزن والثاني اذا شحطط وجر على الارض أو فى جورة أو فى نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة وألم التشحطط فكان المعنى ظاهرا وقوله (من ورا المحرات) أى من خلفه ووصف قميصه بانه صار ينجر خلف المحرات لاحد أمور اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا أكابر الحراثين واما غيرهم فانه فى الغالب لا يحرث الاعريان أو عليه خرقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على انه كان من اكابر الحراثين ويحتمل أن قميصه كان مشرمط فصار ينجر خلفه وينشبك فى الشوك والحلفه أو يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين

فصار ينجر خلف المحراث ومن شدة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مروءة يلمه من الارض حتى جاءته تلك الصبية (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

تضال عمرك يامحرات تاعب جماعتك   لما ليوم المحشر ما انت مفارق

فالحرات دائما تعب شديد وهم مزيد وليس في الفلاحين أتعب منه خصوصا اذا كان في معاناة الجرافة السلطانية وهو اقل عقلا من غيره لانه في النهار رفيق الانوار وفي الليل رفيق النساء في الدوار فلم يكمل له عقل * ومثله في قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه المشتوم التتمة الى المؤدب بقوله يقول لى الولد ده دم الخس قفاك ياسيدنا والولد الاخر بيقول لى يا ابن القحبه ياسيدنا وبيقول لي دم اخرق عينك ياسيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال اجمعهم بالطبلة وافرقهم بالزمارة واضربهم بالفرقلة (ورأيت في بعض الكتب) أن مؤدب أطفال كان يعلم الاطفال القرآن في غرفة له فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وعدا في طلبها ومازال في البرية يمشي حتى قارب الليل فلم يجد شيأ فرأى صومعة فيها راهب فساله هل رأيت غرفة فيها الواح ودوى فقال الراهب في نفسه انه احمق لاعقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لاتلحقها ولكن بت عندى الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام فاكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهب والبسه ثياب الرهبان وشد له زنارا وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت الى البلدة فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهب قال لا والله الا اني بت عند راهب وقلت له نبهني وقت السحر فايقظ نفسه وتركني قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك ياراهب نبه نفسي حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عليك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى ايس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان ايضا بعض مؤدبي الاطفال) اذا وقف يصلي وركع اخرج رأسه من بين رجليه وقال شفتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة وقوله (حتى اتتنى صبيه) أي لم يزل على هذه الحالة السخيمة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة

اخوانه من الثيران والابقار في الليل والنهار حتى مرت عليه هذه الصبية وهى ضد العجوز وصبيه على وزن بلية اورزيه مشتقة من الصبوة على وزن اللبوة أومن الصابون أومن مصبنه فشغلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها الاسيما وهى من ملاح الريف وخصوصا اذا كانت فى وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهى متضمخة بالنجاسة وتلك الروايح (وهى رايحه بتبات) أي والحال انها مروحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا فى الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار أوفى نصفه على قدر تمام اشغالهم فيجدوا العدس او البيسار أو المدمس قد طاب أمره وحسن طعمه فيأكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر واشوان التبن وغرف الجلة ونحو ذلك (فقلت يا ام معيكه) أي انه لما اشتغل بحبها عند ما اقبلت اليه وهى مروحة من الغيط كما تقدم نظرها فاحبها والعين توقع القلب فى اشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل

عيني نظرت وشبكتي من عيني   ما يقتلني الا سواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت   جلاء العين مني بل ضياها
فآها كيف تجمعنا الليالي   وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون لمن يحبونه ويتذلون له الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله لان احداق الملاح تذيب اجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد فى الاشتياق ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله در معن بن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على اننا نذيب الحديدا
وترانا عند الكريهة احرا * را وفي السلم للغواني عبيدا

وخاطبها بالكنية لاشتهارها بها والكنيه ما صدرت بام أو باب كما هو مقرر ومعيكة تصغير معكه وهى على وزن ركه أو حكه أو دبكه أو لبكه وغلبت عليها هذه الكنيه وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرتها على جذور الشجر عند اشتدادها كلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصا فى زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها   وجدت عليه الشعر اسود كالزنجي
فقلت لها ماذا الذى قد رأيته   فقالت طواشي كاتب الدخل والخرج

وهذا زمان البرد والشعر ساخن   فاسفق ايا هـذا بجهد بلا حرج
واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك وممعوك ودليل كونه
مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف مواليا
قومي امعكي ياخطيطه شعرتك بالخيط   لما أجبلك هديه طورتين مخيط
واعطيك وحياة رأسي نـل من هربيط   وآجى لعندك وشيل رجليك جوا الغيط
ومقول القول (ارحمي من مات) ان تعطفي بالرحمة والشفقة على من اشرف من حبك
وغرامك على حالة تشعر بالموت أو بالخناق المستعجل وهذا على حد قولهم حزين وواعي
لانه مع كونه فى حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه
هذا العشق الذى يفضى الى الموت فكانه يقول انا يا أم معيكه قد اشرفت من حبك على
الهلاك والموت فرقى لحالى وانظرى ما انا فيه من معالجة اخواني الابقار ومقاساة الحرث
بالليل والنهار وانت صبية نضيفه وتكرهي الشعره المنتوفه فسمحي لى بسجبتين فيما بين
العلمين واز ور الشيخ ابوقبه ولو اخذت البشت والجبه والا يحصل لى من بعدك وغرامك
الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية رابتلت بهذه البليه ورأت الذى لها مثل الذى عليه
وشبيه الشيء منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذما في قاع قبر   وآخر أبرصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي   شبيه الشيء منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذى اوجب لها هذا الحاله الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقه
العظمى والداهية العميمة وهى حدوث الخراعليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة
والاضرار لانه ثقيل فى الصرم خفيف في الكم اذا ادرك الشخص بين ناسه خرى فى لباسه
(قالت) له على سبيل الوفاء بالوصال ولم تدع يقاسي ألم الحب والنكال (انا رايحه اخرا) وفى
رواية خاطرى اخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتا كيدها من
جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقاري لها ايضا والمعنى ان
مرادى افرغ نفسى من هذه القضية فى نقرة اخرا فيها أو فوق سطح أو في جنب شجرة
اوفي الغيط او نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المراة منهن تجلس
في قضاء الحاجة وسط الزريبة او فوق الكوم خارج البلد واى نقرة وجدتها بالت
وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سالت بنى الارياف مالبيوتكم   مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا فى نسائكم   فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمها اياه حالها وغرضها كانها تقول له

انى اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما نضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عند ما ازيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكورة او في بالوعد ولم الشتات (واجيك بثبات) اي بامر ثابت محقق واجارك فيه واصله بالثاء المثلثة غير ان هذا من الفاظ الارياف فكما انهم يقولون فى الميراث ميرات بالتاء المثناة فرق فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الايطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلاشيء فعلى الرواية الاولى يكون المعنى انا اقول لى ثابت فى المجيء اليك والبيات عندك والبيات ماخوذ من بيات الفراخ لان نساء اهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بثبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن ان يكون قوله رايحه بثبات اى هذه الليلة وقولها اجى وابات اى الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه فى باطن الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثاني فان الاول منسوب لقول الرجل والثاني لقول المراة ولعلها ارادت بتاكيدها في البيات عنده عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شان من يريد الوفاء بالوصال ويكافىء العاشق بلذة القرب والجمال وقالت فى نفسها هذه الصبية هذا المحب لا يرضيه منى الا ليلة على كمالها تملى بتلك المقايح ويشم تلك الروائح وهى آثار جلة الغيط وارقد انا واياه فى الفرن أو في مدود الحماره أو على الجرن أو فوق الجلة الناشفة لان نهاره كله فى الحراث والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه فى كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر

قالت تسافر يا فتى وتفارق الوجه الحسن فاجبتها بتذلل
والقلب ملآن بالشجن هم المعيشة فرقة بين الاحبة والوطن

وتاكيدها فى البيات يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يتهيأ لما يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول المدمس ونحوه ومصدره بات يبيت بياتا . وقوله السابق اخر القطة الخرا فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذرة ونحو ذلك انتهى . ومن اشعارهم القشروية

وقلت لها بولى على وشرشرى عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذى عرضه من الحسينية لبركة الفيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل ان هذا القائل لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل لجمالها وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهي والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من

الافلاس فهو في اشد الاشتياق لمحبو به بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حك الجوع جسمى حك   وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك   يستاهل العاشق المفلس طريحه صك

قالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور ان يكون اجرى من كلب واوزن من صيرفى واذل من يهودى وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حدقة وعشق علقة فهى اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على التمام . فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل أو المرأة الجميلة و يكون معه أو مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح في محبو بته والشفقة عليه حتى يصير احن من الوالدة على ولدها و يدفع عنه المضرات و يتحمل من اجله البليات و يكون حريصا على امواله مشفقا على حوايجه مسرعا في قضاء اوطاره حتى يقضى منه المرام على أتم حال قال الشاعر

لقد صرت فراشا لحبي وسائسا   زمانا الى ان نلت منه مراديا

و اما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب ميسرة و اموال فهو لا يحتاج الى تعب فى جلب محبو به بل كل محبوب اظهرله الدراهم يحضر عنده علي احسن حال واتم منوال قال الشاعر

نخرة العشاق يامن عشقوا   ذهب ينثره أو ورق
واذا باب الرضا قد اغلقوا   يفتح الدرهم ماقد اغلقوا
هكذا قد قال في تنزيله   لن تنالوا البر حتى تنفقوا

و اما عشق الحدقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح و ليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير الى انه مسكين و عاشق وفقير ومفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله أطال الله بقاءك أدام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظرة للوطى الا فراسة   وما نحت عين العاق الا منجم

فيعطف عليه و يمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم علي حد قول القائل

ان اجد وجها مليحا   ألق في الفضة خفه   أو اجد هذا وهذا   لم اجد فى الحى غرفة
أو اجد هاتيك جمعا   ألق في الحارة زفة   فلهذا طول عمرى   تائب من غير عفه

و اما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سيء الخلق كثيف الطبع و الذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع أو صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه أنواع البلاء والقاه في أشد المصائب لا ينفك عنه و لا يخلص منه الا بمراده كرها لا برضا قال ابونواس

اذا رقد الندامي خل عني ۞ وعمن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا ۞ بمنع الحب أو خوف الرقيب

ولعل الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولى علي وشرشرى أى ان محبوبته لما رأته عالقابها كعلوق النار في الحطب أو الزنبور فى الخشب علمت انه لا يفارقها الا ان يقضى مراده منها لعدم ذوقه وصقاعة وجهه ولم تقدر ان تمنعه بصك ولا بشيء نجس فلاجل ان ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها واوهمت انها تريد البول عليه أو على لحيته حتى تملاها ولكنها في وهم منه وحيرة فاكد عليها بالقول وامرها أن تفعل فقال (وقلت لها بولى على وشرشرى) أي أني لا بالى ما تفعلينه معى من النجاسة ولا اتكدر من الخساسة لاني عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفي هذا المعنى يقول القائل

احبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق ۞ بالله اعذروا العاشق الخرا عدم الذوق

فلا ابالي بالبول عليّ وعلى لحيتي لانى (عريض القفا) وثخينة ومن شان عريض القفا وبليد الطبع ان يكون (للنائبات صبور) وان لا يضجر ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها ۞ وذاك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شيء يعمل من الخوص أو الحلفاء يحتملون عليها الزبل وربما يكون فيها الجله والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف أو المحل باسم الحال ومصدر بال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبالة أيضا وهي ما يبل وينقع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شيء اكتفى الناظم بقوله بولى على ولم يصرفها فيقول بولى على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب الفشروى عن هذا الكلام وهذه الاشكال الفشكلية وهو أن كلمة بولى فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان فى حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولى او يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

بالت علي مبالة ومبلة ۞ حتى اكتفيت ببولها وأنا أبولى

أى وانا أبول عليها ايضا لينا سب بولها بولى لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الآخر عليها بيقين ومن الاكتفا والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودى باللقا كرما ۞ لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذى
أفسدت قلبي فقالت تلك عادتنا ۞ قد قال سبحانه ان الملوك اذا

أي اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله علي أي بولي على ذاتي جميعها حتى يشمل البول شواربه ولحيتي وما جاورها بحيث لا يبقى في منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا او باطنا وقوله وشرشري معطوف على بولي وهي من لغة الارياف وقد وردت في القاموس الازرق والناموس الاباق وهي مشتقة من الشرا او من الشرور أو من اولاد ابي شر يشر وهم جماعة فلاحون أو من الشرشرة وهي آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح في حزامه الفاسرح في الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفي شرشر جناس مذيل وهو مشرشر واكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها أنثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب أن يقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى أن بولها ينزل من فرجها مشرشرا كحكم أسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال زب فهو في الارض يخرق

وفي رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا أن عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف أهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو أن يدهموهم على حين غفلة وان شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا ان يجعلوا ابنة عمه مكانه ويزيوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم أنا اكشف لكم الامر وهو أني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببال

فصوره في وسط الكنيف بفحمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صقيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض او من العرضية وهي ما يلف على الراس بلغة الريافة ويسمونها ايضا الكر او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام في افق السماء والقفا مشتق من القفوة اي قفوة الانكشارية التي يلبسها ملازموهم او من القفة او من القفقولة وهي بوشة صغيرة يطبخ فيها اهل الريافة طبيخ اليسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للراس ولا يفارقها ابدا الا عند قطعه ومتي سار سار معه قال الشاعر

الرأس يتبعه في السيار بمة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدا جبان القلب قال الشاعر . صاد ببابك يابحر الوفا وقفا * فماقه عنك نطع واقف وقفا

وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ماينوب الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا اتتك مصيبه

فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا ايضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر او من الصبارة التي تعلق على ابواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر قد تاتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر

واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ماترمي من الشرر

الى آخرها هذا وقد أتى لفظ العبراية بمعني العبور في نظم الشيخ بركات وسبب قصته أنه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق أنه سافر الى بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا في بعض شوارعها فسلم عليه وساله عن حاله وحال الملك فقال له ياشيخ بركات قد أجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لابد أن أمدحه أنا الآخر وأثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان أنهم لايمنعون أحدا عن أبوابهم فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سياتي في نظمه وقالت له ماتريد فقال أريد الملك فقالت له تاتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولابد فعرفنا حالك نخبره به فاخذ دواة وورقة وكتب فيها بركات عبرايه * جا يسلم ماقدرشي * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاريات وطواها وأعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرأ البيتين أمر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظمه وهيئة لحيته ضحك عليه فقال له ماتريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم أنه ألبسه برذعة حمار وأمر أن ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم أنعم عليه بعد

ذلك وأمر باخراجه من المدينة قلنا ولهذا ذكروا أن الشاعر لا يهدى قصيدة لملك أو غيره حتى ينظر فى ألفاظها ثم يهديها أو يعرضها على أرباب الخبرة من أهل الذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور مثل هذا (وارجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فتقول قوله (بركات عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر أو من بركة الجبل وقوله عبرايه أى يريد العبور على الملك وتقدم أشتقاقه وقوله جا يسلم ماقدرشى اى أنى يريد السلام ماقدر والمانع له من السلام عجوزها قوة شديدة وشدة فى منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب راسها فيصير قربها هم وجماعها غم الاعلى من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب (ويقرب من هذا المعنى) انه وصف لابى نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسال عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد عليه السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله فى رجل * اضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله يبكى عليه فقد اودى بمهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين انا صنعتى تكفينى ولا حاجة لى اليه فتركه وانصرف وقد تطلق العجوز على الخمرة اذ اعتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد ان زوجه بعجوز وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تاخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس من امراة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الى جساس والقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاما وذكر بعضهم ان فتنة التتار التى لم يوجد فى الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امراة عجوز (واما حيلهن) في القيادة وجمع النساء منهن للمفاسيد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها * ولا يغفر لها فى يوم موت

تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك

فقالت لي ياسيدي وقعت لي اسورة من ذهب في هذه البئر فلفاعتقدت صدقها ونزعت ثيابي ونزلت البئر في طلب الاسورة فاخذت ثيابي وانصرفت وتركتني عريانا ففتشت في البئر فلم ار شيئا ثم خرجت من البئر فلم ارها فسرت الى منزلي عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغي التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهي والمصائب * فان قيل لفظة قدرشيء في نظم الشيخ بركات التي تقدم ذكرها بمعني قدر فلاى شيء لم يكتف بها مع انها اقل حروفا من قدر شيء فكان حقه ان يقول جا يسلم ماقدر وكان هذا اولى واخصر في اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشي ابلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى في ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر واما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبنا به لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن اشعارهم القشروية البيتان الآتيان) وسببهما على ماقيل أن جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شيء من الحلوي والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والخزى على وجهه قد لاح فلما رآهم في هذه الحالة انقض عليهم بلا محالة وقال لهم ذكرتموني زمان العشق للملاح وقولي لهم بلا مراح وأراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لا بد ما أرمى عليكم انقاض اي ألغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العظيم القادر * هو عالما بسرايرى وخبايطى

انعاود القلب المشوم ذكركو * لاقطعو من مهجتى بصوابعى

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعانى المشرمطة وتقاعيله متخلطه متخابطه وعرضه يبقين من زنجيه لشربين وطوله باحتياط من السرو لدمياط واماشرح معانيه المسخمطة وحل مبانيه المغمطة فقوله والله والله العضيم القادر يريد القسم غير انه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعني في ذكر الصفة وان كان الموصوف الذى هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو عالما بنصب عالما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحو بين الا ان لسانه لم يساعده على ذلك لان ألسنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب عجرفة الكلام المناسبة لهؤلاء القوم وقوله بسرايرى وخبايطي السراير جمع سريرة وهو ما يسره من خير او شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايطى على وزن عبايطى مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا ألقاه على الارض أو من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط أنسب بالمقام بل هي أولى قال الشاعر الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لا قطعومن مهجتى بصوابعى

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر وما سمى الانسان الا انسيه * ولا القلب الا أنه يتقلب والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهى معلومة أيضا وأسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهى خمسة بيقين لاشك فيها ومعنى الكلام أن هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر عن كل شيء العالم بسرائره وخبايطه اى ما أسره من الافعال القبيحة والنيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والنط فى الدور وقرط الزرع وسرقة الجله ومواسته على زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التى يفعلها هو وغيره من أراذل اهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم أي ان رجع الى محبتكم بعد ماقاسى من همومكم وتركـكم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم فى الغيط فى الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلواله القفة يملاها خزاناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطعمكم وأنتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذى فعله فهو الآخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم أي تحرك بذكركم بعد هذا كله لا قطعوا من مهجتى أي أزعه منها بصوابعى وفي رواية بضوافرى والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو فى حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم لهذا الجواب أن هذا قطع معنوى لا حسى بمعنى أنه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث أنه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه أو بضوافره كما تقدم ومن هذا المعنى قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به آمين يا قلب لا كويك بالنار * وان كنت عاشق لازيدك

يا قلب حملتنى العار * تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتى فيه شيء فان القلب ليس فى المهجة وانما هو فى الصدر مما يلى الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول خبايطى والثاني صوابعى أو ضوافرى وهو غير الوضع العروضى ولا يساوى قشرة بيضة وناظمه اثقل من حجارة الميضة غير أن قائله من أرباب الفنحوف المقلوبة والمناسبة مطلوبة (مسئلة هبالية) لاى شيء ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى اذ من شان القطع ان يكون بآلة محددة وكون القلب

لما لا يتجه قطعه بالصوابع ولا بالضوافر قلنا الجواب المقشروي ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه أخف في الالم من السكين أولا لان الحركة والعمل لا يتاتي الا بالاصابع اذ لا يمكن ان يقطع الشيء الا بيده وأصابعه فهو حينئذ لا يستغني عن الاصابع فيكون في الكلام حذف والتقدير لاقطعو من مهجتي بسكينة قابض عليها بصوابعي ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أي مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أو أن السكين اذا قطع بها قلبه يمكن أن يقال فلان جزح نفسه بسكين أو قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفي عن نفسه الريبة أو انه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعو من مهجتي بصوابعي وسكينتي لكان أولى للجمع بينهما أي الصوابع والسكين الا أن الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى الثقيل فاتجه الجواب وبان الصواب.

* ومن أشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمي كيف كحلاتك * وحبل طورا بن خالي كيف مدلاتك

يامن عجنتي قلبي في وحيلاتك * ياريتني قرص جله بين ادياتك

هذا القول العكيس والنظم الحسيس والمعاني الغلسة والالفاظ الهبالية من خراقات الاسرائيلية والتشابيه التي خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهو أنه تبتت أوزانه وتخلبطت أركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله بانفاق من الخانكة لبولاق وعرضه بيقين من باب زويله لسويقه السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمي كيف كحلاتك) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه فكانه يشبه الرزية وهذا من العجب العجاب أن هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها ولعشقه اياها وشبيه الشيء منجذب اليه والطيور على أجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لم يكن في بلده أكبر منه ولا أكثر هبابا وأن غالب نساء الكفور يخبزن فيه العيش أو تطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا أوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمي ولم يقل فرني لكونه كان فقير الافرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التنزل القشروي لانه لما عشق هذه المليحة رأى الكحل في عينيها اراد ان يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيئا اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا الف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا وكذلك اذا الف شخصا لا يراه الا بعين الكمالة ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنه في قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب اتي بذنب واحد　جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر　يقولون في البستان للعين نزهة　وماء نمير صفوه غير آسن

اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها　ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) انها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبيخ البيسار وتقمير البتا وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كحلاتها به لكونها دائما فى هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها انها تفهم من ذلك انه محب لها ومصر على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ماسبق من تشبيه كحلاتها فقال (وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتاخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه حبل طور ابن خالى والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك وتسمي ايضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع او اقل منه وحبل الثور مما يكون ماتقاعلي اذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشيء والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على صدرها ولم ير في بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه مدلاتها به واتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس واما كونه خرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التى خاطبها باستعارته ثوب ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيئا يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله انه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا فى هذا المعنى مواليا

اللي معه مال لو طلب الثريا نال　واللى بلامال صكوه الملاح بنعال

وان كان معك مال هاته تبلغ الامال　ما كان معك مال طردوك الملاح في الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالى بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة فى الثور بالطاء او بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يامن عجنتى قلبى فى وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل للوجد محبوبة قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعنى انها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر في الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة

والوحل بيقين و يسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند اهل الريف ثم انهم يجعلوه جواليس و يليسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا منه مداود للبقر وغير ذلك مما يحتاجوا اليه فلما رآها في هذه الحالة اخذت قلبه وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على انه لايجوز من المحبوب ان يمتلك قلب المحب و يعجنه و يدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به و يرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كأن قائلا قال له المحب ليس له تصرف في نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو انها اقتك وزقتك وقلبتك في الخرا مثلا فضلا عن الوحل لاتلمها فتمنى ان يكون قرصا من الجله بين يديها واضاف الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة انها كانت عجن الوحل فى محلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان فى زريبتها بيقين كما أن الجلة والزبل فيها أيضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلات وقوله (ياريتنى قرص جله بين أدياتك) حينئذ تاكيدو بيان أن المعجنة التي كانت تعجنها وتدوسها برجلها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله ياليتى قرص جلة الى آخره بابدال اللام راء فى ريتنى من لغة الريافة وأصلها ياليتني وقد وجدت في القاموس الازرق والناموس الاباق والمعنى أنى أتمنى ان يكون بين يديها قرص جلة من هذا الوحل الذى عجنته وأكون وحل ابن وحل أي وحلا بطريق التمنى وابن وحل بطريق التشبيه فانجبه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جله وهو شيء خسيس أشارة الى أن العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا التشبيه الحقير المشابه للحيته التعيسة وتمنى ان يكون قرص جله بين يديها وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجله وتلزيقها وعجنها فهي دائما في هذا الامر فاني لها مايناسب حالها ومانحبه وأعز مايكون عندها الجلة والوحل فما أخس هذا العاشق وما ارذل هذه المحبوبة وقوله بين اداياتك هذه لغة اهل الريف والمعني اني اتمنى اذا كون قرص جلة تقلبيني بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ماتفعلي فى قرص الجله حتى اني التذ بكوني مرفوع في يديك وتمس ذاتي اصابعك فتحصل لى الراحة ويزول عني الم المشقة ولوان صورتي انقلبت قرص جله فاني لاابالي من النجاسة ولاسام من الخساسة لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولى وهيفاء لما جئتها حين حلبها * تمنيت انى مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف فى محبوبة لطيفة (مسالة هبالية) لاى شيء اقتصر فى العبارة على الوحل وكان حقه ان يضيف اليها ايضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا الجواب القشروي) انه اذا كان الوحل ثابتا بيقين فيكون الزبل والجله فيها من

باب اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلاملام (وقوله) هباب على وزن تراب اوكلاب اوسراب مشتق من هبوب الريح اومن هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما راتنى كلابها * فقلت مجيبا قدعلاني هبابها

(وهبهب) وادفي جهنم (وفى الاحياء للغزالى) في كتاب ذم الكبر والعجب عن محمد ابن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثنى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واد يقال هبهب حق على الله ان لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون مما يسكنه ومصدره الهباب يقال له هب يهب هبابا وسمى بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمى) العم اخو الاب وقديطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذقال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ اب وهومشتق من العمى اومن العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذى هوضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لاتليق به وهي عبداسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته واوجز فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من واحد لارسلته اليناوالسلام ويقال ان السواد ماخوذ من السود وهو العلو والرفعة وتصريفه ساد يسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلا نك الكحل مشتق من المكحلة او من الكحال اومن تذكرة الكحالين قال الشاعر

جبال الكحل تفنيها المراود * وكثر المال تفنيه السنين

(وفى الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحدالبصر والسنة الاكتحال به وتراعند النوم (وقوله) وحبل طورا بن خالى الحبل مشتق من الحبلى اومن الحبالين والطور تقدم معناه وهومشتق من الطور أو من الطارة التي يصيدوابها السمك واما بالثاء المثلثة وهي اللغة الفصيحة فهومشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث لانه معد لذلك وللساقية ايضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مواليا

الثور والبقره دى العام ومن قبله * في مصر والشام مع غزه مع الرمله

فدى بتحبل وتولد عجل اوعجله * والتور في الساقيـة يا كل بفرقله

(وقوله) ابن خالى الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء اومن الخيل اومن الخلخال او خيال الظل ومصدره الخيل يقال خيل يخيل خيلا ويطلق على الخال الذى يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال ابو نواس يكون الخال فى خد قبيح فيكسوه الملاحة والجمال

(وقوله) كيف مدلاتك المدلات واحدته المدلة على وزن مبله او المدلة مشتقة من الدل

او الدلال قال الشاعر له دلال ودل ذاته غنج   سبحان من خصه بالحسن فى الناس
اوهى من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الخوران او الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلى يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة (وقوله) عجنتنى العجن مشتق من المعجنة او من العجين قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين   كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) فى وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال ياحل مثلا اي من طبعه وخصاله تشبه الوحل نجسة خبيثة (وقوله) يار يتنى قرص جله القرص هو الشيء المدور مشتق من التقريص اومن القراصة اومن القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجلة فيها ايضا وهى مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين اديانك جمع يدو قدو رد هذا اللفظ عن القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا دبايات تشير لنا   تمشي اليها سحيرا بالرجيلات

(وفى نسخة اخرى) يار يتنى قرص جله بين رجيلانك والمعني واحد في النجاسة وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهى من الترجيل اومن الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلان فهى كرجلة   والافرجل كالترجل اذ ورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي الابيات من أنواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل التور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح   كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

(ومن اشعارهم ايضا) مواليا

سالت علحب قالوا شت ملتايه   مسحت دمعي بكرسايه وجلايه
وشلت وجهي لربي قلت مولايه   جاب لى رغيف وعجوره وقتايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بحر زيل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزه لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقل ومعناه الذميم لايهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الا كيدان قوله (سالت علحب قالوا شت ملتايه) يريد به انه للعشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لايفارقه طرفة عين فان من احب شيئا أكثر من ذكره ولو انه في اعظم

المشقات واعظم البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) ان رجلا زاد به العشق فمرض فاتوه بطبيب فاخذ يجث نبضه ثم قال الطبيب لغلامه هات القرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب انت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم ياسيدى فقيل له من اين عرفت ذلك فقال مسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها فرجية ومن هذا المعنى ماذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت مابي فقال الصحب اجمعهم انظر طبيبا لقد امسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يارعاك الله خذ بيدى وانظر لحالى ودا والقلب من علل
فجس نبضى وقال الحب فارتعدت فرائصى وفؤادي صار في خجل
وقال انت سقيم فى هوى قمر بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفى اى مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسال عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذى تسال عنه شت اى ذهب وراح من التاية وهى محل يجعلوه الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اواني اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسموه التاية فيقال تاية الجماسة وتاية الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطحوها بالجلة والوحل ايضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس او الغنم بدليل انه سال عنه الجماعة القاطنين بهذه التاية فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وادركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكر سايه وجلايه) اى حين علم ان محبوبه سافر وشت من التاية ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التاية لاحد امور اما انه انكسر على ابيه مال السلطان فهرب لئلا ياخذوه عنه رهينة او انه راح فى طلب عجلة او بقرة او ثور فشت فى البرارى لينظر ماذهب منه فسال هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الدلس فلم يجده

فبكى على فراقه كما هو عادة العشاق واسلوب المحبين وسال دمعه وامتنسيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضا (كما اتفق) ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ماذ كرتك يامنيتى * يسيل المخاط على لحيتى
وليتك عندى اذاما خربت * يكون لسانك فى ثقبتى
نسيمك عطل ماء السما * واورثنى الكسر في ركبتى
فان لم تغثنى بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتى

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعى بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية اى لما حصل لى هذا الامر مسحت دمعى السايل مع المخاط الذى هو من لوازمه بكرساية فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه ايضا بجلاية اى أنه استعار له ممسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسبه عشقه لهذا المحبوب وايضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما فى قطع الكرس وشيل الجله وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالحسية علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذلو قال مسحت دمعى بمنديل أو بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له محرمة او منديل الا نادر لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده فى كمه او فى لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه ليس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق فى وقت سؤاله عن محبوبه لانه سال عنه اهل التابة وهم دائما في حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضا فى حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم فى الخساسة ورئيسم في النجاسة ولا يتصور أن يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة في الغيط ذقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده فى قرص جلة أو القلقيل أو فى الحشيش او نحو ذلك (فان قيل) لاى شىء مسح دمعه بكرساية وجلاية وكان الاولى أن يمسحه بكمه أو بطرف كره او بشىء كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعله لم يكن عليه الاما يستربه عورته فقط او كان عريانا كما هو دأب الفلاحين فى غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لاغير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر اوقناة أو شيل زبل او جلة او نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل اوانه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن أن الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين أنهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها أوانه من الخضوع الفشروى والتذلل لمحبوبه اوانه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به أنه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية او بجلاية ليتحقق انه محب له وانه تعاطي لاجله أخس الاشياء والاولى ان يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق

وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشا من حين ولادته الى ان يموت فى الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لايجلس الا على النجاسة وربما أكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا أولاد خرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب التايات وحوالى الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دممه وافاق لنفسه وتيقن أن محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير أحدا يرسله الى داره ليأتيه بشىء يأكله من الخبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين فى الخرما كولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان في حالة حفر البئر اوشيل الطين او تحت قناد اوشيل الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب حفر البئر وشيل الطين او العشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد ابطا عليه الغدا اضطرار اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه لانهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت بعض الفقهاء) لما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا وقال لها من انا فقالت انت انت وأنا انا فسلط عليها الجوع وقال لها من انا فقالت انت الله الذى لا اله الا انت فكان الجوع على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا تري الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تأكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت ان تحيا صحيحا منعما ... فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره ... اذا قل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر أخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربي قلت مولايه) اى لما اطال على الزمن في حالة بكائي وفى مسحى الدموع واشرفت نفسى على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهي لربي اى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه اي رفعه وقوله لربى اى لخالقى ومربينى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم واما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه انه قال اطلب منك يا ربى ومولاى ان تدبر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى وأجاع نفسى وأسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جابه لى رغيف وعجوره وقتايه) أى سخر لى انسانا أعطانى مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم (فان قيل) استجابة الدعاء لها شروط ان يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه

متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة وقوفه ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود أو الجرن وايضاهو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ماذكر وهو الرغيف ومامعه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج اومن باب ماورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل فى قوله تعالى فى حق سيدنا موسى وفرعون عليهما الصلاة والسلام قال قد أجيبت دعوتكما اى بعد اربعين عاما * (مسئلة هبالية) * ما الحكمة فى ذكره فى الابيات الكرس والجلة والرغيف والعجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذلك ذاك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن أن يا كل القتاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع ان فيه أنواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلاية واحدة الجلة واحدة والعجوره والقتاية كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال وأما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سالت عن الحب السؤال هوان يسال الشخص عن شيء وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل او السيولة او من السيالة ومصدره السؤال يقال سال يسال سؤالا والحب مشتق من المحبة او من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت امى) وانا صغير تقول ياشي من شى بطنى على بطنه والمدلى يعمل شغله ولم أفهمه الا بعد مراجعة امى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا (وقوله) شت مشتق من الشتات اومن الشتيتة التى تستعملها النساء لحر الكتان والتاية مشتقة من التوهان اومن وادى التيه (وقوله) مسحت من الممسحة على وزن المروحة اومن المسحة على وزن دبحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلابه كذلك من معناها والكرساية من التكرس اومن كرس الزريبة وقوله شلت وجهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن اومن الشلف الذى يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجورة من العجر او من العجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا والقتاية مشتقة من القت الذى يربطوه الحصادين من الفلاحين ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفي البيت من أنواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلايه وقابل بطنه بالرغيف والعجورة والقتايه وهذا يدل على انه كان مشغولا ببطنه اشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوى ايضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ماحوى هذا النظم

القشر وى من غموم وهموم ومعاني عليها الجراطموم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق ومن اشعارهم مواليا

رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك ورحينا فى الزريبة قالت اشحالك
الا وكلاف يقول لى ياصبي مالك طوراين شيخ البلد حاله كاحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبة من باب النصر للصليبة ومعنى الفاظه الحويطة وحل معانيه العبيطة ان قوله رقاص (رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك) اي رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقصدير كما تفعله نساء الارياف اومن الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه صوت خلخالها ناشىء من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بانه الهواء المضغط بين قالع ومقلوع اوقارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والالو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامة الاعلى تقدير مضاف اى صوت رقاص طحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه الصوت خلخالك الخارج من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس في كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل أن رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فياتوا اليه للطحن فيه اولاجل دوران الثور او الفرس فانه مادام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل انشاء البهائم وسرعة دورانها فاين المناسبة بينه وبين الخلخال وايضا جعله الخلخال مشابها للخشب فى غاية البعد خصوصا اذا كان الخلخال من الفضة فان الشىء انما يشبه به ما كان مثله فالجواب أن هذا الطحان لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه ان صوت هذا الرقاص لم يكن في الدنيا أحسن سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس او الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب في السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف
* والطف ماسمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زها جمالا فما يطاق السلو عنه

ورق خصرا فلت شعرى * بكم يباع الدقيق منه

وحسن ماسمعته في محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يااهل الفتوة * كفلى أضعف خصرى * فاعينوني بقوة

أقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان أفعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر أن هـذا العاشق نظر الى الردف الثقيـل والخصر النحيل فمدحـه فاتضح الجواب وبان الصواب * ثم انه أضاف الطاحونة الى نفسـه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها ويحتمل أنها كانت ملكه أو أن هذا من باب بنى الامير الجدار ثم ما كفى هـذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ماذكره من النظم الركيك والمعنى الركيك حتى خيل له أن الرحا تخاطبه بالمقال وأنها تفهمه عن شرح الحال فأخبرعنها وقال (ورحينا فى الزريبة قالت اشحالك) يشعر هذا الكلام بان الرحا خاطبته وأنها سألته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يامسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له واما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ماهي فيه فى هذا الخطاب وبالجملة فان كانت اللام التى قبل حرف الروى منصوبة كان الخطاب له وان كانت مخفوضـة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتي أن نصب اللام وخفضها لا يضر في الشعر ويفهم من قرائن المقام أن محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا أي لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من أهله ثم انه لما علم من حالها أنها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وأنه يريد منها ما يريد الراهب من الحارة أراد أن يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض أصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضرب الفرقلة وتعب السواقى والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فاتي بأداة الاستثناء فقال (الا وكلاف يقول لى ياصبي مالك) وفي نسخة بدل مالك والك بالواو (طوران شيخ البلد حاله كاحوالك) أى أن هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التور أيضا وهو الذى يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها لما رأى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من أجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة خصوصا عنـد مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار وأذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى فى فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا

ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا رآه في حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ماهو فيه من الخمول وشدة النحول قال له ياصبي مالك أو والك على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعني واحد أي ماحالك هذا الذي أنت فيه وماسبب مقاساتك الخطب. وانما خاطبه بلفظ ياصبي لكونه اعترته الصبوة أي المحبة والميل وسيأتي اشتقاقها أو أنه كان من صبيان البلد أي من شجعانها وقد أذله الحب وأنحله الغرام والمعني انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه مانابك وأصابه ماأصابك. وهو ثور ابن شيخ البلد الذي هو اعظم الاثوار وأكبرها فان حاله الآن مثل حالك قد انتحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب وما كابده من النصب وماأكله من الضرب على أضلاعه وماحصل له من شدة أوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسي بالغير. كما سبق وأراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح أنه في الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس مايناسبه كانه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذي هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك وأتي بهذا التشبيه الخسيس المبني على غير تحسيس ليناسب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهية ماهو فيه لانه دائما في معاشرة البهائم والاثوار وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم بشبه بول الرجال وقائله أثقل من الجبال وأشرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رتاص طحونتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة في عود من الخشب أو الحديد فاذا دار الحجر قرقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القمص اومن قرية في البحر الغربي يقال لها مرقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا. فهو رقاص والطاحون على وزن المابون والمحون مشتقة من طحن القمح أو من الطحين. ومصدره الطحن يقال طحن يطحن طحنا فهو طاحن ومطحون والخلخال مشتق من الخلخلة أو من الخلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة والرحى جمع رحا وهي حجران صغيران . أحدهما مركب على الآخر الاعلى يدور علي الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قاله ابن دريد) رحمه الله تعالى في مقصورته

وان سمعت برحا منصوبة * للحرب فاعلم أنني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدتها رحا كما تقدم وهي مشتقة من الراحة او من الروحاء محله

بأرض الحجاز أو من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا
قال الشاعر له راحة مشتقة من رحا بهم * تروحني لما اروح الى أرضي
والزريبة مشتقة من رب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويجلوا فيها ربما بالوا فيها أيضا كما
هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا والكلاف مشتق من
الكلفة او من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله
ان هرون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت
الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم
فيكون مشتقا من العلف أو بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدره العلف يقال
علف يعلف علفا وقوله ياصبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا
لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة أو من
الصابون أو من قناطر الصابوني وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا (مسألة هبالية) لاى
شيء أتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه أن يأتى بالعجلة أيضا أو بالبقرة حتى يكون
الناظم فى مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة أو البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى
للانثي ويكون هذا من باب المقابلة التي هي أبلغ فى النظم (فان الجواب الفشروى) أنه
يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة أو البقرة كما أن ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض
على الناظم فى غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس بن فلطس الذى
الذى قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاي شيء حصر الناظم الرحى فى الزريبة مع انها
ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم أنهم يبلوا فيها ويخروا ايضا
حتى يغرقوها فما الحكمة في ذلك (قلنا نعم) وان قلنا أنهم يبلوا فيها بيقين فان البول لا يدوم
وربما كانت جوانبها سالمة من البول فيجعلوا فيها الرحى لاجل الطحين أو يقال أن نساء
الارياف لا يتحاشين من الزبل والجله فان المرأة منهن أثوابها دائما متضمخة بالجله
وغيرها في غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال (ومن أشعارهم) مواليا

رأيت حربقى بفرقله يسوق تيران * لوكنز أصفر على رأسه كما اللبسان
ياريتنى كنت لوحدوة من الحدوان * أو كان لى شلق فوق رأسى من الكتان

هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من سمنود لابى صير وأما معناه
الخارج عن الادراكات الجارح لقلوب ذى المروآت الذى يمجه الطبع ولا يسعه محل

من البيوت ولا ربع فان قوله (رأيت حر بقي بفرقله يسوق تيران) هذه الرؤية بصرية أي شاهدت ببصري لا بيدي ورجلي حر بقي أي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حر بقي أي صديقي أو صاحبي أو محبوبي ويقول له يافلان تعال حرفني أو لاقشني ياأبو واسعه أو هارشني ياابو عريضة او حارفيني يامليحه او ياابوكاره او ياابوكره ونحو ذلك من هذه الالفاظ وستاتي كيفية لقشهم على المرد والنساء في الارجوزة الآتية في آخر الجزء ان شاء الله تعالى وقوله بفرقله يسوق تيران يريد به التغالي في وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقله لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التي هو فيها من لبس او صنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له (كما اتفق) ان بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضرب به فانشد يقول

رايته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس

فقلت يا نفس اى الضرب يعجبكي * ضرب النواقيس ام ضرب النوى قيسى

فانظر الى رقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغني الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقله ايضا والفلاح عنده التيران في مقام الاولاد كما ان السواق عنده الفرقلة اعز من اخيه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يالفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهم الراسخ ماوصف به محبوبه من امر تعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق التيران وانه عنده من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتي وصف ما على راسه فقال (لوكر اصفر على راسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف تقديره ان لهذا المحبوب كرا وهو الشد الذي يلفه على راسه يشبه في لونه نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والعاظم له حيث وصفه بان له كرا اصفر على راسه يشبه نوار اللبسان وانه متميز عن غيره من السواقين والرعيان بهذا الكر فقل ان يلبسه احد من جنسه واذا فرض ان احدا يلبسه لا يكون كله اصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط مزعفرة او معصفرة كما يفعله اهل الريافة لاولادهم (فان قيل) لاى شيء شبه كر محبوبه بنوار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر اونحو ذلك (قلنا الجواب) واضح وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات وانما يعرف ماتظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بفرقلة فكان الانسب ان يشبه كره بما يعرفه والا

لوفرض انه شبه الكر بشيء لطيف اووصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرزالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم ان محبوبه دائما يمشي بحدوة في رجله اذا احتاج الى حرث الارض اوحصاد الزرع اوالذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمني ان يكون حدوة في رجليه من الحدوان فقال (ياريتني كنت له حدوة من الحدوان) اى ياليتني فابدل اللام راء على لغة اهل الريف كما تقدم اكون دائما حدوة في رجليه ولوكان بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة عقله وصقاعة لحيته حيث عمل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جدى من الجديان وأرذل من هذا التمنى في هذه الابيات قول بعضهم في المدرجات

يا ليتني كنت له سنداسا * أو كنت في أقدامه مداسا

فتمنيه في الشطر أشنع من تمنى هـذا الفلاح لان السنداس أشنع من الحدوة لانه محل الشيء المستقذر نعم الشطر الثانى من قبيل مانحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه يتمني ان يكون محبوبه مرفوعا على رأسه فقال (أوكان لى شلق فوق رأسى من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف أو الكتان وربما سمى أهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان في رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق رأسه لاجل ما يعصب رأسه به اذا اشتد وجعها من ألم الصداع أو الضارب أو الدواهى والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله * فان قيل اذا كان هذا العاشق قصده ان يكون محبوبه في صورة شلق من الكتان يربط به راسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما في تعب منه مع ان العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع الفشر وى لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق راسه مرفوعا لان الرأس ماراس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شيء ولا دون هذا العاشق أحد من العشاق في التواضع أو انه من قبيل الاشتغال به بربطه على راسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لراسه وللحدوة التي في رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى مالا طمع فيه على حد قول بعضهم

الاليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شيء تمنى هذا العاشق ان يكون حدوة ولم يتمن ان يكون وطا مع انه المناسب وربما كان الطف واظرف من الحدوة واغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وعجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا في ايام الاعياد ونحوها والمحبوبه

لا يليق به إلا الشيء النفيس فالجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث القشروى ان هذا المحبوب دائما يمشي الي الحرث والحراث لا يليق به المشي في حالة الحرث الا بالحدوة وأيضا هي أكثر استعمالا لكثرة مايدوس بها في الارض المحروثة في سروحه ورجوعه وفي شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة أوفى وأوفر وأوفق فتكون بقامه انسب بحاله من الوطا وأقرب وأيضا هي المعهودة والمعتادة في مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح أنه لا يسرح ولا يروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل في نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق أن يتمنى ان يكون له حدوة لانها عنده المحبوبة المالوفة فهي حسن من الوطا وأيضا العاشق من شانه ان يحب ماياَلفه محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل في الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك في جاريته وكان مغرما بها ومشغولا بحبها

أيا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال أنت لا بد لى منك
فاما بذلّ وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال هارون الرشيدى في جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسيات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان * مالى تطاوعنى البرية كلها وأطيعهن وهن فى عصياني * ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة أخرى) فان قيل كان من حق الناظم ان يقول (او كان لي شاق في وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان أو الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام أو لربط شيء ونحوه وأما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة في ذلك (قلنا الجواب) عن ذلك ان الشلق وان كان معدا لما ذكر الا ان الغرض للناظم خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير في اعلى مكان واشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلقوا على رؤوسهم الحبل اذا كان في شكل دق الكتان أو فتل الحلقة فيجعلوها مقام الكر وربطوا بها رؤسهم ويحفظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم وأما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق رأسي من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب (شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة أو من الحرافة او من حروف الهجاء أو من حرف الماجور قال (الشاعر)

حريف اذا ماشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح في القاموس الان قي أنه * من الحرف الماجور فاصغ لحكمه

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف * والغرقلة مشتقة من الفرقلة على

وزن المزبلة او من الفرقال على وزن المثقال او عبيد الزبال ورأيت في القاموس الازرق والناموس الابلق أن الاصل في وضعها الطراشة التي تلعب بها الخلابيص في السامر وعمات الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها في الاصل فرقيعة وقن الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل وأضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته وأقاموا الضمير المذكور مقام هاء التانيث وجعلوا المجموع ذلك علما على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا امثل ذلك في بعلبك ومعديكرب ونحوهما من المركبات المزجية (فان قيل) اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاى شيء ترك الناظم الاصل واتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الافى بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواق البهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم * ومصدرها الفرقلة يقال لها فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق او من الساقية او من السواقه ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة (قال الشاعر)

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقس لقدورد

والكر ما يلف على الراس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة اومن الكرا ويا او من الكرب او من كر الشيء اذا حله يقال كر عرضية فلان اذا اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكركرا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يا خذه اهل الريف وينزعوا وراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويا خذوا قوامه ويسموا المجموع وذلك كبر باللبن وسياتى ذكره في كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه اصفر وزهر الكتان أزرق (قال ابن سودون)

زهر الكتامع اللبسا * ن هما لونان ولا كذب * كيهود في دير خلطوا * بنصارى حركهم طرب * وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمي عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى فسا الكلاب وورقها ايضا يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيه بيقين منافع مذكورة في منافع النباتات اومن بئر اللبسان وهى بئر مشهورة فى أرض مصر يطلع فيها نبات يدخل في علم الصنعه الالهية ويقال ان هذه البئر هى باب الكنز الذى تاتي اليه الحبشة وتاخذه فى آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا * والحدوانة على وزن الجروان واحدها الحدوة وهى جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقة واذهاب الحفاء والعيا عن الرجل ونحو

ذلك ومصدره الحد ويقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهي طائر معروف من الفواسق الخمس التي جوز الشارع قتلهن (فان قيل) ان الحداية من شانها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا) هناك ادني مناسبة وهو ان الحدوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطرحته اذا أسرع صاحبها في المشى فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المعاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة وهي ان بعضهم افتقر فدخل الي بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيأ فعبس فى وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحدأة ألقت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تسوى جملة من المال فاخذه واتجر فيه وصار فى يسر الى ان مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه * ورأيت في القاموس الازرق والناموس الابلق ان الحدوة مشتقة من الحدادى واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال والحدوة اشتقاقها قد صححوا من الحدادى فاستمع ما رجحوا والحدادى على وزن الجنادى جمع حدايه * والشلق مشتق من الشلوق اومن الشلقة او من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا * والكتان معروف وهو مشتق من الكتاتنية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل) لاى شيء تمنى ان يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص او حلفة او نحو ذلك (قلنا) لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة اولعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فاتى بما يناسب الحال نعم لوكان محبوبه صعيديا لناسب ان ياتى بشلق الحلفة لكون الصعيدي يألفها ولهذا يقال صعيدى مصاص حلفة اوكان خواصا لناسب ان ياتى بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال وقد أنهينا ما اردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وفشارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشف معناه الذى يشبه الخرا الذي لا يعرف الا بالذوق * ولا بد ان نأتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق ان هرون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا بارعا في النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى اشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى في غد اقول له ينظم الشعر ويعرضه

على ابى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه و نطلع على
شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين و اخبرته بالقصة التي وقعت بينها
و بين ابيه وألزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا و يعرضها على ابى نواس فاجابها لذلك
واعتزل فى محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل ابياتا ياتى
ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابي نواس
وقالت له اسمع ماقاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا في النظم فقال له ابونواس
أسمعنى ماقلت فانشد يقول نحن بنو العباس نجلس على الكراسى
فقال ابونواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد
يقول نقاتل الاعادى بالسيف والمزراق
فقال له أبونواس انلفت ماقلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجن اياما
فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر
الامين وساله عن السبب فاخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه رأى في
شعرك خللا ماعابه فقال انا انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر نظمى و نباهتى فيما أنظمه
فقال له افعل مابدالك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق احدا عنده وقدح
فكرته الكاسدة حتى عمل ابياتا واتي الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابونواس
فقال لهم اسمعوا شعرى فقال ابونواس تكلم بما قلت فانشد يقول

ياقاعده فى الاربع * مامثلك في الابلد شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل
والسمن فوقك سايح مثل الحصان الابلق

فلما سمع ابونواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن ياسيدى
ولا اسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدته زبيدة لادته وسكتت
(واسمج) من هذا النظم ماقاله مرجان الحبشي وكان اميرا بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا
النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع لزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه
الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا وها انا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوبا بالتخميس
وهو يارسول الله قل من الناس المعروف اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعدما كنت مثل الخروف المعلوف . يارسول الله اغثنا اغاثة الملهوف
لقد اضرت به اشرار من اللكماء يارسول الله ماعاد فى حد خير
يارسول الله مابقوا يوقر واصغير ولا كبير يارسول الله كن لى منهم نصير
يارسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير وهم يسوقونا بالعصاء
يارسول الله احنا من رعيتك يارسول الله احنا من جملة امتك

يا رسول الله احنا في جيرتك | يا رسول الله بحق صحا تتك
أجرنا من النار لها سعراء
ياما غزا الكفار بعسكره وعزه | وانا امدح نبي ربه استخاره وعزه
وقد عرج به ربنا وعزه | ومن صلي عليه ربه لم يخزه
ضاهيت بها همزية الابي صيرى | وقد رأى من آيات ربه الكبراء
وانظر الى الصير هو مثل البوري | والفرق بينهما يلوح للنحرير
والا الصقر الصائد مثل البوماء | والا جبل مصر مثل الطور
ومن عارض نظمى في لحيته يلقي موسا | انا انتخبت الفاظها من القاموسا
لا بدان يميز بين الجاموسا والناموسا | ومن له في الادب رتبة أو ناموسا
نظمى هذا ماهو مثل نظم الناس | واولادا الحلال ماهي مثل اولادا الزناء
ومن يستمع نظمى يقول دهاس | نظمي هذا مثل درة في كاس
انا مرجان والحبشان لى آباء | قد فقت فى النظم ابو النواس
وادرى بحور النظم بالكليه | انا مرجان والى اسكندرية
انا اصبحت مثل الشمس المضيه | ومن عارض نظمى يلقى بليه
نظمى مثل درة في حق | ونظمى مثل نظم أبو العلاء
هو ابن المخاض مثل بنت الحق | لهفى على فتى عارف منحق
وانا اصبحت مثل القط اصطاد الفاراء | ولا النمل السباع، مثل البق
ولا ضاهى قولى لا كبير ولا صغير | أنا اصبحت مالى فى نظمى نظير
أنا مرجان الحبشى الامير | وأنا اعطاني ربي الخبير
واختم قولى بمدح طه الزين | استخرج الدر من البحراء
وقبل حجرته وشاف بالعين | ياسعادة من زاره فى حنين
وقال له ياجد الحسن والحسين

اشفع لمرجان ينجو من التاراء

* فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هذا الغبي البليدان نظمه في غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار * ورأيت له ايضا نظما اثقل من الحجارة وانجس من ماء الحرارة قد حكي في تر تيبه القلقيل فى الرص وفى رؤ يته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الرباني والهيكل الصمدانى سيدى ابن الفارض نفعنا الله ببركاته فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب طربنا بها | كميت من الكرم ختامها مسك
ودارت علينا سقاة في يدها كؤس | كل ساق منهم يحكى لنجمة الفلك

ويا ما شفنا من خمرتنا ورأينا الغرائب امور محتبكات ومرتبكات ربك
وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب واندكت جبالنا من اطوارنا دك
مدامتنا هذى تعلو على مدامة الفارضي واين الثريا من الثرا ولعمري بعيد من الدرك
مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل ولا عند الرهبان والقسوس وابناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها في كاسها قال من طعمها هذه مثل السك
ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكو
ومن اوصافها كان ان شربها ضعيف طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن اوصافها ان مزكوم على ديرها وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك
ومن اوصافها ان صبت في قار ورة صبا تشاكل الامرء راح الطرف من حسنها يحكو
ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم لترجم بكل لسان مثل سنا الملك
وقد شرب منها مرجان شربة فاضحى بها في الكون بلا شك
فدونك مدامتنا لا تحود عن شربها ففى شربها يا خالى البالى الحك والدك
وفي شربها فى حانها وسط مجلسها من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمرتي هذه بصلاتى وسلامى على نبي عربى جاء الجمل يشكو
وعلى آله واصحابه كلما حطوا الحجاج عند سيرهم الحمل وفكوا

فانظر الى قلة عدم اصابة ميزان الخمرية وفرضها لكون ناظمها قلب طولها فى عرضها * وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظاميين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره وتقطع مثل المنشاره

ما تقول أيها النائب في هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان ضحك عليه واشار بكلامه اليه وانا الاخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضى تكلم ايها النائب وصاحب الرأى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره وتحب طبيخ البيساره

قال فهام القاضي طربا من كلامه ومن شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل وادوات سفره قد حضرت وودعه بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعي النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلي مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبها لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان

لا يا كل الا من الز بدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الا نثي ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير انه كان يغلب عليه الخلاعة والا نبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعالى و نفعنا به فارسل اليه يقول

بعد از كي السـلام مني نهاضه　　لحبيب يحب دون بغاضـه
اسمه السلسيلي والشيخ محمد　　زادك الله في الانام رياضـه
انت في ذا الزمان فيح غزير　　وسواك الانام مثل النفاضـه
انت ارسلت في الكتاب بتسال　　عن عريب فانهـا من بياضه
وهنيد زادت عن الكل عجبا　　بسواد العيون لا بالغلاضه
من يحب الملاح يسلى الدراهم　　وعهدنا ماتمتلك شي قراضه
وأنا اسمي راز في الشيخ محمد　　ألضم القول أطرزه بالفضاضه

فلما قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرؤها له لانه كان بصيراً فينشرح و يزول عنه انقباضه * و يقرب من هذا النظم المرثية التي رأيتها لبعض الشعراء البلداء في رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فاحببت ان اثبتها لما فيها من الابيات المعجرفة والمعاني المقلحفة وهي هذه

احمد الله لطيف اللطفا　　في ابتدائي بمديح صنفا　　وعلى از كى البرايا كلها
صلوات الله جاءت بالوفا　　وعلى الآل جميعا كلهم　　وعلى اصحابه والخلفا
بعد هـذا ابتدى مرثية　　في امير موته قد حتفا　　جاءه الموت سريعا عاجلا
وعليـه عزرئيل عكفا　　بعد ما مات بلغني موته　　عندها دمعي بعيني دلفا
ودموعي من عيوني قد جرت　　مثل ما تجري سواقي مرصفا
قلت لما موته قد جاءني　　صائحا يا اسـفا يا اسفا
مات من في الناس يذكر اسمه　　بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات كادت الارض ان تغور　　والسما صارت سحايا كسفا
والاماكن كلها من بعده　　ونبات الارض حقا قلحفا　　كم له وسط المدينة سمعة
كالصناجق بل واعلى شرفا　　كان والله شجاعا بطلا
حين تنظره العدا ترتجفا　　قد تولى وانقضت ايامه　　يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت　　اخذوها اهل الطمع بالجزفا
لما ذا الامير اتاني نعيه　　خفق القلب له وارتجفا　　والاعادي فرحوا في موته
لاجل مال ينهبوه جزفا　　من معادن فضة مع ذهب
وكنوز اخرجوها قففا　　ورثوها بعـده اعداؤه　　فرقوها اليوم بفرد العلقة

من جواهر لاتضاهى كثرة   لامعات نورها قد وصفا
ويواقيت زبرجد ارلؤ   ودلاص سابغات رعفا   قدرت فى بيت مال عدوها
الف الفى الف الفى مقطفا   وعلى الكاشف منها اخذا
بعد ما اسرف فيها مجحفا   اودعوها بيت مال بعدما   اخذ الكاشف منها واكتفى
كم أتي في بيته من مرأة   مع بنات لابسات الغدفا   ثم قد نحن عليه حزنا
وعليه الناس صلت صففا   كم امير جاء في تربته   ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء في موتته   وتلا ياسين ثم الزخرفا   ياترى قد مات بالبطن اذى
أو وبا أو بالرعاف ارتعفا   ليتني شاهدته فى كفن   ذى بياض حين فيه لفلفا
ليته لو عاش قرنا كاملا   لكن الموت عليه زحفا   ياترى من عاد يخلف بعده
في مكارم قل فيها من وفي   فعسى يأتى حسين بعده   يفتح البيت ويبقى منصفا
فليت شعرى لو تخلف بعده   وتكرم مثله كي يخلفا   حيث اخلى داره من حسة
رائد الموت عليه عطفا   هكذا الدنيا دواما طبعها   تقهر الناس وتأتي بالجفا
كل مافيها تراه زائل   تنقلب بالغدر مثل الجرفا   ليس يعجبنى الاماره كلهم
كالامير ابن الخواجا مصطفى   كم غمرنا احسانه مع جوده
كم عطايا زائدات بالوفا   كيف لا ابكي علي من جاد لى
بعطايا ما اعطاها خسرفا   رب فارحمه وخلى بعده   امه والست وابنه يوسفا
قد توفى فى جماد الأول   سادس الشهر خميسا اشرفا   عام ارخ من ثلاثين مضت
بعد الف من سنين تعرفا   بعد هجرة من اتانا رحمة   بالهدي ازكي البرايا شرفا
يا الهى اغفر لناظمها اسمه   عابد الرحمن وابنه يوسفا   جده يسمى محمد مغورى
فارض عنه يالطيف اللطفا   وارحم الوالد واجداد له
والامير ابن الخواجا مصطفى   وصلاتي وسلامي دائما
للنبي والآل صحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابي من العمر ستين سنة وعاشت امى ار بعين سنه وانا فى سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التى ملكتها ثم اخرج له رقعة مكتوبا فيها

قد فتح السلطان بلدة   وأتي سعد البلدة
فلما فتحها ارختها   حاكما في شهر ذى القعدة

فقال له الملك لم أرا برد من كلامك الا شعرك ومن نثرك الا لحيتك قال فخجل الرجل

ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغى للشاعر ان يعرض قصيدته حتى يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم فى ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة　　مالم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا رويت الشعر غير مهذب　　جعلوه منك وساوسا تهذى بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد واراض بعيدة واماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شيء لله ويقول لهم انظروا احجو بين الاولياء وهم طائرون فوق النجائب وقد اقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد انه ولى وقال في نفسه انا لى مدة اخدم شيخي ما رايته شاف نبي ولا ولى ولا اخبرنى بشيء من هذا الاية ول لى صلى وصوم وما اشبه ذلك والاولى ان اخدم هذا الولى الفقير لعله أن يطلعنى على الاولياء والنجائب الطيارين دائما فى الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقى وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولأمرك سامعا واعلم انى تعبت من شيخى وهو يقول لى صوم وصلى واعبد ربك الذى لا اله الا هو ولم ارمنه بركة ومرادي انظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقى اعلم يا ولدى ان الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فانت تريح نفسك من هذا التعب وانا اصب لك عامود النور فى بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على النجائب الخضر وتشاهد الملكوت العلوى والسفلى فقال له الغلام فتى تصب لى عامود النور هذا فقال له حتى ادبر لك ماء الحياة واستقطره فقال له ياسيدى شى لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شيء ابيض يجرى فى قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيئا من هذه الامور الذميمة فقال له ذلك الشقي الممقوت قم بنا على الخلوة فاخذه ومضى الى ان صار وافى خلوة والتعس النكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدى على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقي يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغى ويزبد ويظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت فى قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فخطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المرخمة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفاته حتى قضى منه المراد

على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنا ان لا نجائب عنده   ولا الاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وأمسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ماقدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (حكي) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائرا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا مقتولا بجنب حائط والدم يجري على أوراكه فوقف ساعة ينتظر أحدا فلم ير أحدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلي وقدامه ابريق وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى أتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد ياشقي تلبس على الله وعلى الناس ماهذه الحوبشة وتقتل النفس التى حرم الله قتلها فلاى شىء قتلت هذا الرجل الذى مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذى قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذى ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ماأنت فقير بل أنت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا ياخواني الى هؤلاء الفقراء المتزندقين وأعمالهم الخبيثة التى لاتحصيها كتب ودفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وان يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ماجاء به الرسول اللهم احشرنا فى زمرتهم وتحت لوائهم آمين يارب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لاحقيقة لها وان الشخص جنته وناره وحسابه في نفسه وان الدنيا لاتفنى ولا تزول وانما هي شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول ابى العلاء المعرى

اتى عيسى فأبطل شرع موسى   وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لانبي بعد هذا   فضل القوم بين غد وامس
ومهما عشت فى دنياك هذى   فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتي   وان قلت الصحيح دخلت رمسى

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت في جسد من الاجساد في آدمي او في حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التى كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا ياخوانى الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم

الله تعالى (ويحكى) ان رجلا صالحاً اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا في القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك في هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اشأم حال نسأل الله تعالى السلامة في الدين والدنيا والآخره (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم في فضل العبادة فقال لي ياسيدى الى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى احمد البدوى نفعنا الله به وقال كن لي يا ابا الفرجات وتقبل عبادتي ويسر لي رزقي فقلت له ما هذا الكلام لا يقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى احمد البدوى رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له في ملكه فقال لي ياسيدى انما افعل ذلك عن شيخي الذى كان يقول لي قبل موته اقصد بعبادتك سيدى احمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقدمات شيخك على ضلال وعبادتك كلها في هذه المدة فاسدة باطلة ثم انه ادركته العناية فتاب على يدى وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله واخلص في عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قدهام في الجمع وغنى فقال

ياها يماخذ من خراطيز كلبتى * والطخ لحالك والحاضرين وراك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم واملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف في وسط الجمع ودردش باللسان وخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ في يدك شيأ من الزيت وارفع يدك في الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت في جيبك زيتونة خضراء فاخرجها بلطافة وارها للغلام وللناس فيعتقدون انك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمني الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنىّ ولا يصح تدبيرها الا في الخلوة وأدخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضي منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان واخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شيء لله

وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له ياسيدى اكون معك واطلعني على الكرامات والولايات فقال له ياولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له ياسيدى ومتى تفعل ذلك فقال له ياغلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة أحد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما منعه الا الخصيتان فصاح الغلام الامان الامان ماهذه ولاية قاتل الله الا بعد ثم قام من عليه بعد أن قضى مراده وتحقق الغلام أن هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى لقيا جمع فقراء في مولد فقام هذا الشقى بجنابته في الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبة مليحة مرخمه وصبينا فيها من النور جانب

فاجابه الغلام بقوله ماعدت تنظرها من اليوم ياقبيح * وماعادلك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وان الغلام فات مرتبته وحجبه عنها وفاق على شيخه في الولاية والحال أنه مارقى الاعلى هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب في تلك القبة الدمعة الخارقة الحارة الدافقة وقبل الخدود ودفع فيه العمود نهم في سكرتهم يعمهون قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجر والده وان تدروش قام النائكون وراءه

أى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين المحلقين اللحي او غيرهم من خواسر الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته وشغلوه عن الدنيا والدين ودار معهم في التعاسة والخزى والنجاسة حتى تطلع لحيته فيتركوه خرا بلاذوق لا من النيك يشبع ولا من المال يجمع ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد لو التحى وشاب ويتمثلون ويظنون انه الصواب بقول من قال

أهواه طفلا فى القماط وامردا وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فقلت لاصحاب اللحاء تعففا فلا انا لوطيا ولا انا زانيا

وهذا الخلاف مذهبنا فى المحبة وسلوكنا فى العشق فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشرة سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القشل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفى الخال الذي فى خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل فى المعنى

التحى الامرد الذى كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه وسريعا تصحفا

سر والله ناظرى مذرأى ذلك اشتفى شكر الله لحية صيرت وجهه قفا

وقال آخر

سلب الناس بالمحاسن حتى ... اذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه ... وكفى الله المؤمنين القتالا

(ولوالدى) عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الخد ذقن ... أثرت ظلمة قبيل النبات

كانتشار الظلام فى الشرق لما ... غابت الشمس عند وقت البيات

(وقال آخر)

مافعل الله باليهود ... ولا بعاد ولا ثمود

ولا بفرعون مذ عصاه ... مافعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لايكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوى اللطافة في الطيّ والنشر فاذا بلغ خمسة عشر صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولواحظه لعداله ملسنة وهذا هو الغرض والمرام عند أهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم عادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة ومن فعل هؤلاء الطوائف الذى ابتدعوه والامر القبيح الذى اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال أنه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة أبالسة كانهم من جنس القساقسة أو من دير الرهبان أو من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به في بعض الحال يقرؤن فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم فى غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ورباصاروا به من بلد الى أخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شيء لله ياشيخ فلان وربما زغرط النسوان ورمين عليه الطرح بقدر الامكان * واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيان انهم مكثوا دائرين بميت من أول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التى ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر ... فان يكن ماموره فبادر

وان لا يختلف بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعتزل عنهم وان رأى منهم مايخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله وانختم

هذا الجزء بارجوزة تتضمن ماذكرناه في هذه الاوراق وماعايناه من احوالهم كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر   لله حمدى دائما وشكرى   ثم الصلاة والسلام أبدا
على رسوله الكريم احمدا   كذاك كل آله وصحبه   ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد انى ناظم ارجوزة   لطيفة مفيدة وجيزة   تخبر عن حال ذوى الرزاله
كذا عوام الريف لامحاله   فخذ هداك الله ما اقول   في نظمها وعنه لا تحول

اذا اردت وصف أهل الريف   أهل الشقاء وذوى القحوف
وغيرهم من فقهاء الجهل   كذا قضاتها عديمو العقل

والعلماء منهم والخطبا   وغيرهم ثم النسا والادبا   فاعلم هداك الله للصواب

لا تصحب الفلاح لاكتساب   ولا لفضل منه حقا تعرفه
ولا لامر من مهم يكشفه   ولا ترج منه نفعا يحصل
اذ ليس للامر الشديد يحمل   وليس يرجى لقضاء حاجة
بل دأبه الالحاح واللجاجة   وان قضى مع كون ذاك نادرا
تلق له وجها عبوسا كاشرا   ويطلب الاجر على قضاها
أو تتخذه سيداً أو جاها   تصير فى خدمته والنفع
فى الحرث والقلع وضم الزرع   وكلما اردت منه تخلص
يرميك في هم له ينغص   فاسمع لقولى ان ترد فلاحا
لحاجة فما ترى نجاحا   ولا تؤمنه على معامله
فليس يعطيك سوي المماطله   وان تزد معه سريعا يختصم

يقول لك حتى أسد الملتزم   وان بقى شىء من الزرع فلك   خذه والا لا تطول املك
وان اطلت معه المخاصمه   اتاك بالشر مع الملاكمه   ويسحب النبوت والحزاما
ويلزمك عاله الزاما   وربما يقول للملتزم   هذا يريد أن يزيل نعمي

ويأخذ الزرع بتلك الحيلة   والمال يبقى يا امير بلدتي
واخرب سريعا وتبور الارض   من حى فلاح عليه القرض

فيمنع الامير رب الدين   عنه وتمسى حائراً فى شين   فليس فيهم ابدا نجاح
وليس يرجى منهم صلاح   بل مثلهم مثل الكلاب الجائعة   وحالهم حال الوحوش الرائعه
ونظمهم في الوحل ثم الجله   وضربهم للثور ثم العجله   تسبيحهم قم رح بنا للساقيه

واحسب لنا مال البلد في الزاويه   غالبهم عوراتهم مكشوفة
شعرته من طولها ملفوفه   وان لحفر البئر يوما قصدا

يتزل عريانا كما قد ولدا وليس فوق جسمه مايستتر
بل ايره ممتط مطرطر وفلسه للحر والبرد برز
وطيزة من الشقا بها غرز رجلاه لو تراهما من القشف
مثل جلود قد بدافيها التلف وهمهم وشغلهم فى الطر
فى حالة البرد ووقت الحر ونطهم فى الحر بالغيطان
كمثل نط الوحش فى الوديان وضمهم للزرع وقت الميظ
مثل عفاريت أتت فى الغيظ وان يريدوا المرح والملاعبه
مثل كباش قد اتت محاربه تلق لهم حينئذ زعيقا
تحسبه ياصاحبي نهيقا بل ربما يفوت صوت الرعد
في عفرة وغبرة وطرد وان تجمعوا للعب الكبيره
تراهم فى غارة وغوره من كثرة الصياح والزعيق
والجرى فى الزقاق والطريق اولادهم ان لعبوا المداره
أو جلسوا للرقص والزماره أو سرحوا بقصد جمع الجله
أو التقاط سبل أو رجله مثل عفاريت اتت فى زوبعه
أو فرق من القرود الجائعه صبيانهم اذ يلعبون فانح
كانهم بهائم سوارح وان هم في حاجة تعللوا فعل الصبيان تلك العلل
وان أتت مواسم كالعيد تراهم فى النط كالفرود
ونردهم ترقص والنساء فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت مثل قرود فى الفيافي أقبلت

و يقتلون النفس عند كلمة * ان قال شخص بالضد الذمه * شخص على منهم لسعد للشر يدعوهم وكل كيد * ولحرام آخر يميل * يصيح في اغرائهم يقول خذوه من قبل تزون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه * فذا يصيح بالسعد أسعدوا وآخر يال حرام أنجدوا * فذانك اللفظان دون لبس * عندهم امر بقتل النفس فيخربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل في الطرقات * وان اتتهم للقتال عسكر فروا الى جبالهم واستتروا * وعند ماعادوا الى البلاد * عادوا الى الشر والفساد فما جزاءهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم والحبس * فقسوة القلب لهم طبيعه وقلة الخير لهم ذريعه * ومشيهم فى الحر من غير وطا * ونومهم في الغيط من غير غطا

وطرهم فى ظلم الليالى في الجرن ياصاح او التلال

قد يبست جلودهم في الحر ... كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الطين ثم الوحل ... وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم في البئر والسواقى ... ومشيهم ايضا بلا طواقي
ومنهم من لايزيل شعرا ... والرأس لا يحلقه ماعمرا
ولا يقص شاربا أو لحيه ... ولا ينظف فلسه من خريه
وشدة فيهم على الخناق ... منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام ... وصبرهم للجسر ثم الطم
واكلهم في العدس والبسله ... كمثل اكل كلبة او عجلة
ومن تراه منهم يصلى ... تراه لايعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس ... ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جنا يوما على الفسقيه ... تجد له طيزا كما البرنيه
كذاك من يجنبه وآخر ... وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل ... فهو حقير عندهم في ذل
ولن يطيعوا الشرع الاغضبا ... او يوجعوا الاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال ... فعندهم كالعم أو كالخال
ويجلسون عنده في أدب ... او يقف الواحد منهم كالصبي
وليس فيهم رحمة لعالم ... لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعدوان فيهم شائع ... والخير والاحسان منهم ضائع
اخلاقهم تروى عن ابن حجر ... طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه ... عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل ... والضرط الفساء وابن زبل
فلا اجزاهم ربنا خيرا ولا ... لقاهم سوي الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه ... اذا اتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف ... سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جنا يوما على الجفان ... كأنه الناطور في الغيطان
يفترس الاكلة من يسار ... وبلعه عن مضغ ذاك عارى
يقول أروى لكم روايه ... تنبي عن الضمير بالدرايه
وفى غد أروى لكم قصيده ... لعنتر في عبلة الفريده
كذلكم دلهمة البطال ... وسيرة الراهب والجمال

واشرح لكم واقل لكم عن شيخه … وام جابر بنت أبو فريحه

وأروى لكم ماقد أتانى عن أبى … وأبى قد قال أيضا عن أبى

وقال جدي ذاك أبو غنداف … صلوا ولو كنتم على القداف

ولو بلا وضوء ولا طهاره … كما روى عن جدتي شراره

قاضيهم اذا اتي لشغل … مثل رئيس قد اتي بالطبل

ينزل عن البغله او الحماره … كانه الراهب أبو زراره

وعند ما يجلس فى انتفاخ … تفرش له قطعه من الاخاخ

وبعد ذا يأتى اليه المشتكى … ثم يقف على عصاه متكى

وبعضهم على العصا يلف … رجلا له وهو ثقيل قحف

يسأله يا قاضي الهموم … هات لعندى ابن أبي دعموم

وحياة دقنك جاتى سرقها … وارابع قفف من زبلنا حرقها

وقد أخذ وحياة رأسك حدوتي … وعمتى المشرمطه ولبدتي

احكم بحكم الله ياقاضى البلد … والاضربتك ألف نبوت بالعدد

يقول هذا قد لزمه الحد … حيث سرق ومنه تقطع يد

رح ياقفا ياعرص يا ابن الزبله … ادفع له قيمة هذه العمله

وصالح الخصم وهات لى فرخة … والا علي دقنك أشخ شخه

ان عقد النكاح ليس يدرى … منه سوي زوجت بنت عمرو

وليس يدرى شاهدا ولا ولى … ولا يعرف صحة من علل

اذا قضي قضية وبتها … يخري سريعا عندها ياليتها

فقيرهم شعاره الابريق … والنط والصريخ والتصفيق

وذا مريدى ومريد جدى … وذا الولد بدايتى وعبدي

يسير طول الليل خلف ظهرى … غير مصلى مغرب او ظهر

الا باذنى او بدا تشويشه … ومن رآه قال ذا درويشه

وعند ما ياتي به الموالدا … من خلفه تلقاه حقا لا بدا

ويدخل الجمع به يدروش … وباللسان بينهم يدردش

فيزعقوا ويضربوا الكفوفا … ثم يقوموا كلهم صفوفا

ثم يقولوا اخبر الشيخ الولى … عن اوليا جاءت من ارض الموصل

هذا يجي بين السما والارض … على النجايب ماعليه من فرض

ولا بقي عاوز الى عباده … هذا بقي في نفسه الرشاده

هذا فقير بالقول والاشاره — هـذا ولى فسية الحمـاره
وان تسله حالة الطريق — يقول مانعرف سوى الابريق
وهز وسطى ثم طرق يدى — وميلان لبدني وشدى
ان قدم الماجور احط كفى — واطلع بلقمه مثل دور الخالف
وبالدراويش بجنب الشط — امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سياده — اقل له البيتـه وهات العاده
وهات لى الفرخا مع العليقه — وليس يعرف غير ذى الطريقه
ومذهبي يا سـعد يا حرام — ولا اقل بأن ذا حـرام
اخذت عن شيخي بهذا الفعل — فهو حقيق مشـبه بالعجل
ومنهمو طوائف خوامس — وكلهـم بجمعهـم أبالس
لا يعرفون الصوم والصلاة — ولا يرون الحج والزكاة
تراهمو جميعهم أنعاما — لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات — وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر — وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل — وليس فيهم رجل يمـاثل
لاهل فضل او لذى كمال — بل كلهم فى رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا — فشعره يشبه طعم العذرا
او قبح قول جا بلا روايه — او رص قلقيل بلا درايه
ان لم تكن ذقت الخرا فى العمر — فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه — لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم اجلاف مع اوباش — مثل عير الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم — ألقابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم حنيجل وجليجل وقطا — والخاج عنطوز بن ابو فردة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط — كذا خرا الحس وابو معيط
ثم قليطه وشلاطه قد ورد — كذا لهاطه وزعاطه فى العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط — صغار مع بهوار مع ضرميط
بزبوز مع عموز مع قروش — سمنوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا — كذا حنين بن بنين شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا — ابو شوالى ومنسامر يغنوا

كذا أبو عفر أبو دعموم … وابو الدواهي مع ابو الميشوم

ابو شادوف ابو جاروف ابو نطاح … مشكاح ابو رماح ابو ورياح

من جهلهم ميم محمد يكسروا … والحاء ايضا عندهم قد تكسر

محمدين قد سمعت منهمو … كذا بهام وعقيرب فيهمو

والقلط والضراط قد روينا … و يبدلون الصاد ايضا سينا

فهذه اسمـاء مثل الوحل … أو أنها شبه ضراط النمل

وان ترى الاسماء لا تعلل … فانهـا والله بئس العلل

وان ينادي الشخص منهم آخرا … يجيبه بقبح لفظ كالخرا

وان ينـادى للمرا ياداهيه … تجيبه لمـا يشخ عجليه

وعندهم من افصح اللغات … كقولهم في الارث ذاميراتى

وضب فى البوشه وهات جوادي … ماضال آتى مازال هذا الوادى

يعنون بالجواد مركوبا حضر … كذاك هاتوالى الكرامن السجر

جمبو بتى راحت من المرجونه … سيرى اسكنى جواحدا الطاحونه

قومى اختي لى فى الزريبه نقره … لاجل اقوم بالليل وفيها أخره

غداتري الجدعان نطوا فى المراح … يوم الهروبه فى الزريبه بانشراح

جمارا جاجمص مسخمط بجله … اليوم الوعنزين وعنده عجله

والحج عنطوز قد حضر في كرشه … اليوم وراح هر بيط وجاب له كرشه

وحطها في الدست يطبخها بفرحه … بقرتها خدها ابن راس المسحه

اليوم بلدنا شيخها ابو عوكل … وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل

والحج قلوط الكبير في هودج … والحج جماص بن حزق النورج

وانمـا اسماؤهم مناسبه … ذواتهـم وأفعالهم مقاربه

نساؤهم ايضا لهن أسمـا … نخـذ هـديه بعدها ونجما

زعره و بعره ميكله خطيطه … بلوه وعلوه شايعه حويطة

شيخه زراره مع شباره سموا … كذا معيكه وركيـله ضموا

سقساقة ايضا كذا شلبايه … وخريوه وفسيوه وعطايه

كذا شقيرة ثم غاسوله ورد … حمده ولبده وعطيـه فى العدد

وطالبـه وهاربه حطيبه … كذا فريجه بنت ابو عربيه

وقد سمعت رجلا ينادي … حجه خديوه اغسلى الزبادى

واحلبي البقره وهاتي العجله … روحى حدا الجدعان وشوفي النخله

قومى وحطى العدس في القصوله   انتى وايا بنت ابو بعبوله
ياداهيه يا داهيه تعالى   جتكى من الحيط بنت ابو شوالى
قومى تعا اتعشى بنا في الموضع   ابنك بيخرى هى تقل كل واشبع
هاتى لنا قطعة وسخ من ابنكي   ألطخ بها الجله وشوفى بنتكي
ياداهيه روحى وهاتي البقره   انت وبنت الحس قفاك خضره
ياداهيه روحى وشوفى النقره   فى وسطها جله طريه خضره
وحولها شوفي الحمار والعجله   ولمى بعرتها اعمليها جله
فهذه اسما النساء فخرا   شبيهة بالوحل عند الخرا
ولقشهم يا ابن الوطا ياحدوه   ياخرا الحس وابن بنت الفسوه
ياعلق ماتجى عندي يا بوكاره   يللى بتخري كل يوم في الحاره
وانتا بتقعد للمسا في الشونه   وكم ينيكوك في الدره بالعونه

﴿ تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين
(وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان
الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمة الباردة والفكرة الكاسدة تحركت ايام اوائل لتأليف
كتاب صار في الاوراق حاصل في أحوال الريف باتفاق ومالهم من نظم ونثر وحب
واشتياق وصار جزأ لا يرى في الكثافة له شبيه ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه وكان
كالمقدمة للقصيد وقد حوي معاني تشبه قحوف الجر بدو ختم بالارجوزة الحاوية لما فيه
من النثر والاشعار وغايته اعتراف من بنات الافكار اردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل
معاني القصيد التي عليه مدار تلك المباني فحركت فكرتي الخاملة واطلقت عنان اليراع لبيان
تلك الامور الحاصلة لحل معاني نظم القصيد منسكبا عليه انسكاب الوابل على الصعيد
يفوح معناها كريح الفسوي ومعاني تشبه في الوضع خابط عشوى فساعدتني الفكرة لما
اليه قصدت وتحركت معي لما اليه اردت وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك
المعبود (فاقول) ذكر نسب الناظم وماحواه وذكر الموضع الذي ضمه وآواه وسبب
سعادته وحصولها وصفته لحيته هل كانت طويلة أو قل طولها وكيف مال عليه الدهر في
آخر الزمان حتى انشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان فنقول (أما نسبه) فعلى أقوال فنهم
من صرح أنه أبو شادوف بن أبو جاروف بن شقادف بن لقالق بن بحالق بن عفلق بن عفر بن
دعموم بن فلحس بن خرا الحس فاذا ذقت الكلام بعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا
القول (وقيل) أبو شادوف بن أبو جاروف بن بردع بن زو بع بن بحالق بن عنلق بن بهدل بن
عوكل بن عمره بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول بن خرا الحس وعلى الثاني لابن
كل خرا وهو لا يصح لان اكل الخرا أبلغ من لحسه (وأما قريته) ففيها خلاف قيل أنه
من تل فندروك وقيل من كفر شمرطاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض
أشعاره يخبر عن نسبه فقال شعر

أنا ياناس في قولي دلايل	ونظمي حق ماهوشي هبايل
أبو شادوف أنا قال لي أبويه	عليه وجدتي ديك أم نايل
باني قد تربيت ياجماعه	بكفر يعرفوه ناس أوايل
يسمى بكفر شمرلي وطاطي	فكن صاحب فهامه يافساقل
وذا قولي وأبو شادوف اسمي	وشعري حق من جاني بسايل

وسمعت شعر البعض أهل الريف يدل أنه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد كلاما ماكنا شبه الحديد أبو شادوف عنه خبرونا

يقول حتى جانا بالوكيد   بتل فندر وك وفيه تربي   وعاش ياقوم وانشالوقصيد
وذا قولى وانا غنداف اسمي   وكم من نظم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال أنه ولد في كفرشمرطاطى وتربى فى تل فندر وك (واما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جداً وقال آخر كانت معتدلة في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال أنه لما كان في ابتداء عمره فى سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سياتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ والزيت الحار والمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من أكل الطبوع والصبيان ونحو ذلك أى انها نشأت في الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

ذقن طالت فافسدت   عند ماضر طولها   قصروها فاصلحت   عند ماقل طولها

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيي فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق أن بعضهم كان له صاحب طويل اللحية واسمه يحيي يؤدب الاطفال ففقده اياما فسأل عنه فقيل له هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه أنه مات له ولد أو أحد من اقاربه فذهب اليه فرآه في حالة الحزن وهو يبكي وينوح فقال له عظم الله أجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له أتظن أنه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة   ردى على فؤادى أينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به   فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسي لولا أن أم عمرو هذه من احسن الناس واجملهم ماقيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها أياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو   فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا ان أم عمرو هذه ماتت ماقيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم في يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية عليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأي تحت ابطه حراما ابيض من الصوف مطوى فقال له لاي شيء لا تضع هذا الحرام عليك يقيك الم البرد فقال اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى * واجود اللحاء ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا او شبرين على

على ماقيل ومع هذا كان عارفا فطنا قلنا الجواب ان الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها
طول لحيته وانها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند
منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط أو يقال وان كان على غاية من
المعرفة فهو فى حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو
ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذر الناس واشطنهم الاجاردة
فينبغى لمن صاحبهم ان يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم
للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من اشطن الناس واحذرهم قال الاجرود
قال اريد ان تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة
اذرع وتامر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تامرهم ان لا يأكلوا
الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال
ففعل الملك ما امره به الوزير وحضر الناس للطعام قال فلما جلسوا امرهم ان لا يأكلوا
الا بالملاعق وان لا احد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما امر قال فارادوا الاكل فلم
يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار الرجل يملأ الملعقة
ويريد ان يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في أمرهم فبينما هم على هذه
الحالة اذ دخل عليهم رجل اجرود فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضية
فقال هذا امر سهل انا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم
يطعم الذي قبالة وجهه وكذلك الآخر بملعقته يطعم من اطعمه حتى تكتفوا من الطعام
والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل مافعل معه
حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته
وأمر له بصلة وخلع على الوزير * ووقف رجل اجرود بين يدي بعض الملوك يشكو
خصمه فقال له الملك اني متعجب من شكواك يعني انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو
ياملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي احلس املس لاشعر بوجهه قال
فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة * وأما سبب سعادته في ابتداء أمره
وكيف مال عليه الدهر فعلى اقوال احدها أنه لما انشأ وصار له من العمر عشر سنين كان فى
قوة وشهامة ومعرفة في رعي الغنم والنط فى الغيط والمشى فى الحر حافيا عريان وكان يشيل
الجلة الخضراء على رأسه من الغيط الى داره فى اسرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها
كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو
عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش
بول عجلة او بقرة وهو سارح الى الغيط او مروح فيمسكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل

وجهه وكان مع هـذه النظافة القشروية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارة والطبلة والزمارة والعياط والغارة وضرب الكلاب بالسخام والهباب حتى انه من دون رفاقتـه صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين شعر

أبو شادوف من يومو مجعمص	شبيه الجرو يتنطط بقوه
ويسرح غيط ابو بعره ويجمع	من الجله الطريه في القروه
وهو عريان وشايل فوق راسو	ووجهو صار كيف وجه البعوه
وما قد سال من الجله الطريه	يسـيل عليه وماعندو مروه
ويقعد شهر ما يغسـل لوشو	ولا شهرين وجسمو فيه قوه
ويسرح للضحى في الجرن يكنس	ويطرد مثل كلبتنا أم جروه
ويا زينو أبو شادوف لمـا	يجى الجاموس يقطع وسط ربوه
وينزل ينفرد فيها وراهم	وينطط كما عفريت خلوه
أبو شادوف من صغره ومدلل	تربي عندنا كلب بن جروه
أبو شادوف عطاه الله نعمه	لبس لبده وعندو اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد	حدا الضراف وراسو جنب حدوه
يقول سيدى يقول يا معرص	تحط المـال أو انخليك دعوه
وهو من مثل ابو شادوف يقبض	وابوه وعمتو بنت أم فسوه
ونختم قولنـا بمديح محمد	رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنـا صلى وسلم	وأصحابه الكرام أهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشدة معرفته في نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان أبوه قد ملك في حال حياته حمارا أعرج وعنزتين وحصة في ثور الساقية ونصف بقرة وعشر فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك نحو ار بمائة قرص جله ومطمورة يخزن فيها الزبل ايام الشتاء وكان عنده قلة مكسورة وزير اقلم وجروانة يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه السعادة توفي الى رحمة الله تعالى كما في الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت وما احسن ما قال الشاعر

اذا تم شيء بدا نقصه	ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابو شادوف في رداء من محر الكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن جاروف شنط بكفر شمر طاطي وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات في كفر شمر طاطي ودفن في تل فندروك وقبره الان يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون

ويلعبون بجانبه الكورة وربما تبول عليه البهائم في بعض الاوقات وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال شعر

الا كونوا اسعفوني ياجماعة ... وابكو يامشاه في كل ساعه
أبو جاروف ولى اليوم عنا ... وخلا العنز والبقره بتاعه
وخلى بنت عمو أم فلحس ... عليه اليوم تبكي وسط قاعه
وابوشادوف يغيط وسط راسوا ... ابويا مات وعدنا في مشاعه
وراح من كان شيخ الكفر يحكم ... على الجدعان ودليك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره ... على كلبه ويدلع دلاعه
ويلبس لبدتو من فوق راسوا ... ودقنوا بارده فيها سقاعه
وحولوجروا بن خراى فلحس ... واهل الكفر مامنهم نجاعه
تقول ريس على جوق المغاني ... أو الخلبوص جا يشفع شفاعه
وحسو راح ربى ارحم عضامو ... وبشبش طوبتو فى كل ساعه
وابوشادوف يا الله ارحم شبابه ... ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحولو ... جماعه في جماعه في جماعه
ويتعنطز ويسرح فى السهارى ... ويتجعمص ويقعد في السراعه
ونختم قولنا والدائم الله ... ودا الكاس حق مافيه اندقاعه
وانا شاطر وشاعر طول عمرى ... والضم لضم يتلمع لماعه
جعلتو فيه يحزن من يشوفو ... وودعتو بقولى اليوم وداعه
وضال على الزين أصلى طول عمرى ... نبى الله واطلب لى الشفاعه
وابو شادوف انا لاحد غيرى ... وضربة دم تكتم دى الجماعه

قال ولما فرغ العزاء وراق الزمان واخذ خاطر ابوشادوف المشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والجله وعمل بجانبه مدود العجله سحب النبوت وتمشى كالنعوت واتمشيخ على الكفر واطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبة ونصف مورط وعيط واتنطط وغنى وقال وافتخر بهذا المقال وانشد وجعل يقول شعر

أبو شادوف عمرى ياسلامه ... أقول القول وانا صاحب فهامه
ولولا ان ابويه في ترابو ... انا في الكفر شيخ بلا ملامه
واحكم على المشاه واسرح واروح ... واخوض البحر الي حدا الحزامه
واشد على الحمار واركب واروح ... جماعه شبه شمعه في ضلامه

أبوعنظوز وابو بزبوز وعفلق ودم الحس قفاك وابو عمامه
وانا ماعاد كيفى اليوم واحد واضالانى مجمعص فى شهامه
واطحن قرن من خالف كلامى بنبوتي واكسر بو عضامه
ابويا كان قبلى شيخ عليكم تخلونى وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد واصحابو الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة ابيه على التركة فاغروا عليه الحكام فارسلوا اليه وعارضوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا المطمورة الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سببا لسعادته بعد موت ابيه على ماقيل ثم صار يدارى الناس ويتملق لهم بالكلام الى ان تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة فاخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل واخذ بثمنه بيضا فكانت سعادته من مجموع ثمن الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى ويتكرم فقصدته الشعراء والادباء من اطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير واعطى آخر مائة قرص جلة وجاء آخر بغرارة فملاها زبلا من اولها الى آخرها ودفعها له * وكان قد اقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت اعوج ولبده وخلقه زرقا وقفة ملانة نخاله وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى فى رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى فاتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلاني خذ منه خمسمائة دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل ياتيه مرة بعد أخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال أفيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار فى نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا اقنع شبع وبورك فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين

استقنع بقليلك ياتيك الله بكثيره

وقال كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزن أنا مالى فياش * ايش على منّى
أقلق من رزقى لاش والخالق يرزقنى

وقال رضى الله عنه

ياابن آدم قل طمعك ذا السعاده وعد سيدك لا تقل دا بالشطاره

أو تحصلها بايدك　　لو تكن تبع زمانك　　غير رزقك مايجي لك

ان رزقك مثل ظلك　　ان مشيت يمشي قبالك

من له في الغيب شيء　　لا يموت حتى ينـاله

وقال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه

وجدت القناعة كنز الغنا　　فصرت بأذيالها متمسك

فلا ذا يراني على بابه　　ولا ذا يراني عليه منهمك

وصرت غنيا بلا درهم　　أمر على الناس كأني ملك

حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان وتقدجميع ما كان معه من المال وصار في أكبرالهم واشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعد ولم يبق الا الذى خلف له الوالد واخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر في رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان في فعله او المنخل في حاله ونقله كما قال الشاعر هذه الابيات

رايت الدهر يرفع كل وغد　　ويخفض كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل حي　　ولا ينفك يعلى كل جيفـه

أو الميزان يخفض كل واف　　ويرفع كل ذى زنة خفيفة

وقال آخر　　الدهر كالمنخل في فعله　　فاعجب لما يصنعه المنخل

يحط لب اللب من تحتـه　　وترفع القشرة والفسـول

فحوادث الدهر تأتي على غرر ويذهب الشخص على خطر وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتي على خطر　　فاحذر عواقبها تنجو من الضرر

واعدد لها من دروع الصبر سابغة　　تقيك شدتها اذ ترم بالشرر

كانت ليالي بها اللذات مثمرة　　قطفت منها ثمار العز في الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل وممن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان (ماحكى) أن بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد في زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك في بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمحبون ولم ياته أحد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به واعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على مافعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا اليه يهنوه واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك

أنشد يقول شعر تخالق الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عاد اتي الدهر نصف يوم فانكشف الناس لي وبانوا
يا ايها المعرضون عنى عودوا فقد عاد لى الزمان

قيل مكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات * ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق أن رجلا كتب رقعة وألقاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) أمر امير الامراء ان يحفر بئرا على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تأملها غير الالفاظ وأتى بالمعنى وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جبا على شاطيء الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى وقيل اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة ولقمان في الحكمة وابن ادهم في الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعوا فى المرء والمرء مفلس * ونودى عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها

سماجة أطروش وثقل ابن قينة * وغفلة قرنان وعكس ابن أيهم
اذا اجتمعوا فى المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

ومما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا وبعد الغنا فقيرا ما اتفق أن رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هائما على وجهه الى أن أقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر فى بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى أن انتهوا الي محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس في هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من أبناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم وأكرمهم فاخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتاخر الى ورائه وهو فى حيرة وكربة وخائف على نفسه حتى جلس فى محل بعيد منفردا عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها أنواع الخز والديباج وفى أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها فى محل معد له ثم غاب وأتى باربعة أصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحنا على انفراده

ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كاب فعرف حاله فامتنع من الاكل وأشار اليه فدنا منه فاشار اليه ثانيا أن كل من هذا الصحن وتاخر الكاب فاكل الرجل حتى اكتفى وأراد أن يذهب فاشار اليه الكلب أن خذ الصحن ببقية مافيه من الطعام والقاه له وتركه يكمه ووقف ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه الى بلده فباع مامعه وقضى ماعليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار فى نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد أن تسافر الى مدينة صاحب الصحن وتاخذله هدية سنية تكافؤه بها وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به عليك كلب من كلابه فاخذ هدية تليق بمقام الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياما وليالى حتى اقبل على تلك المدينة وطلع الها يريد الاجتماع به فاقبل على محله فلم ير الاطللا باليا وغرابا ناعيا وديارا قد اقفرت واحوالا قد تغيرت وحالا للقلوب قد ارجف ومحلا تركه الدهر قاعا صفصفا كما قال بعضهم هذه الابيات

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالديار رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * اري الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ماصنع الدهر بها علانيه اعترته الحيرة عن يقين والتفت فرأي رجلا مسكينا فى حالة تقشعر منها الجلود ورؤية يحن اليها الجلمود فقال له ياهذا ماصنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان وأين بدوره السافرة ونجومه الزاهرة وماهذا الحادث الذي حدث على بنيانه وما الامر الذى لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتاوه من قلب حزين أمافى كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله ان لا يرفع شيا فى هذه الدار الا وضعه وان كان سؤالك عن امر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافرة وامواله الفاخرة وتحفه الزاهية وجواريه الباهية ولكن الزمان قد مال فاذهب الخدم والمال وصيرنى فى هذه الحالة الراهنة ودهمنى بحوادث كانت عنده كامنة وسؤالك هذا عن امر وسبب فاخبرني عنه واترك العجب قال فاخبره بالقصة وهو فى تالم وغصة وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذى اخذته من الذهب فانه كان سببا لغنائى بعد الفقر وازوال ما كان عندي من الهم والحصر قال فهز الرجل راسه وبكي وان وشكي وقال ياهذا اظنك والله مجنون فان هذا امر لا يكون كلب من كلابنا تكرم عليك بصحن من الذهب افارجع فيه ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لم ياتنى منك شيء يساوى قلامه فامض من حيث جئت بالسلامة * قال فقبل الرجل

اقدامه ويديه وانصرف راجعا يثني بالمديح عليه ثم انه عنـد فراقه ووداعه انشد هذا الذي يلتذ بسماعه فقال

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالي بسهام الهموم من قسي المصائب فاصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم ويساور الهموم يسكب على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع شعر.

فليت شعري والدنيا مفرقة * بين الرفاق وايام الورى دول

هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * وهل تعود لنا أيامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به * لكنت بادرت شكر الصاحب النعم

واعلم بانك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ماخط بالقلم

وكل هذا توطئه لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم وهو الذي كان سببا لافشاء هذا القصيد وشكواه هذا الامر الوافر المديد فقال

ص ﴿يقول ابو شادوف من عظم ماشكى * من القل جسمه مايضال نحيف﴾

(ش) هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متها بل متها بل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الهلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسلة قال هو من معنى هلهله هلهله ومن شابهه ببقية البحور قال في تمثيله أنت حمار أو ثور وأما قده المعهود فعلى وزن بروه تخلى الماضغين جلود واما تقاطيعه المذكورة فهي هذه الكلمات المنشورة

يقول	أبوشا	دوف من	عظم ما	شكى
نبول	عليها	في الضحى	مع غرو	بها

ومجموع هذا الكلام من هذا النظام

(نبول عليها في الضحى مع غروبها)

فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع فلنشرع لك الآن في شرح الكلام على حسب التواقيع أو على نمط الفراقيع فنقول (قوله يقول) أي يريد أن ينشي قولا في الخارج فيه شرح حاله ودليل على مانابه من حوادث الزمان وما أصابه من دواعي الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات فمصدره قال يقول قولا ومقالة وربما زاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة أو من القلل أو من الاقوال أو من قالوا أو قلنا وما زدت هـذه المصادر

الفشروية وهذه الاشتقاقات الهبالية الا لنبني عليها ما سأذكره لك مما اتفق لي مع بعض من يدعي العلم وهو جاهل وما ذاك الا أني لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة أربعة وسبعين وألف وبلغت بندر القصير أنتظر السفن للسفر فجلست اياما بزاوية على البحر المالح أعظ الناس فبينما أنا ذات يوم في هذا المكان أقرأ فيه وأبين للناس الكلام ومعانيه وأنا في هيئة تشين النظر وفي أهبة ذهاب وسفر وبهلة وهبال وهلفطة ومقال اذ أقبل على بلا محاله رجل يشبه دائرة الهاله طويل هبيل فظ ثقيل له عمة كالهيولى في العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الى شذر فظهر لي منه الشر والجدال ومنتظر متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت ومااليه بهذا المعنى أشرت فابتدأت في الكلام وقلت قال النبي عليه السلام فعند ذلك قال لي بلفظ كثيف ما معنى قال في التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت أنه خال من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه أسماء وأفعال وهي قال يقول قولا وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال وان أردت جعلت لك بيقين تصريف هذه الستة ستا وثلاثين فقال لي وهذا التصريف في اى متن من المتون فقلت له في ديوان ابن سودون فركن الي قولي على جهل منه وعمى فعرفت انه لا يدري الاسم ولا المسمى ثم انقاد الي بعد الدعوى والهيس انقياد الغنم للتيس وامتثل الامر في رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله فان قيل لأى شيء خلبطت على هذا السائل في هذه المصادر والاشتقاقات ووسمت عليه في هذه الامور الهباليات كنت تقتصر على ما قالوه في كتب الصرف ولا تجرف الكلام بجرف قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من يدري العلم بالتمام وأما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من دش الكلام والمجرفة فيما يليق بذلك المقام فكان ماسبق من الجواب وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال (مسألة هبالية) ما الحكمة في أن الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضي كما قال صاحب الفية النحو رحمه الله قال محمد هو ابن مالك الخ الجواب الفشروى ان هذا الفعل الماضي الذى هو قال هو يتولد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتي منه قولا كما سبق في تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل أو أنه أراد تعداد الامور التى حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن أخبر عنها سابقا بلفظ الماضى فاراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذى هو يقول وان كان في معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضى له في الحقيقة

وقال أبو الطيب المتنبي عفا الله عنه شعر

اذا كان ماينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

أي اذا نوى شيأ مستقبلا أمضى فعله قبل أن يدخل عليه مايجزمه أي يمنعه عنه و يسكنه عن الحركة عن فعله انتهى و أيضا لو أتي بالماضي لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب و بان الصواب وقوله (أبوشادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا في معد يكرب و بعلبك و برق نحره ونحو ذلك وأما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ماقيل وسببه أن امه لما ولدته ألقته في مدود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمى بذلك أياما حتى اشتهر بهذه الكنية * وسبب اشتهاره بها أقوال أحدها انه لما امال عليه الدهر كما تقدم أجر نفسه لسقى الزرع بالآلة التي يعملوها أهل الريف تسمي أبوشادوف وصورة فعلها أنهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر و يحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير و يضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة و يعلقوا فيها خشبة أيضا بالعرض حكم قصبة الميزان و يضعوا في طرفها الذى من جهة البر شيا ثقيلا والذى من جهة البحر الدلو والقطوة التي ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر و يتكيء على طرف تلك القصبة فيقع الدلو والقطوة في البحر و يغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثاني و يصعد الدلو والقطوة و يفرغ في النقرة مع مساعدة الرجل له و يجرى الماء الى الزرع وهكذا حكم ماشاهدناه مرارا عديدة و يسموا مجموع الآلة الناطورين ابوشادوف و هو مشتق من الشدف وهو الغرف قال في القاموس الازرق و الناموس الابلق شدف يشدف شدفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا مارايت الماء فاشدف براحة فذلك للظمان اهنى واطيب

فالناظم لما لازم هذه الالة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمى باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل وقيل أن أمه ولدته عند أبوشادوف نسمى باسمه لكن يرده ماتقدم من أن اسمه الاصلى عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال أن أمه لما ولدته عند أبوشادوف أخذته ووضعته في المدود ولحسه العجل على ماتقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمى بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كل من سال عنه يقال له عند الشدف أي الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا أبوشادوف و وضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علما له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في أن الدلو والقطوة لا يفارق الخشبة التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الاب كما سبق من أن النواطير في حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاورها في وقت الحاجة لا غير (الجواب) أن الخشبة لا تستغنى عن الدلو والقطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما

في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلوا والقطوة مرتبط بالخشبة فاتجه المقال عن وجه هذا المبال (فائدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله في قصيدة له

ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالعزم يزمعه

اي مارجع من سفر الا وأزعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة يرجع الى ولده ويفتقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما ان الاخ مشتق من الاخوة قال الشاعر

أبو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * وآخو المرء أيضا قد أتى من اخوة

ومصدره آب يؤوب أوبا فهو آب وقال ابن سودون ان ابو هذا فعل ماض ناقص وأصله ابوس و يدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك واري ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو

اي ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثاني حذفت السين لانها في الجمل بستين والستين في البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به في ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه فلا يشتفي فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقده المانوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وخلا الحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشي والرقيب هنالك لا ينحصر البوس بعدو لا يكون له غاية ولا حد قال الشاعر

سألت بدر التم في قبلة * اجابان يوفى ومنشى السحاب

لما اختليا واجتمعنا به * غلطت في العد وضاع الحساب

وقلت في المعنى شعر رأيت له شرطا على الخد قد حوي * جمالا وفدزان الملاحة بالقرط

فقلت مرادى اللثم قال بخلوة * فقبلته الفا على ذلك الشرط

اللهم الا أن يكون المحل غير قابل للحب والحبيب بان يكون ثم خوف من واش اورقيب فيكون الضم في تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق في الكثرة والتقليل ومنهم من لا يعتريه في ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس * ولو نفر منه وفر ربما مال نحوه ومر قال الشاعر

لو تراني وحبيبي عندما * فر مثل الظبى من بين يدي * وغدا يعدوا وأعدوا خلفه وتراناقد طوينا الارض طيّ * قال ماترجع عني قلت لا * قال ماتطلب مني قلت شيّ

فنأى عني وولى خجلا * وانثنى ياليته عني لا الىّ

كدت بين الناس أن أتمه * آه لو افعل ما كان على

ومن اللطائف ان أبا نواس مر يوما في شارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضي يحيى بن اكثم وادعي عليه بما وقع قال فاطرق القاضي ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتخميس والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الامنقبا

ولا ترخى للاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا

فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فاطرق الغلام ساعة وأنشد يقول

وكنا اذا نرجوك للعدل بيننا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط

متي تصلح الدنيا ويصلح اهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ماشكى) اى من عظم امر بل من امور يشكوا منها وصرح بشكواه راجيا بان الله تعالى يفرج عنه ويعيدله ماسلف من ايام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتدهان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل فى الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره

ولقد تمر النائبات على الفتي * وتزول حتي لاتجول بفكره

والشكوى على اقسام شكوى لله وهى محمودة وشكوى للمخلوق وهى مذمومة اللهم الاان يكون في حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به فى دفع ما نابه من الشدائد فلا باس بذلك واذا صبر واحتسب كان اولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله به

اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر في الم نشرح فعسر بين يسرين * اذا املته تمرح

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتدئا باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اى ان اهم شكواى واعظمها اولا من القل وهي قلة الماكل والمشرب حذفت ياء الكلمة ضرورة النظم وايضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب والنصب في كد المعيشة وفي الحديث كاد الفقران يكون كفرا اى قارب ان يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضا بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الا الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات

فان بحت بالشكوي هتكت سريرتي * وان لم ابح بالفقر خفت مماتى

(وقيل) وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى العدل ان دام عمر

والظلم ان دام دمر والاعمي ميت وان لم يقبر والفقر هو الموت الاحمر وهذه الكلمة يعاير بها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان في قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو في قل وعتره اى في حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال مكر به وهى من الفاظ اهل الريف قال بعض شعرائهم

بوجاموس صبيح حالو * يبكي الناس وهو شهره بيجرى ما بيلقاشى * وفي قله وفى عتره

(والقل) على وزن الغل او الظل مشتق من القلقلة او من القلة بضم القاف او القولق وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء في آخرها على وزن زبره فخذ زبره وزنها على عنره لا تختلف ابدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عترای مرتكب هذه الامور واما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل في كلام العرب (وهو ما حكي) ان رجلا حضريا اضافه رجل بدوى فاخرج له صحنا من الطعام وشيا يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما اخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فراى صاحبه الحضرى فاخذه واجلسه في داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضرى وسف ما في القلة بركة اى منافي قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمى الله او تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت عيوبك في البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفى الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئله هباليه) ما الحكمة في اشتقاق القل من القواق اومن القلة اومن القلقله وما المناسبة لذلك وما معني هذه الالفاظ (الجواب الفشروى) ان القواق اسم لشيء من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط في الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم اليسرة فناسب المعني في ذلك واما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذا حكم القل وعدم البركه حكم وجود الماء وعدمه او ان المناسبة في ذلك لضيقها في حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقه وانها اذا وضعت في الماء بقبقت وصارت حكم الذى يشكو الى الماء قال الشاعر

مابقبق الكوز الى من تالمه * يشكوا الى الماء ماقاسى من النار

فكان في ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث انه من
القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور اى سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو
ذلك قال الشاعر   قلقل ركابك في الفلا * ودع الغواني فى القصور

القاطنين بارضهم * عندى كسكان القبور

اي حرك ركابك فى الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا وغربا واكتسب ما يغنيك
عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغواني جمع غانية وهى ذات
الجمال اي اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة
والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة
فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك
على اتم مراد واحسن حال وان كان لا يفيدك من السعي والسفر الا اليسير فهو اولى
من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء ان يسعي لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

(وفى بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى ياعبدى خلقتك من حركة تحرك أرزاقك
وفي المثل الحركة فيها بركة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

تغرب عن الاوطان في طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد

تفاريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد

فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم
اى جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم اومن الجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول
والتجسم قبحهم الله تعالى اومن جسم العاشق اذا انحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا
طبيبا وقوله (مايضال) كلمة وبقية ومعناها مازال كما تقدم في الجزء الاول اى لم يزل
جسمه من القل والتعب وعدم اليسرة (نحيف) على وزن رغيف واصله نحيفا بالالف
المقصورة وحذفت لضرورة النظم والمعنى ان جسمه ضعف ورق من كثرة توارد
الهموم عليه وتحمل الاذى والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد
ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر ان اصحاب المال والرفاهية فى
الغالب ان اجسامهم فى نضارة وملاحة وطلاوة من احسن المآكل والمشارب ونظافة
الملابس ورقتها فلا يرون بذلك للهم تاثيرا وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه
من نظف ثوبه قل همه وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا انسخ انقطع تسبيحه

فالجسد مثل الزرع مادام صاحبه يتعهده بالسقى والاصلاح وتنظيف الغلت عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الافات وتغيرت عليه الاحوال واما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح فى النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

واهيفان لعبا * بالبرد اثني وذكر قالت اناقرية * قلت اسكتي انى قمر

(وابلغ) من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت في جفن ذى رمد لما احس له من وطئها المأ
خفيفة الروح لو رامت تخفتها رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسالة هبالية) لاى شيء قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب فى المعنى وافصح في العبارة وقد ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم فقال اني سقيم اى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التي على وزنها وهى قطيم والقطيم بلغة الريافة هو صاحب الابنة وبلغة اخرى هو الخالى من الزواج فلو فرض انه اتى بها فى النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرراو يقال انه راعى في ذلك قوافي الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذ الهال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها ايضا نشات من القل والعترة وعدم مافي اليد كما تقدم فقال

ص انا القمل والصيبان في طوق جبتى * شبه النمل يجرفوه جريف

ش قوله (انا) يعني ابوشادوف اخبركم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القرآن العظيم فانه نوع من السوس او القراد كما ذكره بعض المفسرين فائدة ذكر الدميرى في حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن اوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع فى شدة حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر

وماقامل في الثوب الا رأيته يدب دبيب العقربان اذا امشى

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان بوجهه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد فى القرآن العظيم في قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار ألقيا فى جهنم وقول الحجاج ياغلام اضربا عنقه واما قوله في البيت الاول يدب دبيب العقربان اى

لانهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا أنها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شيء لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهى مص الدم الفاسد وان كان يتحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى أن يكون صغيرا ولدغته قليلة الالم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم ان يكون الآدمى قدر الجبل ويكون دائما فى خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها والله تعالى كرم بنى آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان قدر الفيل للزم ان يكون الادمى مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والتوث قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى

لا تكره البرغوث ان اسمه ... بر وغوث لا به تدرى
فبره مص دم فاسد ... والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة فى ان البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العرق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى والانثى عاجزة عن الذكر وأما البرغوث لما كان منشؤه من التراب كانت نطته قوية ولهذا يشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات غالبا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم ان اذى البرغوث أقوي من اذى القمل قال الشاعر

أشكو اليك براغيثا بليت بها ... قد جرعوا القلب كاسات من الغصص
أصيدهن اذا يجىء هذا يؤلمني ... فتنقضى ليلتي في الصيد والقنص

وما احسن ماقال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمنني ... حسبن دمي خمرا فطاب لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة ... وبقهم يسكت ليسمعه الزمر

وأفادني بعض اخواننا الحشاشين ادام الله بأكل الحشيش انسهم وأحسن بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا اسقط ما تيسر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام لا يحس باذي البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد أكله فانه يفعل افعالا غريبة ويظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا اكل الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدي عمر بن الفارض رضى الله عنه

امنسطل بالزيه من فقد قهوة ... شمول على نيرانها يجمع الشمل

نصحتك ان اصبحت فى سطلة فلا   تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من أخي عفا الله عنه الغزافي البرغوث ولم افهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * ياشي من شي أحمر حمير ورق الجمير جروا وراه خمسة مسكوه اثنين * وتفسيره ياشي ياحرف ندا أي يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شيء مبهم وهو أحمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير أحمر بمعنى شديد الحمرة ورق الجير اى كورق الجمير فى لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف عليه جروا وراه خمسة وهى الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع أذى البراغيث) البخور بقشر الرانج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق فى العنق فعل ذلك (وأما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء أن صاحب الشقيقة اذا اخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها فى باقلاية مسوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزر المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة أجسادهم فيعالج بالادهان والحناء المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان فى الجسد بسهولة فهو اخف ضررا من القمل لكونه اضعف منه وألطف جسما واصله صبيان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبي ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الآدميين فقدموا الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون لبياضه اومن المصيبة اومن قناطر الصابونى ومصدره صبين يصبين صبيانا وسكت الناظم عن نوع آخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النمنمة اوالنمام نوع من المشموم واما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكانه يامره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريرى عفا الله عنه

سم سمة تحمد آثارها   واشكر لمن اعطى ولو سمسمه

وهذا يقرب من فن الاحاجى كقولهم طاجن وطاقيه والياسمين وقول بعضهم

انى رأيت عجيبا فى دياركم   عبدا وجارية في بطن عصفور

وقول الآخر واحمر الحدقانى * يغرى اليه الخضاب بغير عين وناب * وفيه عين وناب (ويطلق) لفظ نمم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمم او بف بضم الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير كما هو مشاهد (واما لغته قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء يقول انبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع

الموحدة وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة يتناولها بزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا لاخذ شيء يؤذيه بزجر ايضا بلفظ اح بالالف والحاء المهملة واذا اخذ شيأ اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين ويقال له او يقول هو على الماكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا ارادت امه ان تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لايا كلك البعبع بكسر الموحدتين او رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع) مشتق من البعبعة وهي صوت الجمل وبين اح وبح ودح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما وا باه با با واخاه الصغير وا واو نحو ذلك وتغزل بعضهم في صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال

يامن سلب للحشا والروح واوا اح غيرى تواصل وانا اللى من وصالك بح
انا اطعم البف والنمم وقولة بح بعبع انا كخ يا نينا وغيري دح

وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لموت امي اري الاحزان تحنيتى فطالما لحستنى لحس تحنيني
وطالما دلعتنى حال تربيتى حتي طلعت كما كانت تربيني
اقول نمنم تجى بالاكل تطعمنى اقول انبوه تجي بالماء تسقيني

وقوله تحنيني وتحنيني فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من التحنن والشفقة كما لايخفى ويقال عذار منمنم اى يشبه نبته بد بيب النمم او نبات النمام وقد قلت في تشبيهه بد بيب النمم

دب العذار علي خديه خيل لى بانه نمم يمشى على مهل

(وبعضهم زاد نوعا رابعا) وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبيص او لقيس ماخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير ولقيس من اللقاسه يقال لقس الكلب الاناء اى لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحيس او يكون على قياس فطيس واللحاسة والنجاسة على وزن واحد يقال فلان لحس اى مرتكب شيئا يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنجاسه بمعنى واحد (قال) في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسه ونجاسه فيها بلاشك فهذا اصوب ويقال انت تعيس لحيس اى انت تشبه لحس الكلب للاناء او انك تلحس الخرا بلسانك او تتلحس بالكلام ولا تدري منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك ايضا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس مزيد ضرر قال في القاموس الازرق والناموس الابلق

ولى من اذى اللحيس في الراس كربة وغلي واكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسا (فان قيل) ان هذا اللحيس الذي زاده هذا البعض شيء

تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فما الجواب (قلنا) نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعسر لدقته فهي الجملة له محض اذيه وضرر فصار من اتباع القمل بل من اولاده كالصيبان والنمنم كما تقدم او يكون هذا قياسا على من زاد في اقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعني به اسم الفعل وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال وقوله (في طوق جبتي) اي كائن او مستقر في طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة وجوق المغاني ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة اي المال الذي كنزوه في الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه في وجوه الخير يجعل في عنقهم كالطوق ويعذبون به في النار والطوق مشتق من الطاقه او من الطواقي لتدويرها او من خان ابو طاقيه بمصر (ومصدره) طوق يطوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضه ويسمى عندهم ضامن ايضا وهو احسن الحلي عندهم واما مايوضع في اعناق الرجال في السجن فانه يسمى عندهم ضامنه يقال فلان في الضامنه اي بمعنى ان هذه الآلة الحديد التي في عنقه ضامنة له لا يقدر ان ينفك عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه احضره وقوله (جبتي) على وزن شختي ولحيتي هذا اذا نسبتها لنفسك واما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك ولحيتك مثلا واذا وصفتها وقلت جبتك حمره فتكون بالتصحيف ختنك حمزه اي نا كك رجل يسمى حمزه والجبه واحدة الجبب مشتقه من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها اي يقطعها او يفصلها يقال جاب الفيافي بمعنى قطعها وقد قلت في المعنى

اجوب الفيافي طامعا في وصالها * واقطع ارضا لست منها بخابر (ومصدرها) جب يجب جبا وجبة وهي على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من صوف ثخين غليظ مسدودة حكم الثوب ويجعلون اكمامها متسعه خصوصا شعرائهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم مختصر زكيبه ونساؤهم على شكل الشعراء في وسع الاكمام وزيادة فان كم المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثاني وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لي في ذلك) فاني تزوجت منهن وكنت أجامع زوجتي في بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى في الثياب والاكمام فهي أمور بينهم محبوبة والمناسبة مطلوبة (وفي المثل) رأوا قرد يسكر على خراره فقالوا ماللمدام الرايق الالهذا الشب العايق ورأوا جاموسة منقبة بكيب فقالوا ماللصبية القصيفة الا للنقاب الرفيع قال الشاعر

رأيت مجزما في قاع بئر * وآخر أبرصا بخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

(وأما الحضرية) وهي التي يستعملها أهل المدن خصوصا العلماء والظرفاء وهى من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها مخصورة الآباط مفتوحة ويقال لها جبه مفرجه بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ماتحتها ويصنعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير أعجوبة للناظرين وبهجة للابسين فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قد أنوس وجعل نساءهم زينة للنفوس (كما فى المثل) الاساس بحسب بانيه وكل شيء يشبهه قانيه فالانسان ينشأ على الطبع الذى جبل عليه وشبه الشيء منجذب اليه قلت في المعنى رأيت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثر عليه

فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم أن القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته أراد أن يشبهه بشيء يناسبه في الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند النخل وسيأتي تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول أن القمل أبيض والنخالة كذلك الثاني أنه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل والمنخال * قال في القاموس الازرق رااموس الابلق شعر

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخاله

ونخالة الشعير أقوى نفعا لانها اذا نقعت في الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكي وجع الصدر ابراته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) اى القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) اصله جرفا لانه مصدر حذفت الفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة وانها لغة ريفية فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من الجرفة او الجرافة (فان قيل) كان حق الناظم ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا) لعله عدل عن تانيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن او يكون من باب الترخيم كقوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان انت قد ازمعت صرما فاجملي او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فان قيل ايضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان قد انحصرا في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شيء واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي اي غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة فى الجرف ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان فى طوق جبته بهذا المقدار فيكون شيء منه فى الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب اوساخه وأيضا القمل من شانه ان يسبح اولا

بقي الثياب ثم ينتشر على البدن بمتص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعدا الى اعلى الثوب او الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما ان الآدمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دابه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاى شيء لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيأ منها مع ان الكل منها اذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتي الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل * ان البقه تولد ميه وتقول ياقلة الذريه * فانه في الغالب لا يهوي الا بلاد المدن لعلو اما كنها وكثرة اخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شيء من البناء العالى المكاف وان وجد في القرية فيكون دار الشاد بها او ارد الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة ايضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى اما كنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه لا يهوي الا المحل الذى فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر فياتى اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقى الماء قال الشاعر

لا تجعلونى ككمون بمزرعة * ان فاته السقى اغنته المواعيد

(والناظم) لم ير للنمل اثرا في بيته لقلة ما فيه من الحلو والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (واما البعوض) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه ياتي اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان اذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء اذا كان يؤذى قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لتركه الشكوى من الجميع فاتضح الجواب * (فائده) * اذا نقع الحنظل في مقة الغزل بعد استوائه ورش بها في المحل وهي حارة قتلت البق ولم يبق منه شيء واذا ظهر النمل فى محل فيه البق اكله قال الشاعر اكل البق آلمنى * جسمى ما حمل بقه * جبت النمل ساعدنى * فاخلا ولا بقه (واما النمل) فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الشخص اذا اكلته قملة اوقرصه برغوث اوشيء مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل والبرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نار زار بما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل البرغوث في اذنه فيمكث قليلا فى حركة واذية ويخرج بسرعة او يموت فما وجه ذلك (الجواب الفشروف)

ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره في التالم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء في العود الاخضر فاذا حصل الاذى في ظاهره تالمت الروح وسرى الالم في جميع الجسد ظاهرا او باطنا وامثل لك مثالا قشرويا * وهو ان الشخص اذا حبس في خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتالم ظاهرا او باطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها اوضرط فيها ايضا فتعضد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتتضرر ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها اضر طولها فيخفف الضرر او قل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم شرع في ذكر مصيبة اخرى ابتلي بها وهي في الجملة اشد ضررا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال (ص)

ولا ضرني الا ابن عمي محيلبه * يوم تجي الوجبه علي يحيف

(ش) قوله (ولا ضرني) اي ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمي) اخو والدي وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه في حكم الاب لهم اذا فقد والدهم ولهذا تسميه العرب ابا (قال) بعض المفسرين في قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه او من العمامة لعلوها ووضعها فوق حكم التاج كما في الحديث * العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد اخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبة وهي اناء يعمل من فخار احمر مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل باذنين ايضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف (والحاصل) ان الاواني المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب اطول من المحلبة واوسع منها فما واضيق بطنا قعره يشبه قعر القادوس صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ في الكيل قدر ربع المحلبة وقروفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الهاء في آخرها وهي تشبه المحلاب في صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها اذنان او اذن واحدة واكبر اواني اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهنالك اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قبط سمي بذلك لكونه مقسطا بالوزن او الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارض على الحراث اذا عضت عليه

وكز الطائر على اصبعه اذا عضه هكذا رأيته في القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن او الماء بقبق وتألم يشكو ما ناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس الطينى من هذا القبيل فهذه الاوانى معروفة عند اهل الريف هى وغيرها ومنها الزير والقنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والحلاب ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريف اسمائها واشتقاق بعضها فما معنى القروفة وما اصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل في زمن القر بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وغوا حرقه فى زمن الصيف فصار يقال قروفه اى هذا الاناء فى حرقه وتم امره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها مشددة وجعلوا المجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قرفوه فصار مركبا من اسم وفعل (الثانى) أنه لما اتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور ويتحلل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادى اللبن قر فيه قر فيه اى اسكن فيه واستقر ثم زادوا فى هذا اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها فى اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروفه فسمى بذلك (الثالث) ان طينته فى الاصل اخذت من محل قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافى ثم انهم اشتقوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه (الرابع) انه مشتق من القرفة بكسر القاف وهو نوع من البهارذكي الطعم والرائحة يدخل فى الاطعمة الفاخرة والماكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه (الخامس) ان الاسماء لا تعلل ولا يحتاج الى هذه الابحاث القشرية وهذه الخرافات الهبالية فالصحيح الجواب بان الصواب (واما) سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال (احدها) ان أمه لما وضعته سمعت انسانا يقول لا آخر هات المحلبة فسمته بذلك تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا (الثانى) ان أمه اتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت أن تسميه باسم اخيه فانثت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك (الثالث) ان أمه لما ولدته زارها انسان بمحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشرية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم نضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (تجى) من المجيء وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها

وحضورها بمجرد طلوع المشد أو الملتزم أو النصراني الى الكفر او البلد فتوزع على الفلاحين بحسب ما يخصهم في الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه في الشهر يوم ومنهم من يفعلها في كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها في كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلا بد منها في كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصراني ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم باكلهم وشربهم وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المآكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا ألزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيئا من مصاغها او ملبوسها على دراهم واخذت بها الدجاج او اللحم واطعمتهم واحرمت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا وقد يربي الفلاح الدجاج فلا يأكل منه شيأ ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البلية ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الزريع ويأكل الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية أو النصراني او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام مالم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض او غيرها في مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيئا لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير أجرة مالم يكن عن رضاء منهم في مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من باس

الا اثنتان فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

(فان قيل) ان الامير او غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك على اهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه أو على من احدث هذا قبله او عليهما معا (الجواب) ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أحدث في امرنا هذا ماليس منه

فهو رد أى من اتي بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد أى مردود ومعناه باطل لا يقتدي به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون أحدثه بنفسه او سبقه به غيره فالاثم على كل من فعله او أمر بفعله اذ كل فعل لم يكن على أمر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفي قوله (تجي الوجبه) نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو ان يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء في كل كلمة من ألفاظ البيت أو غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين فقط (ويقرب من هذا المعنى) ما اتفق ان رجلا قلا سمك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتي الى محله فذهب الغلام حتى أتى محلها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر وارادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به احد حتى اتي الى معلمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمي فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجاء لولم يجي لجت ولكن ترتجي لما يروح تجي (وتفسير) هذه الكلمات ان قوله يا معلمي فق لي أى تنبه لقولي واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلي أني بهذا الكلام ليوهم الحاضرين انه يريد شيأ من السمك او انه يطلب منه سرعة قليه وبين قوله فق لي وفاقلي الجناس المحرف المزيد وقوله جاءت تجيء أى ارادت المجيء وامتثلت الامر فجاء أي زوجها في وقت ان أراد الذهاب ثم قال لولم يجيء اي زوجها لجت اصله لجاءت سهله للضرورة اى لحضرت اليك ولم تخالف امرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجي اي حضورها من الرجاء وهو حصول الشيء على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجيء اليك ويحصل المطلوب والشاهد في قوله جاءت تجيء فجاء الي آخره فانه كرر حرف الجيم في كل كلمة كما لا يخفى (فان قيل) ان النصراني اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه ويرسلون له الوجبة ويتذللون بين يديه ويطيعون امره ونهيه بل يكون غالبهم في خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك أم كيف الحال (قلنا) الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه ويكون الفاعل آثما بذلك ما لم يخف منه ضررا او أذية بان يكون حاكما عليه ومتوليا

بمره واضطر اليه في أمر كقباض المال من النصارى في بلاد الارياف وغيرهم فانهم مالكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولى النصراني أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغيرذلك فلا يأتيه الفلاح الا وهو يرتعد من شدة الخوف (كما اتفق) في زمن الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم في موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل أو المبيت من شدة أذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاذ مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين الى الخلا قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له ادفع ماعليك من المال في هذه الساعة فان اجاب واحضر المال في وقته كان والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه أو يخرق احشائه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ماعليك فقال له الرجل امهلني بقية هذا اليوم فاغلظ عليه واراد ان يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيت يقتله فولى هاربا والنصراني يتبعه على الاثر الى ان ألقى بنفسه بين يدى الشيخ وهو يحرق في قمين جير لانها كانت صنعة الشيخ في ابتداء امره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصراني واقف على رأسه فقال له الشيخ امهله بقية النهار فاغلظ على الشيخ بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام اليه وجذبه من اطواقه فبقى في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الا بعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره وألقاه في تنور القمين فاحترق ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالقي الله الرعب في قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصراني فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتامره اذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسي الذي هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسي دوران وطنين في القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر في بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شيء الى حاله ثم اشار الى الملك فصحا من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو ياسيدي تمن على ما تريد فقال له

أنا لا أريد منك شيئا غير أنك لا تولي أحدا من النصارى على المسلمين ولا على أمورهم وإلا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار إلى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين في قبض مال ولا غيره إلى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم في الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان في الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكر منهم الآمالا
جعلوا اطباء وحسابا لكي * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشي على نفسه او عياله ضررا منهم في امر ديني او دنيوي يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدي عبد العزيز الديريني نفعنا الله به في تردده على نصراني بلدته فقال

يلومونني في عشرة القبط خلتي * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبي
ولكنني صياد رزق بارضهم * ولا بد للصياد من عشرة الكلب

وأما اذا خالطهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوي قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل في ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفي ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوما حشر معهم وقوله (علي) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) أي يميل علي ويظلمني ويكلفني ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر أشد من غيره الذي هو اذية القمل والصبيان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

(فانظر) الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغم واستخدم لفظ الثاني في كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوي القرابه * كالنار يوم الريح وسط غابه

(وقال) على كرم الله وجهه العداوة في الاهل والحسد في الجيران والمودة في الاخوان وأصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود (وفي الحديث) لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابي ومابهم * ومات ا كثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر لامات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد

ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه محيلبه الى شكواه من ابن اخيه خناقر لكونه أشأم منه واضر عليه من ابن عمه فقال

وأيشم منه ابن اخوة خناقر * يقرط على بيضى مخلبة ليف

قوله (وأيشم) من الشؤم أو من التيشمة واصله أشأم على وزن ابلم او أقطم (وفي المثل) أشأم من طويس ويقال فلان مشؤم وذو تيشمة اى عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمى الخشب شوما لقوته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم (قيل) بنى جعفر البرمكي قصرا بديعا وزخرفه بانواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه اياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى اعرابي يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما

ياقصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش فى اركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحى * اكون اول من ينعاك مرغوم

فقال علي بهذا الاعرابي فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وماسبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصبية خلفتها كافراخ القطا يتعاوون من الم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وازجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا اتمكن من الدخول اليك فلما ايست دعوت عليه بالخراب وقلت مادام عامرا لا يفدني منه شيء فاذا خرب ربما امر به فآخذ منه خشبة او شيئا من زخارفه فانتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد اطال وقوفك واضر بعيالك اعطوه الف دينار لقصده ايانا والف دينار لطول مكثه على باب دارنا والف دينار لصبية خلفها كافراخ القطا والف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة آلاف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم اى اشد واقوى منه في الضرر علي والظلم لى (ابن اخوه) اى اخو محيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لسانه على هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خناقر) مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة او البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس فى حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبربرة قال الشاعر

وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا

وسمي بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن

خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبورة واما اخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلف ولدين محيليه وفساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها لغتان قال الشاعر

ففيها ضرط الواشون جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة واما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو اخذ سنبله وابقاء اصله في ارضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم الحلقة صغيرة من لجين او فضة تعمل فى أذن الصبى وهى ممدوحة خصوصا الولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال ابو نواس فى مطلع قصيدة له

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء

أي ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة في لونها وهي في كأس يشبه الدرة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما فى يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله (على بيضى) اى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحوذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة في تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب الفشروى) وهو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا فاذا اخذت الخصاء بلا واضفت اليه آخر صرت آخذا خصوين بلا خلاف فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم للزب فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما وهما فى حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان الخصيتين دائما فى مقام الخضوع للذكر وهو فى مقام الرفعة عليهما وهما في مقام التدلى وهو فى مقام الترقي وهما ايضا في مقام الاضافة وهو فى مقام الرفع والنصب وايضا له قوة فى فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما واقفان له على الباب تادبا معه وهذا من علامة البر بالوالد (كما اتفق) ان بعض الشعراء قصد ملكا يستمطر احسانه فرآه في البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط البستان فرأي جدول ماء يجرى وينتهى الى محل تحت الحائط ينصب فى فسقية كبيرة وراى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب

فيها هذا البيت الناس كلهم كالايرقد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب
ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها في الجدول فاخذها الماء
حتى القاها بين يدى الملك فتناولها وفك ختامها واخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه
ادخل يا خصا فقال الشاعر أدام الله الملك ماهذا الاعن وسع عظيم فاعجبه كلامه وأنعم
عليه وارتدشاكرا (قلت) وبذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان
قانصوه الغورى رحمه الله غضب على انسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل
عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من أصدقائه وهو على سلم
الديوان فقال له بلغني أن الملك عمل عليك الف دينار فقال لا على الطلاق ثلاثة قال فلما
سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه
من الثلاثة آلاف دينار وأنعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق) لفظ الخصا على
الذكر أيضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والغرمول وغير ذلك لكن أشهر
أسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهى

إلى عندهم أسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسماء أدعى بالخصا * اذا غضبت خلتنى كالعصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج ويكنى أبو
الحملات وابو الصدمات وابو الهيازع وأبو الزلازل ونحو ذلك واذا اطلق الانسان عنانه
وأطاع هواه القاه فى اشد المصائب قال ابن عروس رحمه الله تعالى
الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها ماضرني غير بطنى * واللى مدلى حداها
وقد تشبه الخصيتان بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين
يارب زول غمنا يارب * يارب اهلك شيخنا الادبا كان خصيتيه اذا كبا * دجاجتان
يلقطان حبا فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال
الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره وخصيتين على وزن ضرطتين
اوشختين فيكون فيهما الضرطة والشخة بيقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة
اومن قرية تسمى الخصوص او من قولهم للكلب اخص مثلا ومصدرها خصا يخصو
خصاء قال الشاعر خصا يخصو مصادر خصيتين * خصاء صح فى نظم الطنبني
انتهى الجواب عن هذه المباحث الفشروية والاشكالات الهبالية وقوله (بخلبة ليف) اى
ربطة قوية دائرة على بيضة مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك لكونه ملتفا
على اصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشيء فلا ينفك منها الا
بعسر وفى اصطلاح الرعيان انهم اذا ارادوا ربط شيء بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة

الوتد اى لف عليه الحبل مرتين وار بطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهى مشتقة من خلب الزرع او من مخلاب الطير او من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذى لا مطر فيه قال ابن العربي نفعنا الله به

كل الذى يرجونوالك امطروا * ما كان برقك خلبا الا معى

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل اوانه فقال

ص ﴿ومن نزلة الكشاف شابت عوارضى * وصار لقلبي لوعة ورجيف﴾

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا في محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بني فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزول الشيء من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقى من الادني الى الاعلى يقال صعد الى اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض قال امرؤ القيس يصف فرسا شجاعا مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد الجسور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى في قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على البلاد واذا اقبل على قرية يقرع الطبل فيخاف منه اهل البدع وارباب المفاسد ويرحلوا هاربين خوفا منه وربما وقعوا في يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل او حبس او ضرب او اخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول وتأتي اليه مشايخها ويقفون بين يديه في اشد ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن احوالهم ويسألهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يسرعون له في الاكل والشرب والتقادم على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم او قتل او خروج عن طاعة استاذهم او قائمقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف غمة مالم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم واذيتهم وتكلفهم في الاكل والمشرب فوق طاقتهم والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت نفوسهم بذلك فلا باس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره اى ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لى منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصة وخوفي من هذا الامر ان ينالني منه ضرر (شابت عوارضى) لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزى عن شيء

يأخذونه من داري من جملة للمطبخ او غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوانح وينبت الشيب في غير اوانه (والشيب) كرامة من الله تعالى لعبده اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقار لك في الدنيا ونور لك في الآخرة فقال يارب زدني من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث ان الله يستحي ان يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من أمامه
وقارب عنـد المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر واجاد

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وفي هـذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى (والشيب) مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ما تحبين من الرجال فقالت من خده كخدي وابره كزندي قال فاذا التحى قالت يطرق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخناق او يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه من أنس الغانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلوني عن حال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء اوقل ماله * فليس له في ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضي الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدي * من بعد نضو الخضاب حالي
قالت أهذا الذي اراه * غبار طاحونة بدا لي
فقلت لا تعجبي فهذا * غبار طاحونة الليالي

أي انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضي تكدر صدرها وطي بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالي واستنتاجها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذي ترينه فلا تلومي واصبري على ما بليتي به (وبعضهم) شبه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه ضاق له صدري

(ومنهم) من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في اول قصيدته

ياظبية أشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوا

اما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا

واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا

فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التى تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا فى الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين أولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقه قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين * وشيب اللئام من العنفقه

وشيب الرؤس عما في النفوس * وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى فى بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * وأما الحاقه تاء التأنيث فى الفعل فهو جرى على لغة الريافة والناظم منهم وأيضا لو قال شاباعارضي أو شابوا عوارضي لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاى شيء قال ومن نزلة الكشاف ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التى تعتري الانسان من حصول برد يحصل به فينزل في رأسه و يتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواؤها ان يدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكى فانه يخفف ذلك وما الحكمة فى انه أتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه أن يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقه * فى طيز كلبة مطلقه والحس خراها يافهيم * ومزمز دبالملعقه

(قلنا الجواب القشروى) أن النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وأيضا الانثى ألطف من الذكر فى الذات والصفات وان كان الذكر أشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة اكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا أن الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفساقه فاننا على حد قول أبي نواس رحمه الله

عجبت لمن يزنى وفي الناس أمرد * أليس ركوب الفحل فى الحرب اجود

وأما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثية ان الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ماقارب الشيء يعطي حكمه او على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التى تلفه

على الرأس او من عارضة الباب او من العروض الذى يعترى الانسان من لمس الجن او من العارض الذى يأتى بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم

قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

أو أنه سمي بذلك لتعرضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصير ورة او من صارى المركب او من الصرة التى تنقل فى كل عام الى الحرمين (لقلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل القشروى وقوله (لوعة) وهي شدة حرارة القلب وتلهفه من ألم العشق او الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك

أواه واحر بامن لوعتي وكفى * انى اكابد زفرات باشجاني

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اى رجفان لا يسكن أنه ولا يهدأ تحركه من شدة ما ناله من رعب نزول الكشاف وخوفه منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهي اشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص ﴿ويوم يجى الديوان تبطل مفاصلى * واهر على روحى من التخويف﴾

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجى) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية أى اهلها وهو ان النصراني اذا حضر الى القرية او الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الجوالى والقوانين التى جرت بها العادة وشرع فى اخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة او يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه فى ذلك الزمن او يبيع بهيمته التى تحلب علي عياله أو يأخذ مصاغ زوجته يرهنه او يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصراني او لمن هو متولى قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يري من يعطيه وخشي الملتزم او المشد من خرابه من البلد اخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال او ياخذ اخاه ان لم يكن له ولدا واحد من اقاربه او يوضع فى الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يا فتى   وتفارق الوجه الحسن   فاجبتها بتذلل

والقلب يعلوه الشجن   هم المعيشة فرقت   بين الاحبة والوطن

فلابد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل الذى اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم ومادام على الفلاح شيء من المال

فهو في هم شديد و يوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجي ناجب وقسم خائن خائب (فاما الاول) فهو صاحب عقل وسياسه وحسن تصرف ورياسه عقله رزين ملازم للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسندة جنب الحيط له على جماعته الحماسه متجنب الرذالة والخساسه يباشر الزرع و يقف عند الحصيدة والقلع لا يتكل على خولى ولا مرابع ولا يركن لتوار ولا مزارع بل يباشر الامور كلها و يعرف مرضها وعللها و يلازم المشد والاستاد ولا يسعى فى خراب ولا فساد فان أخذ من معامل فلوس لا يصرفها فى امر معكوس بل على مصالح الزرع والبهائم والامر الذي عليه لازم و ينوى السداد لصاحب الدين و يشفق على الفقير والمسكين و يفيق لا نواره و يحفظ غيط جاره و ينوي سداد المال و يتكل على العلي المتعال و يترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان و يسد مال السلطان وان جاءه المعامل اوفاه وان طلب منه ثاني مرة اعطاه و يرتاح اولاده و يرضي عنه استاده و يعيش في راحة ودين و يرضي عليه رب العالمين (وأما القسم الثاني) لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفه فائق للشر والمقرفه بالنهار في لعب المنقله و بالليل ساحب العتله لا يلازم الغيط يحب اللطعة جنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهدار سفلاق فشار ان دخل في يده فلوس فرقها على العتورة والتيوس لا يلازم مشد ولا استاد دائر في العكس والفساد تيرانه جائعه وخيوله ضائعه لا يصرف الاشياط وعياط وزرعته مافيها الاضراط يصرف من غير قانون مشحوت منحوت مديون ممقوت مع استاده دائر فى غيه وفساده لو ضربه مقارع اوكسارات لا يخلى الط في الدور والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوى على الرحيل والخراب دائما في مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس والضرب قنف معكوس محراك شر حرب البسوس لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف والالفين فتنة في البلد عمره في هم و نكد لا يوفى المعامل ولا له رأى كامل المقت منسكب عليه وشبيه الشيء منجذب اليه فلا خير في حياته ولا يبكي عليه بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرح فى الدار عترأ كال خره لا دنيا ولا آخره كما قيل فهذا الذى ان عاش لا نفع به * وان مات لا تندم عليه اقار به

(وأول) من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأول ديوان عمر بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم يضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج في زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا او عنوة على ماقيل جمع منها اموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتم عني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له

بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنز افطلبه وساله فانكر فحبسه في السجن وجعل عمرو
يسال عنه هل تسمعونه يسال عن احد فقالوا الا انا سمعناه يسال عن راهب من الطور
فارسل عمرو الى بطرس واخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس
يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء ان يذكره وجهز الكتاب مع قبطي
وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة
مكتوب فيها المال تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة التي تحتها فوجد
فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فاخذ المال وضرب رأس
بطرس عند باب المسجد انتهى (وحكي) ان المرحوم السلطان سليم لما اخذ مصر من
المرحوم السلطان الغوري في رجب سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودونه
بمصر (منه) انه لا يكتب شيء من مال الديوان على احد من الجند وافق ذلك رأي مولانا
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما ارسل الى نائبه عمرو بن العاص رضي
الله تعالى عنه يامره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون في بيت الملك (ومنه) انه لا يتزوج
بمصرية (ومنه) انه لا يقيم في مصر اكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر (ومنه) ان
الجندي لا يجمع بين الجمكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندي المثبت في الديوان اصحاب
الجوامق والعلوفات وأول من جبى خراج مصر في الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضي
الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من
كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن أبي سرح خراج مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال
ابن عفان لعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما يا ابا عبد الله درت اللقحة با كثر من درها
الاول فقال له سيدنا عمرو اضررتم بولدها (وهذا الذي) جباه عمرو وعبد الله انما هو من
الجماجم خاصة دون الخراج (وكان) خراج مصر في زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل
سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع اربعة آلاف الف ومائتي الف وسبعة وخمسين الف دينار
والمقبوض على الفدان دينارا والدينار في ذلك الزمن عشرة انصاف (واعلم) ان مصر كانت
قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية
خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت فجاء الاسلام وفيها اربعون كورة عامرة
بجميع قراها لا ينقص منها شيء (ونقل الاستاذ السيوطي) ان سيدنا عمر بن الخطاب
كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيأ من مال الديوان على احد
من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض
على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشيء بما يصير اليه وسمي ديوانا لاقامة الدين فيه
باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم او لحضور مادون الملك فيه او لجمعه على اجناس

مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشاه شخص
ديوان فنزول الديوان في البلد على كل حال امر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين
فالناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين المنكسرين فى مال السلطان كما سيأتي في قوله
وياذوب عمرى في الخراج وهمو وان الدهر والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما
تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان او قرب حضوره داخلني الخوف واعتراني
الفزع ودهمتني الداهية الكبرى ولحقتني طربة عظيمة لعدم شيء من الدراهم او رده فى
مال السلطان او خوفي من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) اى ترتخى وتسكن
ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق
فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو وقد ذكر لفظ المفصل
في قول ابي نواس لما احتضر

لم يبق الا نفس هافت ومقلة انسانها باهت
ومغرم تضرم احشاؤه بالنار الا انه ساكت
مافيه من عضو ولا مفصل الا وفيه الم ثابت
رثاله الشامت مما به ياويح من يرثى له الشامت

ثم ان هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج الارض
ولكونه لا يمهله النصرانى ولا يرثي لحالة ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة
الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على روحى) اى على
ذاتي لا الروح السارية فى الجسم من شدة الطربة وهم (التخويف) اى تخويف جماعة
النصراني او المشد او الخوف الذى يصيبني بمعنى ان الطبيعة تلين من انحصار هذا الهم
وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هرار الطين بعد ان كان اذا ضربته فى
الحائط ردفي وجهك من يبسه فيسيل على ذاتى وثيابى فلا املك دفعه لانه يتدفق بسرعة
من شدة الخوف * والهر واحد الهرار والهرار على وزن الجرار واحده الهرة من قولهم
هر عليك الحمار او هرت على لحيتك الكلبة او هر على ذقنك الكلب مثلا ويقال هر التراب
وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى اكوام
الرمل نظرت فيها الهرار بيقين او هو مشتق من الهرة التى تصيد الفار وتسمى بلغة اهل
الحجاز البسة بضم الموحدة وبلغة اهل مصر القطة ومصدره هر يهر هرارا ثم ان الناظم
نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا
الهروب مما دهمه والاختفاء منه فقال

ص (واهرب حذا النسوان والتغ بالعبا ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف)

ش قوله (واهرب) أى انا الاجد غيرى (حذى) اصله بالمد والذال المعجمة واستعملت

بالدال المهمله جريا على لغة الارياف وقصرها للضروره وحذاء الشيء أي جانبه أو مقابله
وقوله (النسوان) أي عندهن أو يحازي لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التانس او
الانس أو المؤانسه لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء انس بها وسعى لها فمن
هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل
مر بعضهم بامراة جميلة فانشد يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهي شم الرياحين

(والنسوان) على وزن الجروان والنسوه على وزن القهوه أو والعجوه والنساء على وزن
الكساء وقد ياتي فيها الفساء ايضا والمعنى اني اخشى على نفسي وأخاف مما دهاني فامضي
بسرعه واما في هذه الحاله وأهرب اى انطلق بسرعه الى النسوان وأختفي بينهن أو
اجلس بجانبهم او مقابل لهن كما في المثل الهروب نصف الشطاره وقد هرب عنتره مع قوته
وشجاعته وقال اعاير بهذا ولا اقتل فالشخص اذا خاف من ظالم اواحد يؤذيه وتمكن
من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوزله ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه
(ومما نقل من الامثال) جدع قصير أنفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي
صاحب جذيمة الابرش الذي هو اول من اتخذ الشموع وأوقدت بين يديه وكان له اخت
جميله زوجها لعدي احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدي وهرب اتت منه بولد اسمه عمرو
فتربى عند خاله جذيمة الابرش واحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة اغار على ابي الزباء فقتله
واستولى على بلاده وهرب بت الزباء الى القسطنطينيه فجيشت جيوشا وعادت له حتي
استخلصت منه بلاد ابيها ثم انه ارسل لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فنعه قصير
وقال هذه مكيده فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عكسرها بان يتلقوه
ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة الابرش
وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا اجذيمة وادخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت
تركتها سنة قالت له اجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة بظراء فامرت الجوارى ان
يفرش له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه في جميع عروقه حتى فرع دمه فمات ثم ان قصير
اسعى في اخذ ناره بحماة جدع انفه واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة
الابرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها ارادت غزو عمرو فقال
لها عندي من السلاح والاموال شيء كثير فجهزته لياتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد
اصبت الفرصة واعطاه ألفي رجل بسيوفهم في صناديق مملوءه ذهبا وسبق قصير فاخبرها
بذلك فجلست في محل عال تنظر للجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق

وخرجت تلك الابطال بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدى لا بيدك
ياعمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام (فان قيل) لاى شيء اختار
الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع ان النساء لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا
منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك (قلنا الجواب من وجهين)
الاول لما دهمه هذا الامر واتاه الديوان على حين غفله وارتخت مفاصله وحصلت له حالة
الهرّهر على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى احد من الرجال يختفى عنده
أو الى محل بعيد عن القريه يتوارى فيه لشده خوفه وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها
ايضا اذ هو من لوازمه كما سيأتى ورأى هؤلاء النسوه قريبا منه أو من محله فتوارى بينهن
(الثاني) يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على
شيء من أمور الرجال وخشى ان يمضي الى احد من الناس او من أقاربه فيدل عليه
النصراني فيأخذه ويشوشن عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم أمان ولا عشره حسنه
مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شيء له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وأيضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن احد قد اجتمعن في محل لا يشك ان بينهن
رجلا الا ان ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى
سيدنا حسان رضي الله عنه عند النساء في بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور
في السير فاتضح الجواب ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشيء يواريه من الاعداء
ويسترعنه الاعين قال (والتف بالعبا) أي وقت جلوسى بين النساء أو بجانبهن اوقبالهن
التف في العباء او ارقد بغد لفي فيها لاطرد عنى الوهم بالتفافي بها فان الخائف أى شيء رآه
توارى فيه سواء كان عباء او ثوبا أو شيئا يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزى النساء واختفى
عن عدوه ونجاه الله تعالى منه (كما اتفق) ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاه
ليقتله فقيل له هو في القريه الفلانيه فارسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القريه
واحاطوا بها فلما عرف الرجل أنهم يريدوا اخذه للملك تزيا بزي النساء وخرج في جمع
منهن ينوح ويبكى ويصيح وهن ينحن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوه سلوهن عن
حالهن فاقبل جماعة وسالوهن فقلن مات لنا ميت في القريه الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى
سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر ومضى
الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك (ومثل هذه الواقعة) ما اتفق لى اني كنت في
سفينة مسافرا من بلدى شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام
جميل الصوره عليه ملبوس حسن فى زى خدمة الامراء وهو يصيح على ريس السفينه

خذني و يتذال له و يتداخل عليه انه يا خذه وهو في كرب عظيم فامتنع رئيس السفينه من اخذه وخشي ان يكون خلفه احد يفتش عليه أو يأتى اثره وكان في السفينه ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيره فقالت يا رئيس غلام مكروب يسالك فى اخذه فلم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وأنا اصنع له حيله نواريه عمن يطلبه واخفيه بين بناتي ولا يعرفه احد فسمع الرئيس كلامها وأخذ الغلام فلما صار فيه السفينه اخبرأنه كان في خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأه اقلع ثيابك فقلعها فأخذتها واخفتها فى حوائجها وألبسته لبس النساء واجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بامير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينه وقال للرئيس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لى غلام فى هذه الساعه ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأه ادخل لا تخف فدخل البر وصار كل من في السفينه في خوف من هذا الحال فطلع الامير وأعوانه وفتش السفينه والمرأه تقول هذا شيء ما رأيناه قط وانما رأينا غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانيه فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من ولم يظفر بشيء وأما الغلام فانه مكث معنا في المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله سالما والناظم لما راى هذه العباءه اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشيء واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال فلان لف متردعدس او مترد بيسار بمعنى انه اكله ويقال داهيه تلفك مثلا قال الناظم اندرج فى العباءه المذكوره ليوهم رآه ان هذه عباءه ملتفة ولا يشك أن داخلها أحدا والعباءه كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفه الالوان يجعلها اهل الريف فراشا في الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبه للفصلين وهى افخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء في قول سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه

نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباءه مشتقه من عب الماء لانها تعبه اذا ألقيت فيه او من عبوب البحر أيام النيل أو من أبو عبية كنيه لبعض الفراريج الصغار يكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عب يعب عبا قوله (ويبقى) اى عند هذه الحالة التى انا فيها وهى اسهال الطبيعه وسيلان الهرار على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف فى هذه العباء ومندرج فيها (ضراطى) اى صوت الريح المتلائم فى بطنى من اكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربان الاعضاء ورجفان القلب (شبه) أى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلده مركبه على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوي شديد رعب زائد وا كله حلال الا الكوبه وهي طبله صغيرة محصوره الرقبه وتسمي ايضا بالدرابكة وطبل الرق يستعمله أرباب الملاهى

وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) اى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا يعني انه ضربه او ادبه والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضرب به الرجل بقوه وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب او ان مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقاره نحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العباره ان الضراط على اربعة اقسام (الاول) ضراط يخرج رقيقا ضعيفا الصوت ممتدا بصوت ضعيف (الثاني) ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت (الثالث) ضراط يخرج ممزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها (الرابع) ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذي نبه عليه الناظم بصرخ به ولكل قسم من هذه الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه أرياح لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف المأكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفة وأرباب المأكل الخفيفه (والثاني) ضراط يجول في البطن بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقره فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من المآكل الغليظة واذا انضج أسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شيء يكون فساء وفي هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط في المأكول طول نهاره * وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر

(كما اتفق) ان رجلا أتى الى طبيب فقال له أحس فى بطني معمعة وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول في البطن من غير قرقره مع شده وجع يقال له مغص يعالج باكل شيء من الشيح أو الصعتر المقلي بالسكر فطورا او ربما مكث يوما كاملا أو ليلة كاملة (كما اتفق) لابن الراوندي عفا الله عنه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسال الله تعالى أن يفرج عنه بفسوه تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ علي عصاه فسمع رجلا يقول اللهم ارزقني ألف دينار فقال له يا سقيع الذقن أنا طول ليلي أطلب منه فسوه فلم يعطها لي أيعطيك ألف دينار وتركه ومضي ولهذا يقال مغصة قليلة الفساء (قال المسعودي في مروج الذهب) فى ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب الملوك ونسوق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا فى وصف من عليه الى أن قال فى آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لانه داء يؤذي وان ارساله شفاء

ينجي وان في ذلك العلاج الا كبروان فيه راحة لصاحب القالج والمحصور وان فيه دا للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوه ولا يرون ذلك عيبا (وذكر هذا الخبر) عن الهند أن السعال عندهم اقبح من الضرط وأن الجشاء على وزن الفساء اقبح منه (او ستشهد هذا الخبر) على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول في ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى * مقالة ينتج منها قصدى لا تحبس الضرطة مهما حشرت وخلها وافتح لها ما استفتحت * فان أدوى الداء في امساكها والروح والراحة في اخراجها

والقبح في السعال والمخاط * والسوء في الفساء لا الضراط

أما الجشاء ففساء صاعد * ونتنه عن الفساء زائد

(وأن الريح) واحد في الجوف وانما تختلف اسمؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى أسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة في مؤخر الرأس والقفا واحد وانما اختلف اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وان الحيوان الناطق انما كثرت علله وتعددت امراضه كالقولنج وأوجاع المعده وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما ذكرناه من الامراض والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض من الادواء في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كدمقراطيس وفيثاغورث وبقراط وجالينوس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يروا حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضروره العقل وانما استقبح ذلك أناس من اصحاب الشرائع ومنعت منه الملوك ولم يجز ذلك في عاداتهم (وقال المسعودى) في مروج الذهب كان المعتصم يانس بعلى بن الجنيد الاسكاف وكان عجب الصوره لطيف الحديث فيه سلاسة أهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيا حتى يزاملنى فاتاه فقال ان أمير المؤمنين يامرك أن تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف أتهيأ أهيئ رأسا غير رأسى أم أشتري لحية غير لحيتى أم أزيد فى قامتى أنا متهيئ قال لست تدرى بعد ما شرطوا المزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وما هي هات ما عندك يا من تدرى قال له ابن حماد وكان أديبا ظريفا شرط المزاملة المؤنسة بالحديث والمذاكره والمناقلة وأن لا تبصق ولا تمخط ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وان تتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة وأن لا ينام وان نام الرئيس بل ياخذ نفسه بالتيقظ

ومن اعاه حال من هو معه وماهو را ئبه لانهما ذاتا ماجميعا فيا حال من لا يشعر بمثله فلما اكثر
عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آه وا حراه ذهب فقل له
ما بي املاك الا من أمة زانية فرجع ابن حماد وقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئني
به فجاءه فقال اعلي أبعث اليك تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءني
بشروط حساب الشاشي فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل وعطط في كلامه
ويقرقع في حكاياته ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس ولا ولا وهذا لا يتم لي ولا اقدر عليه
فان رضيت ان ازاملك فاذا جاءني الفساء فسوت عليك وضرطت ايضا واذا جاءك انت
فافس او ضرط علي والا ليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل
مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله علي على بغل فسارا
ساعة وتوسطوا البر فقال علي يا أمير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا
شئت قال نحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له علي اقبل حتى اساررك فلما
قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل رأسك في كمي فانظر ما هو فدخل رأسه فشم رائحة
الكنيف فقال لم ار شيئا ولكني لو اعلم ان جوف ثيابك كنيف ماقربت منك والمعتصم قد
غطي فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد
قلت لي لا تسعل ولا تبصق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخرا عليك قال فاتصل فساؤه
بالمعتصم فصار يخرج رأسه من العمارية ثم قال المعتصم قد صحبت قذرا فيه خراء فقال المعتصم
وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك ثم انه أجازه
بجائزة سنية (والثالث) ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط وسببه ان الارياح عند خروج
الخارج تمتزج به وتتلايم معه وتخرج هي واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة
فيظهر منها اصوات متقطعة غير ممتدة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع نفخ
البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط   فلاحت بلا شك تساريح نفخته
فمن كان ذا عقل فيسترضارطا   ومن كان ذا جهل فني وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن ورنته وقت غزل النساء به
وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال

ذي بنت بطني خرجت تعيط   تدندن كالمردن في برمته
ومن يقل لي اكتم ضراطك   أجعل خراي على لحيته

فجعل البطن مثل الام وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت امها وصارت تعيط
وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره يكون جاهلا بحاله

هو يكون خراه في لحيته (ويحكي أنه دخل أبو الاسود على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا أمير المؤمنين لا تخبر بها أحدا فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من أبي الاسود فلما رآه عمرو قال له يا أبا الاسود ضرطت بين يدي أمير المؤمنين فلما دخل على معاوية قال له ألم أسألك ان لا تخبر بها احدا فقال معاوية ما علم بها أحد غير عمرو فقال اياه الذى كنت احذر ولكن أنت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك أمانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين واموالهم فضحك معاوية ووصله وقد يأتي الضراط على حين غفلة عند حمل شيء ثقيل او وثبة فاحشة أو تحرك للقيام بشدة ولكن لا يمتد له صوت مثل غيره وهذا أخف ضررا مما سبق (كما اتفق) ان اعرابيا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما أحدثت في الناس بدعة ولم يات إستي منكرا فاتوب

اذا كانت الاستاه تضرط كلها فليس على في الضراط رقيب

(وأتى) رجلان الى قاض فتقدم أحدهما فتظلم من صاحبه وشكا قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى إسته وقال لها إما ان اتكلم انا أو أنت (وحكى نفطويه) عن حكم بن عياش الكلبي انه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم سرور واجلسه الى جانبه ودعا بقوس رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحييا فقال عبد الملك دهينا في الاعرابي وكنا نطمع في انسه واني لا أعلم أنه لا يسكن ما به الا الطعام فدعا بالمائده وقال تقدم يا اعرابي اتضرط وانما أرادلنا ذل فقال له الاعرابي قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد ابتحنا هذا اليوم فقال عبد الملك والله لاجعلنها مذكره يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجيء بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت له تسلى وانبسط ونسي ماصدر منه فانشد حكم بن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس فيحبوه الامير بها بدورا

فيالك ضرطة جرت كثيرا ويالك ضرطة أغنت فقيرا

يود القوم لو ضرطوا جميعا وكان حباؤهم منها عشيرا

أيقبل ضارطا ألفا بالف فاضرط أصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الملك وأجاز حكم بن عياش بمثلها (وقيل) أقبل الصغيرى على مجلس بعض الامراء وأراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيرى اذ ولى على عجل من ضرطة أشبهت نايا على عود

فانما هي ريح لست تملكها اذ أنت لست سليمان بن داود

(وهذا) كله كان من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن الجالس في الحضرة اذا ضرط فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز في الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث امها ... وليس لها روح ولا تتحرك

تقهقه منها القوم من غير نظرة ... وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك ولو اراد به المزح مثلا (وذكر) في كتاب نزهة الابصار في اخبار ملوك الامصار انه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك ان ادلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجني الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصره في قشر جوزة واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكا الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد ان يسقط عن دابته (ويحكي) ان هرون الرشيد وجعفرا مرا ببغداد فوجدا رمالا بعينيه احمرارا فقال الرشيد لجعفر ماهذا يا جعفر قال هذا رمال فقال لا بد من اختباره فتوجه اليه جعفر فقال ما صنعتك فقال ماترى من الاصطرلابات والادوية فقال لم لا تداوى عينيك قال داويتها فلم يفد فقال أصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهواء وثلاثة اواق من نزوع الماء ودقها في هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال مامرآ نفاثم اتي اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ماترى فقال بي أمراض اخبرك بها فقال له قل قال بشر رذقني مغص وما آكل من الطيبات ينزله من اسفل خبيثا وساطني ظلمة فقال اما بلحيتك من المغص فعليك بالموسي واما ماتأكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا واما ماتراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل ماينور على استك وبطنك (وقد شاهدنا في بلاد الارياف) ان الشخص اذا ضرط في مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة في الحائط التي يجلس بجانبها من جص او جير حتى يراها كل واحد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة مايلومونه على مافعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان في مجلس فلا باس بضراطه فيه وينبغي مسامحته لهذه العلة (ورأيت في بعض

الكتب) ان سبب مالقب حاتم نفعنا الله به بالاصم ان امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم أعلى صوتك بالكلام فاني رجل أصم وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المرأه وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضي الله عنه (واتفق لى) اني كنت اهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف بجماله وراغب في وصاله وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان وان يجمعني السعد واياه في مكان الى ان صادفته في روضة بالمشموم عابقه وبخيلها باسقة وطيورها بالتغريد ناطقة يرفل في ثياب العزو الامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبدأته بالسلام وأبديت له الغرام وسالته الجلوس فاجاب وما احلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس واردت ان املا بقده المانوس بين هاتيك الرياض الزاهره والروح العاطره واحظى بحديثه العذب الرائق وبنطقه الشهي الفائق اذ أقبل علينا جماعة من ارباب الذوات الكثيفة والطباع العنيفة وجلسوا من غير طلب وخاضوا فى الحديث من غير ادب فخجل الغلام منهم واطرق واعتراه الوهم والحنق واراد ان يتحرك للنفار فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لاعبين فنظر الى بطرف كحل ووجه جميل وقال ما تقول في لؤم هؤلاء الارذال فانشدت اقول بارتجال

لاموا الحبيب وما دروا قصد الحبيب بما فعل لما ازدرى جلاسه ورأى بهم ذاك الثقل
ورأي التفوه معهمو بلطيف لفظ كالعسل فيه الخساره اذ همو اهل الكثافة والملل
ناداهم من إسته بلطيف صوت قد حصل كيما يناسب حالهم ومقامهم ذلك الاقل
فتفرقوا عن مجلس حاوى الغزال مع الغزل ياحبذا من ضرطة فيها ذهاب للملل
رقت وراق محلها من العواذل والعذل والحمد لله على ذهاب هم قد رحل
فاضرط وغني وانبسط واشطح وطب ياذا البطل فى روضة ياجنها بها السرور قد وصل
فكلما ترضي به فالعبد عنه ماعدل لكن بحق المصطفى غيري فلا تاخذ بدل

فتبسم عن ثغر كانه عقود الجمان ومال على بقد كانه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبة وغرس فى فؤادك شجر المحبة لا أكون في يمينى حانث ولم يدخل بيننا مدا الدهر ثالث ازل انا واياه على هذا الحال حتى لحق بذى الجلال ( ) ومن اللطائف ان السلطان قانصوه الغورى مر يوما فى شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لاخر مثله تفتخر على يافلان وانا اقدر اصور النغمات من طيزى فقال الملك لوزيره على بهذا الرجل فاحضره بين يديه فاخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما التزمت به فقال له تعفونى يا ملك فان الرجل في المخاصمة يقول ما شاء قال لا بد من صدقه

بعقالتك والا قتلتك فقال تعطيني الامان قال لك ذلك فقال يكون في محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره وطاب معه في الكلام وقال له افعل مابدا لك وكان السلطان النغوري له دراية بهذا الفن والف فيه بعض رسائل فقال اى نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك أليبه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغمات ونهزاتها ولم يترك شيئا يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر في هذا الفن ثم انه اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على ارباب الدخول كلهم ويقال انه جد اولاد العتر المشهورين الآن (وماحكى) انه حضر بعض الخياطين عند بعض الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل والامير ينظر فلم يتهيأ له ان يسرق شيئا فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد فجلس الامير وقال ياخياط ضرطة اخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء (وقد) اجتمعت برجل يقال له ماضي الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ القرآن جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به اى نغمة كانت ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة اعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند العلماء عفا الله عنه (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو ان ابليس لعنه الله يضرط في كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار اولهم من يركب زوجته ويزورها اضرحة الاولياء والمقابر والثاني من راي اثنين يتساران وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة والثالث من راى اثنين يتصابران وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل ماينوب المخلص الا تقطيع الثياب والرابع من يمشي في الطريق ويلتفت من غير حاجة والخامس محبوس الزوجة وقس على امثالهم (ويحكي) انه كان لفتى من قريش جارية في ايام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم انها شغفت به فوهبها له فاخذها ودعا له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار لا يدرى الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن راى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى اتي بها فقال لها الحجاج ياعدوة الله كنت عندي من احب الناس فاخترت ابن عمي شابا حسن الوجه بعدما رايتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدي اسمع قصتي ثم اصنع ماانت صانع فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي فقعد به الدهر فاتي بي الى الكوفة قاصدا اليك ليشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع هدير الاسد فوثب قائما واتي الاسد وقتله

ثم اتي الي وما برد ماعنده من الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الى وواقعنى
سقطت فارة من السقف فضرط وغشى عليه فرشيت عليه الماء وهو لا يفيق نخفت موته
فتتهمني فهرب خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال لها ويحك اكتمى هذا
ولا تعلمي به احدا فقالت على ان لاتهبني اليه ثانيا (فان قيل) ان الضراط صوت وقد عرفوا
الصوت بانه هواء منضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع
انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم (قلنا الجواب) يقال ان
هذا لا يتاتى الا على التعريف الثاني وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح
الجواب (فان قيل) ان في قول الناظم ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف اشكالا من حيث
انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه وعرفه وظهر
حاله واستدل بهذه الحالة عليه النصراني وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في
اندراجه في العباءة فما الحكم (قلنا الجواب) ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة
الا بعد لفه في العباءه فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوه اندراجه في العباءه لا يسمع منه
شيء والمعنى انه لو كان خاليا عن اندراجه ولفه فى العباءه لسمع منه الضراط كصوت الطبل
وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان
كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه او على من يكون واقفا على باب الجب او
قريبا منه فالعباءه حكم الجب وهي اضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا
لا يظهر حسه من الخارج الا ضعيفا او انه من باب الغلو فى الشيء كما قال الصفى الحلى فى
بديعيته عزيز جار لو الليل استجار به   من الصباح لعاش الناس فى الظلم
او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لا يتوهم انه رجل مختف بل ربما
يظن انه رجل او امراه يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال في
كلامه فاتضح الجواب (قلت) ولم ار من صرح بهذه العباره وجعل الضراط فيها على هذه
الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيرى ثم ان الناظم نبه على ان عمره قد انقضى وزمانه قد
مضى فيما لا طائل تحته ولا فائده فيه لشده فقره وقلة كسبه فقال

ص (ويادوب عمري في الخراج وهمه   تقضى ولالى فى الحصاد سعيف)

ش قوله (ويادوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات
فشرويه ومعان مختلفة . فاما ان تكون مشتقة من داب الانسان وهو شانه وحاله الذي
هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخواني ان دابى طول عمرى مع ما حصل لى من الهموم
سابقا في حساب وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وما ينشا من همه اى خراج
الارض وهو المال المكتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يبقى عـا

علي من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفي وشده فقري وقلة من يسعفني في الزرع والقلع فلهذا تقضي عمري وانا في هذا الحال الى آخره. او انه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه او كله فيخشع خوف احد يتحرك او خشية الفتنة حتى يقضي الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا لطيفا او شتمه شتما خفيا فيقول له قدر الله وانا عبدك مثلا واني هلكت في حبك الى ان تمضي القضية على احسن حال قال بعضهم مواليا

دبيت ليلا على من للملاحة حاز ... بقيت راكب على ظهر وشبيه الباز
لما انتبه من منامه قال من دافاز ... بوصلنا قلت اعمى جس بالعكاز

وما ألطف قول بعضهم

رمى حر قلبي باجفانه * رشا ما درى قدر ما قدرمى وأضرم نار الاسى في الحشا * ولم يشتكي ضره ما اضرما وسلم قلبي الى ضده . فياليته سل ما سلما . وقد كان قدم احسانه . ولكنه قد قدما وقد هد بنيان صبري به . وما واحد هدما هدما . وحرم ما حل من وصله . وفي مهجتي حر ما حرم وقد عز ممن احب الوفا . وما احد عزما عزما . عجبت لفيض دموعي به . اذا ما جرى أو هما أوهما فسلمت أمري به للقضا . وحزت به اجرما اجرما . وقد رقم الحسن في خده . فلله قد رق ما رقما

(وقال آخر) شكوت الى الحبيب انين قلبي ... اذا جن الظلام فقال انا
فقلت له اظنك غير راض ... بما كابدت فيه فقلت انا
فقلت له اترضى ان قلبي ... باثقال الغرام فقال انا
فقلت له أتحكم مثل هذا ... على اهل الغرام فقال انه

(اعلم) ان الاول فعل امر من الانين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة من إن الشرطية وامه فعل ماض والرابعة ان واسمها

(وقال آخر) جلى الذي اطلع شمس الضحى ... مشرقة في جنح ليل بهيم
وقدر الخال على خده ... ذلك تقدير العزيز العليم
بدر ظننا وجهه جنة ... فمسنا منه عذاب أليم
ينفر كالريم ألا فانظروا ... الى بخيل وهو عندي كريم
لما انحنى حاجبه وانثنى ... يهز للعشاق قدا قويم
عجبت من فرط دلال وقد ... بدا لى المعوج والمستقيم
داوى حنيني ياطبيب الهوى ... وخلني انى بحالى عليم
لخصره واه وارادفه ... ثقيلة واللحظ منه سقيم

(وقال آخر) صيرني في كل واد أهيم ... من حظ قلبي منه هاء وميم
فتى بخيل شبه ريم الفلا ... ياطول شوقي من بخيل كريم
لم انس من وحشته ليلة ... خلفني ارعى دجاها البهيم
نظرت من حبي بها نظرة ... فقال لي جسمي انى سقيم
شوقا لمن لست على حبه ... بصابر لكن قلبي كليم
لا اسمع اللوم على حبه

أعوذ بالله السميع العليم في شرعه جل وحكم الهوى دمع نزوح وعذاب مقيم
وثابت الود لديغ الحشا يأتي الى الله بقلب سليم يا روضة تجني بالحافظه
فيجتنى حلو الرضاب النعيم كن كيفما شئت وعن مهجتي فلا تسل عن حال اهل الجحيم

(والمعنى) انى اكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فيمنعنى الراحة فى معاشى والسرور فى اوقاتي وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم او أنه من دبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب في هذا الامر في الليل والنهار يتولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد أو أنه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان أبلد طبعا منه الا أن عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل (بلادة الدب غلبت فطانة القرد) وعجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له ففى التبلد فى الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبلد تزن عقل الانام ويظهروا * اليك أمور الست منها بخابر

والمعنى أن كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتنى فى حالة تشبه بلادة الدب وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة في الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب على فى كل ساعة فأنا محروم من لذات الدنيا ولم يفدني ما أنا فيه شيأ قال بعضهم

أصبحت لا شغل ولا عطلة * مزيد نام صفقة خاسرة وحاصل الامر وغاياته * أني لا دنيا ولا آخره فلا أرى في الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد أن فيه تسعة اعشار البركة لا يفى بهذا المقدار من كثرة الظلم وأما في الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كلف ولا مغارم ولا شيء مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيأ من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب (ومما روى) أنه اعترض رجل المأمون فقال أنا رجل من العرب فقال له ليس بعجب فقال أريد الحج فقال الطريق أمامك قال ليس لى نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة (ومن النوادر) أن الاصمعي مر بحي من أحياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان فى الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي اين أباك فنظر الصبي اليه شذرا ولم يجبه فقال له أين أبيك فلم يجبه فقال له أين أبوك فقال له فاء الى الفيفاء

لطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء (ولما دخل المأمون مصر) وسار في قراها كان يبنى له في كل قرية تكية يضرب عليها سرادقة والعساكر من حوله وكان يقيم في كل قرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا له أن القبطية قالت أمير المؤمنين نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وأنا أسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت امه جميع ما ذكروزيادة وكان مع المامون اخوه المعتصم وولده العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيي بن اكثم والقاضي ابن ابي دواد فاحضرت لكل واحد منهم مايخصه على انفراده ثم احضرت هي للمامون من فاخر الطعام ولذيذه شيأ كثيرا انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المامون ذلك ورآها قال قد جاءتكم القبطيه بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق فاذا هي ملآنة كلها ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتامل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقر بنا فقال انه في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فردي مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا امير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به واخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مائتي فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث (واول) من احدث بمصر مالا سوى الخراج احمد بن المدبر لما ولي خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعدما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال الهلالي بالجديد (وقال) سيدي ابو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل بن

امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ماسلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلا شامخا وانزلك منزلا شريفا فاباح لك ملكا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد الزم الورى طاعتك فلا يكن احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان . واعلم ان هذا الذى اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموته من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله عن الفتيل والنقير والقطمير واعلم ايها الملك ان الله تعالى آتى الدنيا بحذافيرها سليمن عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ماعدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف واعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وامانا للخائف (قال رضي الله عنه) ثم اتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى الاقامه فيها غير هذه المملكه اى مصر ثم انشدان يقول

الناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقوله (ولالى فى الحصاد مسعف) اى ولا ارى من يسعفنى في حصاد الزرع عند اتهائه ولا من يعاوننى على تحميله على الجمال ونزوله في الجرن ودرسه ودرواته وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله وشف وآل الى السقوط فيعجلون عليه بالحصاد وقد شبه الآدمى بالزرع فانه فى ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا وكذلك الشخص فى حال نشانه وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفه فاذا طاب وآن اوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمي اذا صار كهلا ردهمه الشيب آن او ان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع اى قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوى فالحسى ماتقدم ذكره والمعنوى مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل اى فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ماخاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

(ومن الحكم) من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زراع يحصد ما زرعه من خير أو شر قال الشاعر

غدا توفي النفوس ما كسبت * ويحصد الزراعون ما زرعوا
ان احسنوا احسنوا لانفسهم وان اساؤا فبأس ما صنعوا

(قيل) ان الظالم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا في غد فكتبت له رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب * ملكتم فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ودرت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها وكبود جوعتموها واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فعدل لوقته رضي الله تعالى عنها (ثم ان الناظم) نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ص (ويوم تجيء العونة على الناس في البلد تجيبني في الفرن ام وطيف)

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه في هذا البيت (تجيء العونة) وهو أو ان حفر السواقي وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه في هذا المعنى والعونة انما تكون في بلاد الملتزمين التي فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا أخذ قرية او كفرا من كفور الريف يزرع فيها اوفي الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذي يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا للاخشاب وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الآبار ولحفر القنى او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الغفير فينادي العونة يا فلاحين العونة يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل ما يامرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى او تكاسل عن السروح اخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات حملوها على ولده وهكذا فهي داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد اراح الله قريتنا منها انما هي قراريط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الاخراجها يأخذه في كل

سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما في تعب وكدر وغرامة وسخر وهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونة (على الناس في البلد) اى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر ان يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبيني) اى تخفيني عن اعين الناس حتى لا يراني احد ولا يسمع بي (في الفرن) أى في فرنه الكائن في داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبيخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) اصله وطيفة وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى منا ما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى   سحيرا وصحبى بالفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى   اذا الدار قفرا والمزار بعيد

اومن الطوفان اومن اطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل في لزق الجلة وعملها اطوافا فمن هذا كنوها ام وطيف واما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة او معيكة وهي ام الناظم او زوجته او اخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه او انها اسم للجماعة المتعاونين على الشيء ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة أى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزريبة او الشونة ويعايرون بهذا الامر دو يقولون له انت يا خوريا بقره دائما عونتك مية اى مائة نفس او انها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينا او اعان يعين اعانة قال الشاعر   فعون تعوينا وعان اعانة   وكل له معنى صحيحا وقد ورد

(فان قيل) ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به احد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونة لا بد من السروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان او من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب (قلنا) الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره احد وانما اراد الاختفاء خوفا من اقاربه ان يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه او يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقرره عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه او انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفي في الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه احد كما يقال فى المثل (ابعد عن الشروغى لو * وعين لا تنظر قلب لا يحزن) فافهم الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القل والعتره والقمل .

والصبيان وعداوه اقاربه وما ناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع في تمنى جملة من المآكل او رؤيتها الشده ماهو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك او يملكه ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه افخر مأكول أهل الريف فقال

ص (ولا هدني من بعد هادو هاده * سوى الكشك لما يستحق غريف)

ش قوله (ولا هدنى) اى هد حيلى وقونى ماخوذ من هذا الحائط واصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرما لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذا
أفسدت قلبي فقالت تلك عادتنا قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هدو هد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما ركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضاء عمي البصر او انه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفي الحديث تهادوا تحابوا ويقال اصل المحبة الهدية واصل العداوه الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع في النفس ولو كانت شيئا يسيرا وفي المثل * هدية الاحباب على ورق السداب وقال بعضهم جاءت سليمان يوم العرض قنبره * تهدي إاليه جرادا كان فى فيها

وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(او انه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هد يهد هدا او هد يهدم هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا او هدمك هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا اهدم ونحوه وقوله (من بعدهاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين اولها مثل آخرها اذا وقعت عليها واصلها هذا اسم اشارة الا ان ألسنة أهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هد حيلى واضعف قواى من بعد ما تقدم اولا وهو أكل الفمل والصيبان والقل والعتره ونحوه والذى اتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحة حيرني * وكل ساعة فى نقصان ما انفك من هم الوجبة * لما يجي مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذه الماكل والمشارب ولا راحة له ابدا الا ان غلق مال السلطان واما اذا بقى عليه شيء يسير فانه دائما في افتكار آناء الليل واطراف النهار وطردو تعب وهم ونصب الا ان اعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه ياتي من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كاكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك فيه مع مزيد الثواب (لما روى عن سيدنا عمر ابن الخطاب) رضى الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزراع اقوى توكلا من غيره ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الارض ان يصلي ركعتين ثم يقول الهى انا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لى فيه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) اربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته ودعا الله ان يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعى (ورجل) انفق ماله فى معصية الله تعالى او بناء فافتقر ودعا الله ان يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولى والذين أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصنى منه يقول الله له ألم آمرك بالاشهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصنى منها يقول الله له ألم أجعل امرها بيدك اما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى ولكن نحمد الله الذى أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا اجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد وقد شدوا البنود على الفصاد ركبت قصيبتي ولبست مسحى
وسرت كسيرهم في كل وادى فلا الاجناد تطلبنى بمال ولا الديوان يغلط فى عدادى

(فالفلاحة) على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو في اصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن الاصل در وبر * نعم الجدود ولكن

اى ولكن بئس ما خلفوا فقيه اكتفاء * وصفته أن تؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في اناء ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حموضته ثم يقرص

أقرصا صغارا و يوضع فى الشمس الى ان يجف فيؤخذ و يخزن لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى المأكول * واما كشك الكفور و بلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا أراك الله مكروها فانهم يصنعونه بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع عن غيره محركا للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى سمرة وكلما كان ابيض نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى أقسام بحسب البلاد التى يعمل فيها فاهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة و بالدجاج او بشىء من أصناف الطيور المأكولة اخرى أو يجعلونه بالارز فقط و يصيرونه ثخينا وأهالى المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البورى السمين وأكلته بدمياط مرارا وأبناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز بحيث يشرب بالملعقة و يقلون له بالخضرة والادهان والسمن و يطبخونه باللحم الضأن السمين فيكون له لذة عظيمة المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا مع لحوم الضان والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردىء المحرك للسواكن المذكور فى الشعر المتقدم فهو كشك أهل الكفور و بلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ فى غسله وتصفيته و يضعونه فى بوشة اوقدره أو دست على النار و يضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش و يقيدون عليه بالنار الى ان ياخذ قوامه ينزلونه و يخرطون له بصلة و يضعون عليه قليلا من السيرج و يقلون له بذلك و يغرفونه فى متارد او شوالى فخار و يفتون فيه خبز الذرة أو الشعير و ياكل الشخص منهم متردا و متردين بالمضغ واللهط و يسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقى منه قد جمد وظهرت فيه فصوص الفول فيلهط منه الى ان يكتفى وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز المأكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى أعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سياتى بيانه ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شىء من التقالى عليه يسمى عندهم ثيرب وهذا وماقبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر المعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة وللكشك منافع قبل طبيخه منها انه اذا أذيب بالماء وشرب به المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا توعك الجمل من الم الحر يسقى منه يزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم و ينفع من ألم ضرب السياط طلاء وله منافع أخرى مذكوره

فى كتب الطب وأما أهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا الا فائده فيه وليس له طعم ولا لذه لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب ما كولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم (قيل) اتي رجل من اهل الصعيد من نواحي قنا وقوص الى مصر ليشترى له جارية للخدمة فرأي جارية تباع باغلى ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسني الطعام مثل مايقولون فنظرت اليه وقالت له من اى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان ما كول أهل الصعيد فى كل سنة ستة أشهر ويكه وستة اشهر ملوخيه فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضي متعجبا (مسئلة هبالية) مامعنى اسم الكشك وما اشتقاقه ومامعنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع المسمى بالنيرب ومامعنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب الفشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس وقلع مركب بيكر معلق وحسك تتزوج عجوز تتكسح وقد ورد ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وربك فكبر كل فى فلك وغير القرآن مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلع (ومن النظام قول الحريرى)

أس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرأ أسا اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

(وأيضا) ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره وأول الكشة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو انه عند وضعه في الشمس يكش وينضمر من حرارتها * أو انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه اكل اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك او من قولهم للكلب كشكش اذا ارادوا ان يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ اومن الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس او ان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا (واما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عند مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز أهل البلده اى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا الما كول سمى بهذا الاسم اوانه من باب هرش المعدة (واما تسمية النوع الاخر نيرب) فلعله من النيروب على وزن الديلوب او انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن ارنب حيوان يحل اكله

نخشوا الالتباس في اللفظ فقالوا نيرب اوانه فعل فى زمن النيروز فقالوا أولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذي فى آخره بالباء الموحدة وقالوا نيروب وقول الناظم انه هدحيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلة طبخة عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وتاسف وخصوصا (اذا استحق غريف) أى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه واصله لما يستحق الغرف بالة التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهي نقرة معدة للخراء فيها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس في ديوانه الناس في الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها ماضرنى غير بطنى * واللي مدلى حداها

وقال بعضهم مواليا

يا دنية الشوم طول عمري وانا اشتد في هم دي البطن اللى مانريح حد
أضال ابنى واجي بعد العشا اتعد أقوم فى الصبح ألقى ما بنيتو اتهد

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم النمل يعيش بالشم بل من الآدميين وخصوصا من اهالى كفور الريف يفطر الشخص منهم على مترد او متردين من الكشك او البيسار او الفول المدمس كما سياتي فلا لوم علينا فى هد حيله (يحكى) انه ركب المامون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس نبضى فجس نبضه وقال له ما تشتكي يا عليان فقال له اشتكي استى فقال بختيشوع خذلك عود اراك ودسه وراك فهو صالح لذاك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطه مزعجة وقال له خذ ذا بذاك ونحن نجرب دواك فان عافانا الله بذاك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المامون حتى استلقى على قربوس سرجه (وبذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس فى بعض الاسواق ينظر في امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له انظر ما بى فجس نبضه وقال له ما اكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذلك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه في الشكل هبل او سارية فوق الجبل اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الديب وقال له انظر ما بى من المرض بلطف فانا احس فى بطنى بضعف وقدم له يدا كانها خشبه وساعدا كانه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذى دهاك وما اكلت اليوم فى فطورك وغداك فقال له انا احكى لك وحق تربة ابوطبله وتربة معيكه ابن ابوجمرام انا لما قمت من النوم لقيت امراتي ام معيكه حاطا بوشت

بيسار كبيره وكنت اسحب العيش ولهطت منها مترد متردين قل تلاته فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه مترد متردين قل تلاته قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطو زغيط فول كلت شمال شا الين قل تلاته ورحت من الغيط عند مشد الكافر فلقيت عند كشك لهطت منه مترد متردين قل تلاته ورأيت عند ناعرس في الحاره وعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كتير كلت من داك الطعام مترد متردين قل تلاته ورايت عندنا خيار أصفر كلت كوم كومين قل تلاته وجيتك تنضر حالي فاني باحس في بطني ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين قل تلاته ومن السنامكي قنطار قنطارين قل تلاته ومن السكر قنطار قنطارين قل تلاته فقال له أنا سمعتك بتوصف للي جالك قبلي شيء قليل من السنامكي والسكر والزبيب وبتوصف لي قناطير فقال له يا أخس الفلاحين وهل يالحلح هذه الاكلات الاهذه القناطير وهذه الشربات ثم اخذ خريجة على كتفه وحلف انه لا يجلس بقية يومه في السوق من اجل هذا الفلاح فاتجه المقال عن معنى هذه الاحوال واتضحت العبارات عن هذه الخرافات (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شيء أغلظ منه لانه مستعمل عند أهل الريف في غالب ما كولهم فقال

ص (ولاشاقني الاالمدمس وريحتو * علا من جتو جفنه بنص رغيف)

ش وقوله (ولاشاقني) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال سيدي عمر بن الفارض * ولولا كم ماشاقني ذكر منزلي * وشاق على وزن قاق وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل قاق يقوق قوقا والمعنى أنه يقول ما كثر شوقي وزاد هيامي الى شيء من جميع الما كولات (الاالمدمس) ماخوذ من المدمس لكونه يدمس في النار كما سيأتي ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفي وحضري وان كان الاصل واحدا وهو الفول لان الشيء يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة اخرى (فأما الحضري) وهو ما يباع في مصر وغيرها من المدن فانهم ياخذون الفول النقي الابيض ويتركون منه الرديء ويضعونه في قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ماتسع يد الرجل عندما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق ويسدون فم القدره بشيء من الليف النظيف أو اناء طاهر سدا محكما ويدمسونه في نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفران ونحوها ويتعهدونه بالسقي كلما انشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته ويصير في غاية من حسن الاستواء يشبه في لونه الذهب وفي استوائه العجوه مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا أرادوا أكله اشترى الشخص ما يكفيه وأضاف اليه السمن البقري أو الزيت الطيب اوقشطة اللبن

وأحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان مصحوبا بالكراث الاخضر والليمون أو الخل فن هذا يصير غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلىء به المعده ويصلحه قليل من الصعتر خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء (وأما النوع الريفى) وهو مدمس أهل الريف الذى اشتاقه الناظم فلا أراك الله مكروها ان كنت ماذقت الخرا فكل منه فانهم يأخذون الفول ان كان جيدا أورديئا على سائر اوصافه وربما أخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة او الثور ونفخت ما عليه من آثار التبن ووضعته في اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك او من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بساس الكتان أو بخرقة نبها الدسة وتضعها فى محماة الفرن الملآنة من الدمس والجلة وربما وضعت ذلك عليها أيضا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاسر وتأتيه بخبز الادره اليابس او خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلىء بطنه فاذا أكلت منه فكانك تأكل من زبل الغنم مثلا ومنهم من يأكله بالكراث او البصل وربما أضافوا عليه شيئا من القمح او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيسف منه عند الصباح من غير صلاه ولا غسل وجه الى ان يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوح ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفة ما كولهم أراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) أصله رائحته حذفت الهمزه للضروره أوجريا على اللغة الريفية أي شاقنى رائحته الممتزجة بالروايح المتقدمة للذتها عندى اذا اشتهيتها فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا أجد ذلك لشده فقرى والريحة مشتقة من الريح اومن الروائح أومن أبو رياح الذى تلعب به الصبيان أو من الراح وهو من اسماء الخمره قال الشاعر

فالراح كالريح ان مرت على عطر ... تذكو وتخبث ان مرت على الجيف

أو من قولهم مواليا

ايش قلت ياصاحبى فى رائحة جيه ... من تحت حيطا وهيا ميته حيه
وقاعده واقفه على الارض مرميه ... وجائزه راقده فوق حيطا مبنيه

وهى المعدية على حد قول بعضهم

المعدية رايحه جيه * تنسحب بالخيط ... يا أبو جبـــــــه * الا أنا زليت

(ثم ان الناظم) لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (علا) هذا من حروف الجر الا انه

وقع هنا فعلا والمعنى علا وارتفع قدر (من جتو جفنه) او علا جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوه بعد الجوع قال الشاعر

علا زيد نايوم النقا رأس زيدكم بابيض ماضى الشفرتين يمانى

او يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته أى حصلت له جفنة ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها (نصف رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص فضة او من قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله

* أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * فيكون يومه أبرك الايام وأسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشاره الى ان الفول المدمس حامي الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كافيا له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا او من باب سد الجوعة والجفنة اناء كبير معد لوضع الطعام قال بعضهم يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل جاف بطنه خابية واذا صحفت كانت خابية

وفى نسخة اخرى بالحاء المهملة اى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كف الانسان مع انضمام الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وحفنة الجناس المصحف وهي مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما ان الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى أجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك قال الشاعر

أقول لمقلتيه حين نامت وكحل العين فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل ويعلم ما جرحتم بالنهار

ومصدره جفن يجفن جفنة ثم ان الناظم تمنى ما كولا آخر من غالب ما كول قريته أغلظ طبعا من المدمس فقال

ص (علا من رأى البيسار فى الجرن جالوا * ويدعس ولو كان بالقلنج ضعيف)

ش قوله (علا) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من رأى) رؤية بصرية (البيسار) وهو نوعان ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره (فالريفى) مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لاغير وكيفية طبخه عند أهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيئا من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويفركونها بالمفراك الى ان يأخذ ما فيها قوامه وينهرى الفول وتفوح رائحته فيعيدونها فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوى ثم يقلون له بشيء يسير من السيرج أو الزيت الحار بالبصل ويغرفونه فى شالية او مترد

ويفتتون فيه الخبز الشعير او فطير الاذره حتى يصير مثل الكرس ويا كلونه بالبصل الاخضر او الناشف فيا كل الشخص منهم المترد الفت او المتردين في الغداء والمتردين في العشاء ويسحب نبوته وحدونه خلف قفاه ويسرح البهائم او للضم او المحراث وهذا غالب ما كولهم خصوصا في رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير الشخص منهم كانه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على رجليه هو وزوجته وهما من غير صلاه ولا عباده فتجرى الروائح في بطونهما وتخرج من بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وفساء وشياط فهذا حالهم في الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح (وأما النوع الحضرى) فما ألذه وأشهاه وما أطيبه وأهناه وهو ان الشخص من أكابر مصر أو غيرها من المدن التي تجلب اليها الملوخية او تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى أصناف منهم من ياخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها أو ربما نشفها في بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة او خادم فتضعها في دست نحاس مبيض او طنجره رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الرومي حتى ناخذ قوامها في الاستواء ثم تفركها فركا لطيفا ثم تقلى لها الثوم الشامي او البلدى ممزوجا بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن اللية وتلقى عليها شيئا من البهارات كالفلفل وما أشبهه وشيئا من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيئا يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد في الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو انها اى الملوخية تؤخذ وهى خضراء نضره بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض أبناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذه عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع مابين الطبائع لما فيه من البروده ولطافة الماكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة في الجسد (ونوع آخر) وهو ألذ واشهى مما تقدم واقوى نفعا وأعظم ماكولا وهو أخذ الملوخيه وهى صغيره في ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفرارج والارز مع كثره الادهان أو باللحم الضان وأهل مصر يرغبون في هذا النوع ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية ابتداء امرها جملة من الدراهم ويدعوا أعز أصحابه ياكل منها وتكون عندهم ألذ من طعام الاعياد ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان واطعمني الليلة الملوخية الجديده بركة السنة وربما اكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء او الشمر فيفتتون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات

المظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من جودة رأيهم وذكاء عقولهم وحبهم في الشيء عندا بتداء طلوعه كما يقال كل جديد له لذه وكل قديم له هجران (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس في ديوانه

أول زمانك يعزوك غالي وقع في يد غالي

وان دبت ياشاش برموك واللي جرى لك جرى لي

فان الشيء في ابتداء طلوعه له لذه عظيمة وفرحة عند العيال ونوع آخر يسمى بوراني وهو ان تقطف أوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مر ولهذا ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشيء عند ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فان نفعه في ابتدائه اكثر من نفعه في انتهائه واهل مصر على هذا القدم يسعون في اخذ الشيء في ابتدائه ولا يكترثون به في انتهائه فجزاهم الله خيرا عن مروءتهم وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم واعاذنا الله من الريف وجهله وغلظ ماكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية الملوخية بالفول بيسارا وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك (الجواب القشروي) على وجهين (الاول) ان الذى اخترع البيسار في الاصل كان ابوه فلاحا زرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط ابيه المذكور وسرق شيئا من تلك الملوخية واتى به الى زوجته فقالت له ماتريد بهذا فقال لها قصدي اصنعه طعاما ثم اخذ ورقها ووضعه في بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير والقى في البوشة شيئا من الفول المدشوش أخذه من مدود الحماره فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه في مترد وجلس ياكل منها فدخل ابوه وقال له ماهذا الشيء الاخضر فدلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط ابيه فتضارب هو واباه وحلف ابوه انه لا يمكث في البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فصار ابنه ينادى أبي سار أبي سار فحذفوا الالف من أبي وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وأفادني) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى لسان حاله بيسار اى سار طعمى بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البشر او من البيساره من قولهم في معنى ذلك

سعيده كانت حزاره واتحب طبيخ البيساره

(وأما الملوخيه) فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها في ديوانه بقوله في هذا المعنى ابو قردان زرع فدان ملوخيا وبادنجان ان هذا الاسم نبات اخضر الضر وأصله ياملوخ فاخر واحرف النداء وأبو قردان أول من سماها بذلك على ماقيل

وسبب ذلك انه لما زرعه فى فدانه وصلح للطبخ ملخ منه شيئا وتركه في مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض اولاده واخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخي فلم يجبه بشيء فاتي بحرف النداء وقبل ان يقول ملوخي اناه ولده واعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخي ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ملوخيا انتهى وتقلب بالخضيره وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة ألطف منها ولا أكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء في منافعها كتابا وامانهي الحاكم بامر الله عنها فلميل سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه اليها لانها كانت أحب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (فى الجرن) وهو محل درس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذى يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه يعني انه نقله من الغيط ووضعه في هذا المحل على بعضه كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيأ بعد شيء ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلاح رمية وقيل أصل الجرن الجرم بالميم بدل النون مأخوذ من جرم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم أبدلت الميم نونا لقربها في المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح أو الفول أو ما التى اليه من الحبوب ويخلصه مثل ماتخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذى يعمل من الخوص وقوله (جالو) بالتخفيف أى جاء اليه والضمير راجع للبيسار أى على من رأى البيسار جاء اليه وهو في الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج أو وهو يهرث مثلا لانه يكون فى هذه الحالة في غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) أي يأكل بحرقة وعجلة من غير تان فى المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفى المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك في أكلتك (مسالة هبالية) وهى أن الناظم نسب المجيء للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتاتى ذلك فما الحكم (الجواب القشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف اى جاء به رجل حامله حتى أوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا أى جاء بها الملاح وكما تقول جاءنى مترد لبن وطاجن مش أوصحن عدس أو كشك مثلا فعلى هذا لا اشكال في كلام الناظم وقوله (ولوكان) أى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو الناظم بمرض (القلنج ضعيف) وأصله قولنج بضم القاف وجزم الواو وى سقيم والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى في الاعضاء فتكب الانسان عند هيجانه وى ‌ءه الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقاة الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجها كل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح

البارد ونحوذلك وعلاجه أن يأخذ صبر سقطري وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس اجزاء متساوية وقدر الجميع سكرا بيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شيء يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتلي بمرض القولنج ولو كان في اكله زياده ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة (فان قيل) لاى شيء ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وماسبب معرفته له مع انه من اهل الريف وما اشتقاق اسمه (الجواب القشروى) انه انما ذكر هذا المرض لكونه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة في الشيء والبيسار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فتمتلىء البطن ارياحا يكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر أو يموت في الحال وأما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه أو سمعه من غيرهم وأما اشتقاق اسمه فلعله من القوق أو القويقة وهي طائر قدر الحمامة كبير الرأس ويقال لها البومة تاوى المكان الخرب وفي المثل (اتبع البوم يؤديك الخراب) وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

أيا بومة قد عششت فوق هامتي * على الرأس مني حين طار غرابها
رأيت ذهاب العمر مني فزرتني * وماواك من كل الديار خرابها

(وبذكر البومة) التي تاوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكا الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد أن يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما أحسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك أتدرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف ياوزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها ويقول لها ياسيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والتقرب اليك في الحلال فقالت له لاتقدر على صداقي ولو شغفك حبي واشتيا قي فقال لها وماصداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها أبشري فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعيه الى آخر العام خذي لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه في غفلة عن الرعية وأنهم في ظلم

و بليه وانه نصحه وأرشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه أظهر العدل في الرعية وأزال عنهم ماهم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته وارتاح الناس من تغيير حالته (ثم ان الناظم) اشتاق الى ما كول آخر يصنع فى الريف وغيره فقال

ص ﴿ على من قشع جفنة بليله ملانه * ولوكانت بلافلقاس يادنديف ﴾

ش قوله (على من قشع اى نظر بلغة الريافة يقال قشعتك أى رأيتك وقشعت المحل الفلانى أى رأيته ويطلق على ميل الشيء يقال قشع السحاب أى مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) أن شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج في بستان و يا كل مما أسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح فخرج هاربا وظن أن صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما اعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهي ولا تختش من أحد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وانا متوجه الى الحج في البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا في غيط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازلى وسمعه كل من في السفينة (وذكر الحلبى) في السيره النبويه ان غرابا كان يحفظ سوره السجده فاذا سجد قال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى (ومن العجائب) انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاه الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على راس الملك و يقول الصلاه خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم و يسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شيء وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله (جفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المصلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع ايضا ببلاد المدن وله لذه ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين في تفسير سوره الكهف واما البليلة المذكوره في النظم فان اهل الريف يصنعونها طعاما وهو انهم يضعوا القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص و يغمرونه بالماء و يجعلونه في النار الى أن يستوى فياخذونه و يا كلونه بخبز الدره والشعير و يا كلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف و يبلع و يقلون له بالبصل وشيء من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء في حال صلقها اولرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخي الاكام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته و بليلة على وزن هبيلة اوعويلة ومصدرها بل يبل بليلا

وقوله (ملاّنه) راجع للجفنة (ولوكانت) البليلة التي هي الجفنة (بلا قلقاس) اى فلا حاجة له به اغا مراده شيء يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من ماكولات فصل الشتاء وهو الذ ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبروده الزمن خصوصا في ابتداء ظهوره اذا أكل باللحم الضان وأضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة في الماكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه وأجوده الرؤس الاناثي وكذلك الصوابع وهي الرفيعة التي تشبه اصابع الآدمي لان ذلك كله سريع الاستواء واراده الاحمر لكونه بطيء الهضم بطيء الاستواء واذا اكل القلقاس مشويا منع الم الكبد وسكن ضربان البواسير واكله نيئا ليس فيه فائده ولا منفعة ﴿فائده﴾ اربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهي القلقاس والقطنة والقصب والقسطل وسمى قلقاس لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين والقلقس اى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين ماض وامر قال بعضهم

فان سالوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

(فائدة اخرى) قيل لما ادعى فرعون الالوهية لامره وقالواله الاله لايبول ولا يتغوط فاصطنع الموز وصار ياكله فصار لا يتغوط الا نادرا ومازاك الا أنه أخذ القلقاس وهو صغير من ارضه فصار يفلق القلقاسه ويملؤها سكرا ويعيدها في الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلاقاس فنشا منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى أوراقه قريبه الشبه من ورق القلقاس في العرض الا أنه طويل الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمه وقوله (يادنديف) أصله يا دندوف على وزن يا بهبوص قلبت الوواياء لضرورة النظم والدندوف هو الذي يدندوف من غير فائدة يقال فلان يدندوف أى فلان فائدة في ذهابه وايابه ولا بركة فى سعيه وكسبه أو انه علم على شخص من اهل قرية الناظم كما هو معدود من أسمائهم وهو مشتق من الدندفة أو من احمد الدنف أو من دنف القطن. ثم ان الناظم تشوق الى قصعة ملآنه من اى طعام كان فقال

ص ﴿على من جتو قصعه وهو بيحرت * ويقعد يجرف للحنك تجريف﴾

ش قوله (على من جتو) أصله جاءته (قصعه) أي جاء بها واحد من الناس لاهي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعه اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره وأما الذى على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس يا كل منها يتصعع ظهره أى ينحني ويا كل فيكون من باب تسمية الشيء باسم صفة الآ كل منه أو من قصوع القمل والبراغيث وقوله (وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم أو جرية على لغة الريف وقوله (بيحرت) على وزن يضرط فيها بيقين أى فى وقت الحرث من أى

طعام كان من عدس او بيسارا أو غير ذلك (ويقعد) قعدة جيعان تعبان مما قاسي من مشقة الحرث وغيره (ويجرف) على وزن يخرف أو يغرف أي يكون كفه حكم الجرفة التي تجرف الشيء (للحنك) من التحنيك على وزن التحكيك أو التدكيك ويطلق على الفك الاعلى والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه أيضا يقال فتح فمه أو فتح فاه قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى

فمي يحدث عن سري فما ظهرت * سرائر القلب الامن حديث فمي

وقوله (تجريف) أصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروى أي يجرف للحنك الذي هو فمه تجريفا زائدا ممتتابعا بسرعه وعجلة حتى يكتفي ويشبع الشبع المفرط لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقه فيقضي مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره ثم ان الناظم اشتهى ماكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من ماكول أهل الريف فقال

ص ﴿على من دعس بالعزم في المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ذريف﴾

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) أي بالقوه والشدة لان العزم على الشيء هو الاقدام عليه بجراءه وشده يقال فلان صاحب عزم شديد أي قوه زائده (في المش) أي مش الجبن القريش الازرق الذي مضى عليه زمان مستطيع حتى صار يقطع ذنب الفاره من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب ماكول أهل الريف في الغداء وربما اكلوه في العشاء أيضا فياتي الشخص منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر أو الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء وينسرح الغيط او يحرث أو يدرس والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل) المخروط فانه ألذ من اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابوشوشه فيكون اقوى في جمع الارياح خصوصا اذا كان في دويره ضيقة فان الفساء يترا كم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها والمش على اقسام مش حصير وتقدم معناه ومش بخيره وهو المستعمل في بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافه المتقدم ذكره ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعتري الخيل والحمير يقال (جاك المشش) أي أبلاك الله به والاول الذي هو المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثاني ينفع السدد ويقوى المعده والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير أو انه مشتق من المشي لانه اذا صب على الارض صار يمشي عليها أي يسيح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا انه يضر الشقيقه وصداع

الرأس و يولد اريا حا و يظلم البصر و كثرة اكله تورث النسيان و يفسد العقل (وأما منافعه) فانه يطرد الوباء و ينفع من تغيير المياه و يفتق الشهوه و يهيج الباه و يزيد في المني و يحسن اللون و اذا سحق و عجن بالعسل و وضع على الكلف الغليظ و الفوابي والبهق الاسود نفع من ذلك و اذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو سقط شعر الراس والاكتحال بمائه يذهب الغشاوه و يصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولوكان بالكرات كان ضريف) اى لانه حار لين يهيج المعده والدم الا انه مثل البصل في ظلمة البصر و تولد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب و ينفع البواسير و يصلحه الاكل بالشيرج واكل البصل والثوم والكرات نيئا مكروه ولداخل المسجد ان لم تزل رائحته *(فائده)* رايت في بعض الكتب أن جميع البقول نزلت في مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكرات (واما بصل العنصل) فله خواص جيده مذكوره في الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب ياتى بالبصله منه و يضعها على باب حجره فاذا رآها الذئب اوشمها هرب ولم يات اليه فتكون وقاية له فسبحان من الهمه هذه الحكمه وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمه اتي بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظرافة بمعنى ان يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى اريا حا فانه اعظم شهوه والذ اكلا فلا باس به اذا حضر فيكون هو المراد ثم ان الناظم اشتهى شيا من الالبان يشربه فقال

ص ﴿على من شرب مترد ملان مطنبر * من اللبن الحامض برف رقيف﴾

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغير من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى كلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا لا ما وضعه الانسان فى فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر اصغر من الشالية وهو غالب اواني الريافه خصوصا في اعراسهم واصله مركب من فما ين مات ورد لانه ما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدله فقالوا رد بعد ما مات ثم حذفوا الالف وجعلوها علما وقالوا مترد وهو على وزن مقعد لا مسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمي بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل بمدينة تسمى ماتريد التي ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملان) اي غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقنع برؤيته فتمنى ان يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على

وزن مزنبرا ومطرطر يقال كس مزنبر وزب مطرطر اى عالى عن حوافيه لشدة حموضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر أي منفوخ ومات واطنبر اى انتفخ كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا اى تموت وتنتفخ ويقال للشد الحجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على راسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن الحامض عن حوافي المترد وهو مشتق من الطنبره وهى التحكيك للاولاد الصغار قال الشاعر

اذا كنت آلاني وطبعك رقى * طنبر برقه واعتبر بالمشنوق

واصل هذا الكلام ان شخصا من الفساق اخذ ولدا واراد ان يحك له فزلق العيار فدكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرني منه غير هذا المطلع او انه من الطنبورة على وزن العصفورة قال الشاعر

اياعصفورة البستان كم ذا تنبشي * بايدك ورجلك مافى الارض شى

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضه لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلاجل هذا قال اشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد علي وخصوصا اذا كان في شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب اما اذا خرج عن الحد في الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهي ماخرج عن جد الحموضة بدليل قوله الآتي يرف رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) اي صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكي رف الجناح ويرف على وزن يسف او يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق في نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت او من الرفرافة التى يعملونها قبل رمضان أو اخر شعبان من الدجاج او من الاوز وغير ذلك ثم ان الناظم تمنى شيا آخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح او من البحائر المالحة ونحوها فقال

ص * على من جتو ام الخلول لداره ويعزم على اهل البلد ويضيف *

ش قوله (على من جتو) اى جاءته بواسطة وحضرت اليه (ام الخلول) وهى حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او جوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه أبيض ثخين يشبه لون المنى او المخاط فياخذونه وينزعونه من هذه المحائر او القوقع ويضعون عليه الملح والخل او الليمون ويا كلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولو ثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتاباه

وتعافه الانفس واما طبائع اهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع في نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان ياكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتواتر المالح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) اى دار الناظم بمعنى انه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها في داره اتي بها على سبيل الهديه او الصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى يجمعهم لهذا الماكول النفيس الذى يشبه عف الكلاب ويضيفهم فى داره اي يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اى عزم فى نيته وجزم فى يقينه انه ياخذه ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان ياتي الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافه فيكون قد عزم بالنية او لا على ان هذا الشخص لا بد من حضوره وانه ينضاف اليه اى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشىء الى مرادفه ومصدره ضاف يضيف ضيافة او ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة قال الشاعر

كانى تنوين وانت اضافة فحين تراني لا تحل مكانيا

فاتجه المعنى القشرى عن البحث الهبالى ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شيء يقرب في الخباثة من ام الخلول فقال

ص ﴿انا ان شفت عندي يوم طاجن مشكشك فهداك يوم البسط والتقصيف﴾

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا غيرى ان (شفت) الشوف ضد العمى او من الشيافة بمعنى رأيت (عندي يوم) في المنزل او فى المحل الذى انا فيه او الغيط او الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا في الفرن وهو مشتق من التطجين او من الطجانة او من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطىء جنا اى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اى طا انت جنا ومثله طافية اى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم في اسم جماد خذ فارع واملاه ماء ومن النظم قولي في اسم شحاته

سلبت الناس دلالا والف من بعد شح قلت بدرى ته كالا تم معناك بشرح

ولم ار فى المعميات أرق من قول بعضهم في اسم احمد

وراكعة فى ظل بان تعلقت بلؤلؤه نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكحك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو

جلود الفسيخ ياكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيأ يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى وياكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نساءهم كانه خاروف شوى ولهذا قال (فهذاك) بالدال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا

لك وردتين على الخدين ياهاداك والّى بلانى بعشقك آه لوا بلاك

وحق من سبحت له في السما الاملاك لومات لى كل يوم اخين ما اسلاك

وقوله (يوم) اى فهذا اليوم الذى ياتينى فيه هذا الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض اى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور اهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى قال الشاعر ان من أطيب اوقاتى حين اكون مبسوطا بذاتى

والتقصيف عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصيف بتشديد الصاد المهملة اى مسرور فرح ماش مشية الخيلا متحزم بسير وسكين راخى اطراف البردة تنجر على الارض او انه لبس اليوم قميصا جديدا وأرخى فوقه البردة وهو اليوم قصيف الكفر بمعنى ان ماهناك احد في الكفر أشلب منه ولا أعيف او انه مشتق من قصف العود وهو كسره أو من قولهم (قصفة تجيك) أو فلان جتو قصفه مثلا (مسئلة هبالية) لاى شىء سمي هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الفشروى) ان يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه في طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغير الحركات وقالوا مشكشك او انه ماخوذ من شكشكة المرأة له بعود او بالمعلقة عند قرب استوائه لتختبر حاله اومن قولهم شكشكه بالابره او انه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذي اصطنعه اولا لما طبخه شمه فقيل ماشم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين تاجة المقال عن هذا الهبال (ثم ان الناظم) اشتهى شيئا آخر من الخضروات يطبخ ويؤكل عندأوانه وهو أطيب ما يؤكل أهل الريف (فقال)

ص (متى انضر الخبيز في الدار عندنا وأندف منها بالعويش نديف)

ش قوله (متى) أي أجزم وأنوى اني متى (أنضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وبالظاء المسالة على اللغة الفصحى اي انظر بعيني لا باذني ولا بفمى لان النظر خاص بالعين قال الشاعر عيني نظرت وآفتي من عيني ما يقتلني الا سواد العين

(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحده وتجمع الخبيز على خبوز وخبايز وخبازين وخبازات وهكذا من هذه الجموع القشروية وتانيثه خبيزه وهى المراده بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سياتي في قوله واندف منها وهى مشتقة من الخبزلان ورقها في التدوير يشبه أقراص الخبز وهي تنبت في أطراف الزرع من كثره الامطار وفى الاراضى المنخفضة وغيرها وأجودها ما كان ساقطه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع اوالنابت بالبزر واوداها القصيره الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهي التى تطلع وتنبت في المقابر وفي منخفض الارض المسبخه وهي باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخيه اذا عملت بالشروط الآتيه ثم ان اهل الريف يأخذون ورقها ويخررطونه مثل الملوخيه ويضعون عليه الكزبره الخضراء ويقلون لها بالبصل والسيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويا كلونها وهي غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيأ ماعدا البصل والسيرج وشيأ يسيرا من الكزبره كما تقدم فهى غالب ما كولهم فى زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر يطبخونها بالارز والدجاج وغيره واهل المدن يطبخونها باللحم الضان والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا ؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم واما فعل اهل الريافه لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك أهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والسيرج لاغيره وعلى كل حال فهي ارق من طعام الريافه المتقدم ذكره واالذما كولها فى بلاد المدن لانهم يكلفونها فيصير لها فى الماكل لذة ولها خفة في الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا فى الطعام كله (كلاب تجد) (قيل) لما نزل السلطان قايتباى بدمياط واجتمع بالعينى الذى بنى العينية وهى مسجد على سمت مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعهما بين يديه فاكل السلطان منهما فلم يرطول عمره ألذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندي فقال له هل من سلوعنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فاهداها له فلما أتى بها الى مصر أمرها ان تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقع الموقع ولم يجد لها اللذة مثل اللتين اكلهما في دمياط فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما في اناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاهما بحرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (فى الدار عندنا) أي في دار الناظم لاغيره لانه هو الذى تمناه ولهذا قال عندنا اى في محلنا لامحل غيرنا لاجل ان تاكل منه العيال ويتسروا بوجوده

وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن واما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس ور بما يكون فيها الوحل والجلة أيضا اولان الشخص يدور ويرجع اليها أوانها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها أولاد الريافه بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر يجعل ظهره في ظهره وتدور الأولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا اجلسه مكانه فيتعلمون من ذلك خفة الايدي وسرعة الضرب والمشي ونحوه وقوله (وأندف منها) اى من الخبيز ومعناه ياخذ منها بسرعة ويحشى في بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا اخذه بالقوس وحشاه في الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف متردين من العدس أومن البيسار اى اكلهما بسرعة أو انه مشتق من أحمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به قيام المعيشة لما قال الشاعر

لاتركنن الى الثياب الفاخرة * واذكر عظامك حين تمسى ناخره
واذا رأيت زخارف الدنيا فقل * لاهم ان العيش عيش الآخرة

ولذلك قال الامام الشافعى رضى الله عنه فيما حكاه الذهبي فى ميزانه والدميرى في حياه حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاوره * وليتنا لانرى ممن نرى أحدا
ان الكلاب لتهدا في مرابضها * والناس ليس يهاد شرهم أبدا
فانجو بنفسك واستانس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ماعشت منفردا

وقال آخر

يكفى الذين تقدموا شرفا على * من بعدهم يمشى على الغبراء
انى لاحيا اذا امر بذكرهم * وأموت من نظرى الى الاحياء

أو أنه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العش واما تسميته خبزا فهو من التخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز اوكسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا اويكون خبز أضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (نديف) على وزن نتيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات أوكان به مرض الابنة أعاذنا الله منها فانها داء يغلى في الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن (قال الشاعر) فانه مرض كالنار مشعلة يغلى كغلى الدود فى العفن

وأكبر دوائها ماذكره الشعراني نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى وأصله ندفا فصغر لاجل الروى أى اندف من الخبيز ندفا كثيرا حتى أشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم أو بقيه الليلة ثم انتقل من الخبيزه الى الباقلة الخضراء فقال

ص (متى أنضر الفول المشوى بقرننا ولفو بقشرو او العروق لفيف)

ش (قوله متى انضر) يعني كما تقدم في البيت الذي قبله (الفول) الاخضر اذا أتي به من الغيط ووضع في الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا الفول (المشيوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى أوخر يوى وخريوى فيها بيقين التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفو) أصله وألفه بالهمز تركه لضروره النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تامل ولا تفتيش في الماكول ولهذا قال (بقشرو) أي آكله من غير نزع قشره من فرحتي ٠ ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر أي وألف عروقه ايضا (لفيف) أي لفا زائدا بحرقة قوية وشهوه بهيمية حتي اكتفى منه ولا انظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا افعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه ويا كل فانا لشدة اشتياقي اليه وكثره الجوع والقل والعتره الفه بجميع ماعليه (فائده) الفول الاخضر قيل شبه بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر ونفع اكله حارا ومشويا نزعه من قشوره جميعها واكله بالسكر وفي بعض كتب الطب من اكل الباقلاء أربعين يوما واصابه مرض الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى اكلت المرأه الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحمل ثم انه اشتهي شيا مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص متى انضر ان طحن الطحين وجبتو وبطط لى منه فطير رهيف

ش قوله (متى انضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذى وضعته في الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجبتو) أي جبته بعد ان اعطيت الطحان اجرته الى منزلى (وبطط) على وزن ضرط وربط فيها بيقين المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير يربى في الدور يشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيره جدا أو من البطيطة او من البطه التي يوضع فيها السمن وغيره او هو من المهفطة لا كلام (مسئلة هبالية) لاى شى مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب القشروى) انه كان اولا قمحا لا كلا ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة أخرى فيكون من تسمية الشيء بما طرأ عليه من الوصف الذي قام به ونقله من حال الى حال فكان اولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس من اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا وطحنته الارض ومضى امره الى ان يبعث فاتجه الجواب عن هذه الابحاث القشرويه في بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناه من فوق فيكون هو الذى طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار أو الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين ياخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجره وطواحينهم كلها

بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا ببلاد الكفور والقرى الصغيره ولا شك ان الناظم منهم كما تقدم فى ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبتو وبطط أى عجن بالماء أو شىء من اللبن وآخذ القطعة العجين وأضعها على خرقة أو رده النخال أو قرص جلة مثلا واخبطها بالكف حتى ترق وآخذ غيرها فيتحصل لى (منو) أى من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به او من الفطرة أو من عيد الفطر (رهيف صفة للفطير اى طرى رقيق وفى كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكرا كله فيفهم من الكلام انه لما بطط الفطير خبزه فى الفرن أو فى الجوره التى يصنعونها فى الزريبه ويحطون عليها الزبل وفى بعض الاحيان الجلة ايضا وناكل منه حتى أكتفى ثم ان الناظم اشتهى ماكولا آخر فقال

ص ﴿أيا مطيب الجلبان والعدس اذا استوى * وشرش بصل حولو وميت رغيف﴾

ش قوله (ياما اطيب) فى الطعم واللذه (الجلبان) على وزن الجديان أو الخرفان مشتق من جلبة النبوت أو أن الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلاب أو من جلبة العبيد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه أهل الريف ويأكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس وأكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتأكل منه البهائم أيضا (وقوله والعدس) معطوف عليه أى وما أطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان لا يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه أنفع من حبه وأكله يرق القلب (وفى زهر الكمام) ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله اليه ان مرهم يأكلوا العدس فانه يرق قلوبهم (وفى الحديث) عليكم بالعدس فانه يرقق القلب ويكثر الدمعه وقد بارك فيه سبعون نبيا والاكثار من أكله يخاف منه الضرر وفى القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية (وقال) بعض الاطباء يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو أخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته وأهل الريف يضعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى مجاة الفرن أو فى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمفراك ويقولون له بما تيسر من السيرج أو الزيت الحار والبصل مثل البيسار (واما أهل المدن) فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن اللية والسمن الخالص والحرارات خصوصا أبناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضان ولهذا يأتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو ألذ وأطيب وبلاد البحر

يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه و يضيفون عليه الارز ويسمونه بغليه بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام و تشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة في ثقلها وربما اكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها أيضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها أشد في الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء في اسمها وفي وصفين منها فقال بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال تمشى نفسي تدي فيكون انف ونشرمي تب ومعناه بسلة تمشي باردة تفسي يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل و يطلق على أول خروج الفساء ايضا فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال في (لحيتك شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا أولها مثل آخرها وقوله (حولو) أى حول العدس بعد وضعه مغروفا في المترد أو الشاليه و يكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعون البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك و يأخذ الرجل منهم بصلة يقطم منها مثل الخيار وأما اهل المدن فيقشرونه و يفلقون البصلة اربع فلقات و يضعونها حول السفره و لكل شيء مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل في الاكل وقوله (وميت رغيف) أصله مائة سهلة لضرورة النظم أى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل مايشفي غليلة من الاكل اوربما يعزم على احد بالاكل مثلا او يأتيه احد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما تقدم والتفرقه وكذلك الشرش البصل وهى الحزمة التى تملا الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه احد ثم ان الناظم استطرد شيئا آخر واشتهى حصوله فقال

ص ﴿يا حسن الخبز المقمر على الندى * وفوقو من السرسوب حلب نضيف﴾

ش قوله (يا) ناس ما أ (حسن) اى مااظرف والطف والذ ماكول (الخبز) النظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور عند نزول الندا وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمى بذلك لانه يندى الارض اى يبلها بللا خفيفا وفيه منافع كثيره للزرع و غيره وفيه بركة عميمة و يشبه به السخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ماعنده نداه مثلا والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيدوا الى مكة المشرفه رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهد آدم   لقد عشتما دهرا وقد متما آحيانا
فقالا نعم متنا زمانا وعندما   اتي زيدوا الى كعبة الله احيانا

(قال بعضهم) واختلفوا في الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهاره

منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة في البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول ان المجربين ذكروا ان هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر وملئت منه بيضة مافيها وسدت بشمعة اوغيرها ووضعت في الحمام متى احست بالحراره صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض في الارض ويشهد لهذا ايضا ان الندى ليس بماء ثلج ولا بردولا مطر والله تعالى اعلم (قال صاحب) كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهاره به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى (وكان من جملة محاظى الرشيد) جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بان قال لها والله لاتذكري هذا الخادم قط فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر فلما تحقق منها ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى فالفطور في هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة وفى كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن ورأيت فى بعض كتب الطب ان المعدة يعلوها شيء يشبه الشعر فاذا فطر الانسان على الكسره اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسي فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر أنفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقو) اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه فى الاناء (من السرسوب) على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شيء يسير من اللبن الذي ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارا ياخذونه ويضعونه في طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيئا من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا أرادوا السرسوب يضعون اللبن فى الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذى يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المفور ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضا فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة (وأفضل) الالبان ابن النعاج وأجودها ابن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء) (وأجودها ماشرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللبا لبأ لانه مشتق من اللب أومن الابوة أومن قولهم لبك واحد بفرقلة مثلا أومن لب الجدى الصغير أمه اذا أراد شربها قال الشاعر

فانت كالجندى لما ان يلب وكا　　نحر المطوق اسراعا الى اللبن

قوله (حلب) اى قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلاب اوالمحلبة اوانه مشتق من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز ما يعمه من لبن

السرسوب المحلوب حلبا (نضيف) أصله نظيفا ذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية
وسكنه لضرورة النظم أي ليس فيه شيء يدنسه من أثر جلة اوغبار يلحقه ونحو ذلك كما
انهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من أنواع النجاسات بل ربما
لطخوا ضرع البقرة أو الجاموسة بجلة فتحلب اللبن سريعا فطلب الناظم ان يكون هذا
السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم بين كيفية الا كل منه
فقال (وأقعد على ركبه ونص وشمر عن الكف بايدي ما أخاف مخيف)
قوله (واقعد) متاهبا للا كل من هذا الخبز بالسرسوب تاهب الجيعان الشديد الشهوه ولهذا
المأكول (على ركبه ونص) وهي قعدة القوي الشديد الذي يريد دائما الا كل الكثير او الذى
عنده شره في الطعام مثلا وأما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على
الركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويا كل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا
(كما اتفق) ان شخصا قال لآخر وهما في وليمة ياكلان يافلان اقدم لك هذا الصحن فقال انا
ايدي تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض في مكة كام الكورجة
فخجل وقام من غير أن يأكل وللا كل آداب مذكورة في بعض الكتب وقوله (وشمر) من
التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) أي كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن
ذكره أي أراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب قال الشاعر
شمر فانك ماضى العزم شمير ولا يهولك احوال وتكدير
لكن مراد الناظم التشمير الحسى وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذى تصنعه أولاد
الارياف من الصوف ويضعونه في أكتافهم يرفعون به أكمامهم وله هداب مائل على كتف
الولد الامرد فيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله
ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب
اولاد الطبالة يجعلونه حكم اعقصة النساء ويجعلون له عقدا صغارا في رؤوس الهداديب
ويزينونه بها وقوله (بايدى) أصلها بيدي لا بيد غيري فلا احتاج الى احد غيرى يشمر لى
بل انا اتعاطي تشميره بنفسي لاجل خلو يدى عن شيء يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل
على ان كمه كان طويلا حتى احتاج لتسميره او ان مراده بالتشمير رفع يده وخفضها في حالة
الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما أخاف) اى وآكل من هذا السرسوب
ما اخاف من احد ياتيني ويمنعني عنه (مخيف) اصله مخيفا اى مخوفا يمنعني عن شهوتى بل
لا ابالى اذا حصل لى وظفرت به من احد ابدا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى اكتفى
واشبع منه الشبع المفرط ولا اخشى من تخمة ولا غيرها ثم انه اشتاق ما كولا آخر من الذ
ما كول اهل الريف فقال

ص (على من قشع روحو حدا الرز باللبن ويقطع ويبلع من تقيل وخفيف)

ش قوله (على من قشع روحو) اي على من نظر روحه اى ذاته لاذات غيره (حدا الرز باللبن) اى حذاءه بالذال المعجمة اى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب ما كول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز ايضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعده ومالذه واطيبه اذا وضع عليه السمن البقرى فى وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوه الا انه بالسمن اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا جيدا وكلما قل ارزه كان اجود واردأه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله اهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا ويقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس وأما بناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيئا يسيرا من الارز بحكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلو الذيذا وهذا النوع أجود طعامه واطيبه وطبيخ اللبن على كل حال اطيب من العدس والبيسار وما شابههما (قال الشاعر)

طبيخ اللبن أحسن من اللى بكزبرة والعدس والبيسار يجيبوا الحوادر

(وأما النوع الذى عناه الناظم) فهو الذى تقدم ذكره وهو الثخين الذي يشبه الطين فى يبسه لانه المشهور عنده وفى بلاده وأما بلاد البحر فيفعلونه حالة وسطى لاثخين ولا مائع الا انهم فى الغالب يضعون عليه شيئا من الماء وأما الناظم فلا يعرف الا الذى فى بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اى يقطع بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء فى جوفها والقطع هو فصل الشىء من الشىء وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة بمعنى انه هجره او بعد عنه وقوله (من تقيل) أى من قطع وافية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها كما ذكرت ذلك فى خطبة كنت الفتها ابقافى الماكولات وهى هذه الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق الذى وفق بين الفرج والضيق وأمر بالحج الى بيته العتيق وجعل السمن البقرى للعسل النحل رفيق أحمده حمد من عنده من الجوع دسيسه واغاثه الله بقصعة من البسيسة بالفطير الرقيق فملأ منها بطنه وأحسن بالله ظنه ونام على راحة من الله وتوفيق وأشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش العتيق وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من الضيق واشهد ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا (ايها الناس) مالى اراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون وعن الارز المفلفل باللحم الضانى تاركون وعن البقلاوة فى الصوانى معرضون وعن الاوز

السمين والدجاج المحمر لاهون فاهذا يا اخواني الاحال المفلسون وأفعال الفقراء المقلون فجدوا رحمكم الله في تحصيل الدراهم لتغتنموا المآكل النفيسة والمطاعم اللذيذة وقد قيل لذة الدنيا ثلاث أكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم في اللحم فمن انعم الله عليه فليشكر ومن أحرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام جيد حسن وصاحبه ابرك الصباح خصوصا عند الفلاح اذا جاء وحلب بقرته وأتت زوجته بالدست وعلقته وصبت فيه اللبن وقادت عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته وفي الصحون غرفته فجاء الشيخ الكبير وقعد وثنى ركبيه فعند ذلك يا اخواني صفت الاواني ولاذ كل انسان بانسان فلا ترى الا ايادي تقطع والحنكة تبلع وزراديم تفرقع وحلاق بتقلقع والعين من كبر اللقمة تدمع والبطن لا تشبع بل تزيد افتعالا وهي تقول جل ربنا وتعالى فاذا سبقك اخوك باللقمة فبادر الى جدع رقبته بالكمة واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظة ودعوا أكل المغلظه كالعدس والبيسار والمدمس والفول الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النور المعمول فانها ترث الارياح وليس في أكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخرة كاللحم الضاني فانه سيد طعام الدنيا والاخرة وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد واحمدوا الله أيها الاغنياء المتنعمون واصبروا أيها الفقراء المقلون نسال الله ان يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخرة ويرزقنا واياكم الراحة في الدنيا والاخرة وان يجعلنا واياكم من الاكلين المتنعمين وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين آمين فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين (روى) عن سهلب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الافراح انه قال كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ أحلامه وأكل في فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فاكل اربعين دجاجة محشية باللحم الضاني محمره بالسمن البقري وشرب زقين من خمر ونام في الشمس فمات ولقي الله شبعان سكران ريان (الحمد لله) مزيل الحزن ومزين الرز باللبن وأشهد ان اللحم الضاني سيد الاطعمة ومصلح للبدن واعلموا ان القشطة لا تترك وأن المهلبية أحسن وابرك فتهيؤا الاكلكم وشربكم واعلموا انكم غدا بين يدي الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم الذين جاعوا أي منقلب ينقلبون اللهم وارض عن الاربعة الاعيان الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن والتين والزيتون والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين من العشره الاطعمة المفتخره الماوردية والمهلبية والشعرية بالزغاليل المربيه والارز المفلفل باللحم الضاني المحشي المحمر والكنافة المتبلة بالسمن والعسل النحل واللوز والسكر والقطايف الغارقة بالسمن والعسل والفرع المحشي باللحم والبصل والبقلاء الموصوفة وخرفان اللقمة المعلوفة واليخني السمين والفرمزية متعنا الله واياكم بهم أجمعين اللهم وادم النصر والتأييد والثبات

واجمع الشمل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر النبات ابن القناني من أصله من القصب الملواني اللهم وايده بارماح القصب وبسبائط الرطب وبعناقيد العنب واجمعنا عليه من أول النهار وفي وسطه وآخره وانصره وانصر عساكره في الدنيا ننتفع به يارب العالمين اللهم وأهلك الثلاثة الفجار العدس والبسلة والبيسار عباد الله من أراد خلع القبول ان تفاض عليه فليأكل الموز بالسكر بين والديه وتفكهوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تتضاربو ولا تتخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا ان الله يامركم باكل الحلال مما تشتهي العقول وينهاكم عن أكل الحرام ولو من اطيب الماكول والبغلة ترفصكم اعلكم تنقلبون او تتدقلجون وقوله (وخفيف) أي ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول من قال كلوا أكلة من عاش عاش بخيره * ومن مات ياتي الله وهو بطين (فينبغي للانسان) ان يجعل البطن ثلاثة أثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الاكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع ... فرب مخمصة شر من التخم

وما أحسن ما جمعه بعضهم في قوله

أرطاب توت لقد طابت رطوبتها ... كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
في بابة أقبــل الرمان منعقداً ... مثــل اليواقيت منظوم ومنثور
ميز بعقلك تلقي الموز في خجل ... مصفر الوجه لمــا جاء هــاتور
سل من كيهك عن الاسماك هل صلحت ... تنبيك عن حوتهــا بالشحم ميرور
سل ماء طوبة لم أروت لواقحه ... مثـل الزلال فلا تحتاج تاخــير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها ... وهل يطيب سوى في الرعي امشير
في برمهات ترى الالبان نافعــة ... سمن الكنادير في ذا الشهر مشهور
برموده الزهر قــد جاءت مبشرة ... سلطانه الورد كل منــه مامور
بشنس تشهد ان النحل جانيــة ... والشهد يقضي وما في أمره زور
مشمش بؤنة لم يلق الهوى ابدا ... مسكين ذاك قليل الجهد معذور
وأصبح التين فوق الغصن ناعيه ... كانه في ابيب جاء مشهور
عنقود مسرى نعم فاغنم فكاهته ... فعن قليل تراه وهو معصور
هــذى مطايب مافيها مرتبـة ... والكل في هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم تمناه فقال

ص (على من ملا قحفو جبينه طريه ... وراح ورا الجاموس يرعى النيف)

ش قوله (على من ملا قحفو) القحف شيء طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على

الرأس وليس له زى ولا هندام تستعمله الفقراء وغالب الخلا بيص و يلبسون شيئا يقال له الطرطور و يلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من أعلاه تصغير عن الطرطور وكان استعمال ذلك في سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على أصناف شيء يشبه القحف وشيء يشبه البرانيط والذين يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وأنس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخفا يافلان خفوة اللبدومن هذا قيل فى تركها كلام كثير مثل قولهم (ياالبده مالك فى السوق يالبده قله خازوق) وسمي قحفا لقحافته و يبسه ولهذا يشبه به الرجل السيء الخلق فيقال هذا قحف اى سيء الطبائع قال الشاعر في هذا المعنى

ان اللطافة لم تزل * بين الا كابر فاشيه فهل رايتم في الوري * قحفا رقيق الحاشية

و هو مشتق من قحف الحوت أوان الرجل الذى صنعه أولا كان من قحافة قرية معروفة موقوفة على سيدى احمد البدوي نفعنا الله به دنيا وأخرى وقوله (جبينه) تصغير جبنه على وزن أبنه وهي واحدة الجبن (طريه) أي عملت فى وقتها أى وقت نزولها من على الحصير التى يعملون فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه بملء قحفه جبنا طريا ولو كان هدية أو صدقة تصدق به عليه أحد أو سرقة فان الرزق ماينتفع به ولو حراما قال صاحب الز بد رحمه الله تعالى الرزق ماينفع لو محرما الخ (وقال) أبو نواس رحمة الله تعالى

يقول لى العذول وليس يدرى دع المال الحرام وكن قنوعا
اذا أنا لم اجد مالا حلالا ولم آكل حراما مت جوعا

(فان قيل) لاى شيء تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع ان القحف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه في قحفة يحصل له ضرر من وجهين الاول أن يصير لقحفه التقدير من جهة الجبن والثاني ماء الجبن يبل قحفة و يشوش عليه (قلنا) الجواب الفشروى من وجوه اما انه تمنى شيا من الجبن بحيث لو وضع في قحفة لملاءه لكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للأدم بقية الجمعة أو الشهر لكونه متقترا لذلك ومحتاجا اليه بخلاف مااذا اتاه شيء يسير لايكفيه ولا يقوم باولاده اوان الكلام على حقيقته لأن اهل الريف اذا اعطاهم احد شيئا من ماكول وغيره ياخذونه فى اطراف بردهم واورديهم وفى اكمامهم وعلى شدودهم التى على رؤسهم وكانوا في الزمن السابق يضعون الشيء فى قحوفهم فانهم في الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شيء يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا اخذ شيا من السوق ولم يكن معه مقطف او صحن مثلا يضعه فى قحفه واما تلويث القحف وتقديره فالناظم لايبالى بهذا الامر فان قحفه كان

يساوى نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطر والعرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن لاغيرها فينزل الكلام على حقيقته فاتضح الاشكال عن هذا الهبال وقوله (وراح) اى سار وهو مشتق من الرواح مكان بارض الحجاز او من الراحة او من الريح او من ابي رياح الذى يصنع على غابة طويلة وهو اربع ورقات ملصوقات على اربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) اى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد اسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض أى يشقها وواحدته بقرة وأهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له * أنت بقره مثلا * يعني يا كثير الخنات (مسئلة هبالية) لاى شيء لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع انها فى حكم البقره والعجل يطلع عليها ويضربها فهى فى هذا الامر مثل البقره فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب القشروى من وجوه) الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملا للنوعين الوجه الثاني ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد الامرد أنت يا جاموسى ربما يفهم منه انت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا فكانه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تتوهم ويقال امرأه ولدت جاموسى اي وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى الوجه الثالث ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يتجمس في الظلام بمعنى انه يحسس على شيء ياخذه واسم البقر مشتق من بقر الارض أى شقها بالحراث فكان مثل وضع (الزب فى الكس) مثلا لانه يشقه أى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب فى استه مثلا فكان مشبها بالفعل وأما التجمس فهو مشبه بمقدماته والفعل اقوى من الاسم لان التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) اى يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعي بنفسه فالرعى راجع للجاموس أى انه يسوق الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى اى يأكل يقال الجاموس او البقر يرعى فى المحل العلاني بمعنى انه يأكل منه واما قولهم للذى يسوقه ويتعهد بمصالحه من حلابه وعلفه وربطه في الغيط ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه انه يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به والنيف حشيش ينبت في الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض وأكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد المدن وهى لحم يشوى في التنور ويؤكل وله لذة عظيمة او من النوف التى توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقية او الحراث

وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر انه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير أدم فاشتهى ملء قحفه جبنا لاجل ما يكفيه مده (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان رجلا نشا له ولد من امرأه ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تملكت من عقله قالت يا انا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها واتي بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار اتاها بلحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد امسى قالت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها اني لم اصل العصر لان الوقت راح لما أصلي وأجي نأكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما صلى العصر أذن المغرب ففتحت أبواب السماء بماء منهمر كافواه القرب فجلس الولد بالمسجد الى ان صلي العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما اصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة ابيه سخنت الطاجن فقالت له لاى شيء لم تجيء فاخبرها بان فلانا عزم علي فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فاني سخنته لك فقال ان جاك بدرى الطعام اصطبح بو ✿ يا جاك بدرى من الزرع ناجب

وأبوه يسمع ثم قال لما اعلف البهائم لاجل فطورهم بدرى وذهب لعلف البهائم فببركة الصلاة التي صلاها ورأفته على البهائم ألقى الله تعالى في قلب والده أن الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فسر عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدرى بما خبى له ونادى والده لزوجته هات له قشطة وقال له كل واسرح فلما اكل وسرح قال لها توجهي الى بيت اهلك بالستر وان جئت لك باحد كائنا من كان سياقا فلا تقبليه وان قبلت السياق وجئتي فقبرك في محل الطاجن تعملي ذلك وتعقديه ولا تبديه والسلام فانظر يا أخى الى من قدم علف الحيوان قبل ان يأكل وتواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمني شيء آخر من الاطعمة التي يفعلها اهل الريف فقال

ص ﴿علي من قشع لقانة امو ملانه ✿ من الهيطلية اللى لها ترصيف﴾

ش قوله (علي من قشع) أى نظر نظرا حقيقيا (لقانه امو) أو زوجة ابيه ايضا واللقانة تأنيث لقان علي وزن خرفان ويقال لها القصرية أيضا وهى اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا اراد ان يشرب منها يلق بلسانه أو بفمه الماء لانه لا يقدر علي حملها وان الذى صنعها في الاصل من لقانة قرية مشهوره خرج منها علماء اجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله

ببركاتهم وأضاف اللقانه الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شيء سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها لامه (ملانه) لا ناقصه وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشيء الذي تمناه فقال (من الهيطليه) وهي طعام يعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة في الأكل وهي اخف من الارز باللبن خصوصا اذا أضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء أقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفي كلام بعضهم لو كان الارز رجلا لكان حليما لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه أو من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعني التي وهي لغة ريفية (لها ترصيف) اى من حسنها وشدة بياضها ولمعانها اى تضيء ويشتهى اكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف اى تلمع وتضيء وهي مشتقة من الرصافة بنواحي الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهي تمشي فقال له صدق أبو العتاهية ولم يذكر ماقال فهزت رأسها وقالت بل صدق أبو العلاء المعرى ولم تذكر هي أيضا ماقال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ماقالاه فلحق المرأه وقال لها اخبريني ما أردت وما أراد والا اعلمت بكما أمير المؤمنين فقالت له انه عني بقوله صدق أبو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر جابن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

وأنا عنيت بقول أبي العلاء المعرى قوله

أيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركها وسأل الرجل كما سألها فاجابه بما أجابته به وأفهمته ان الدار قريبة ولكنها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود أيضا ثم ان الناظم بين كيفية لا كل من الهيطليه فقال

ص ﴿ وأقعد لها بالعزم في رايق الضحى وأسحب لها مصبوبة ام وطيف

ش قوله (واقعد) أى وأجلس من غير استعجال بل اقعد قعدة ممكن من غير خوف ولا فزع ولا أحد يشوش على (لها) اما أن الضمير راجع للقانة التي فيها الهيطلية ويكون قوله وأقعد لها بمعنى اني آكل منها وهي فيها فيكون اكله من الهيطلية لا نفس اللقانة واما ان كان الضمير راجعا لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها أصوب وقوله (بالعزم) أى بالقوة والشدة أو انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (في رايق الضحي) أى وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحي ويقال ضحوة النهار وهو وقت الغداء وخلو

الباطن واشتداد الجوع (وأسحب) أى نأخذ اخذا سريعا مرة بعد أخرى لان السحب هو جر الشيء بحبل اوغيره جرا سريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير عد وقوله لها (مصبوبة ام وطيف) أى من المصبوبة التى تعملها زوجته أم وطيف ووطيف ولدها سمي بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الجلة اطوافا وقيل كان له دويره يحط فيها الجلة طوفا بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة في صغره وأما اسمه الذى سمى به عند ولادته على ماقيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت أمه به فصار يقال لها ام وطيف وأما المصبوبة فانها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التى لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز ويقال للتى تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خالصا والفقراء يصنعونها من الدنيبة التي تخرج من الارز عند بياضه مع خلط شيء عليها من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم يجعلون عجينها مائعا مثل عجين الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة ناشفة أوجوزه هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها فى عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه في الفرن أقراصا على قدر رغفة الخبز وعندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصب على هذا الحال واما القطايف فانها تعمل فى بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص المقطب وتصب على صوانى صغار يقال لها الرقع من حديد اومن نحاس الا انها صغيرة مثل القرصة وهى الذ من هذه الانواع واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا منها مرارا وتلذذنا بها ونسال الله تعالى ان يطعمها لاخواننا الفقراء ويعمهم باكلها لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم بل ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت فى بلده مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امرأة تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذي تعمل منه مقطف أى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشيء باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا سحب المصبوبة ورأى الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفى لئلا يفهم احد ان مامراده الا النظر وهذا محال كما قال بعضهم

النظر بالعين لا يقضى ملامه   غير مض الريق ولثم الخال وشامه
النظر بالعين مايشفي غليلك   الا ان واصلت في بيتك خليلك
واجعل الفضه لمحبوبك رسيلك   وادخل القبه ترى للشيخ كرامه

الى آخر ماقال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات التي صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه مايكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم التفت الى مأكول آخر فقال

ص ﴿ألا يا ترى اشحال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف﴾

ش قوله (ألا يا ترى) يريد ان يستفهم ويختبر ويسأل ويتحقق عن شيء بعيد عنه لم يره ولم يشاهده مثل ما يسال الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (اشحال) يعني ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة واوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه في الدست (وغلوه) أصله وغليه أبدلت الياء المثناة من تحت واوا جريا على اللغة الريفية أي غليه بالنار يعني هل له لذة في المأكل وحلاوة في الطعم أم كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) أي هذا اللبن الحليب المغلي (بالخبز) تقدم تعريفه في الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم

ماقلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشيء بالتصغير

فلهذا قال السخين على وزن الطنين أي المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كنيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين مشتق من السخونة وهي الحمى لحرارتها وسخونة الجسد اذا اعترته أعاذنا الله منها وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى انه لا يفارقه ولا ينفعك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الاسوية ولا يفارق أحدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكأنه يقول لهم أخبروني عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لذيذ المأكل ولذذوا سمعي بذكره فلعلي أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا كما قال أبو نواس

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر أي لاجل ما ألتذ بسماع اسمها وتلتذ أذناي بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به

أدر ذكر من اهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامي

ليشهد سمعي الى آخر ما قال (ثم انه لما أراد) أن يلتذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز المسخن اراد ان يلتذ سمعه أيضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله بالاكل من الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم فقال

ص ﴿ألا يا ترى اشحال مفروكة اللبن * على زلطها قلبي يرف رفيف﴾

ش قوله (الا يا ترى) اي يا ترى أحدا يخبرني خبرا شافيا (اشحال) أي اسأل عن حال (مفروكة اللبن) أي الفطير الذي يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز في الفرن أو الجورة ويفرك أي يكسر بالايد وهو حار ويوضع في زبدية أو مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعما في

البلح والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو أفضل الطعام (وفى الحديث الشريف) فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين (وورد أيضا) اثردوا فان فى الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقي اليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) اصله رفيفا لانه مصدر حذفت ألفه للضرورة اى يخفق خفقانا زائدا يشبه فى خفقانه رفة جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهى حجارة صغيرة ملساء تتكون فى الرمال وسواحل البحر وسمي زلط الطعام بملوسته واندفاعه من غير مضغ اولان اللقمة تحاكي الزلطة الكبيرة لان لها قوة وسرعة فى رميها من اليد كما يقال (زلطة في راسك) مثلا يعنى جالك ضربة زلطة في راسك بسرعة حتى يؤثر ضربها فى راسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحذفها فى حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وايضا الفطيرلين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان ولهذا تأسف على فراق هذا الماكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعي الشهود وانتظار حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه في الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول مابه وتسكن حواسه بانسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته .

ومشبه بالغصن قلبي * لا يزال عليه طائر حلو الحديث وانها
* لحلاوة شقت مرائر اشكو واشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه انه متى راى لقانة ابن عمه الآتي ذكره ملآنة من الفتات اكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص ﴿ انا ان شفت لقانة ابن عمي مخيمر * ملانة من التفتيت ملوطفيف ﴾

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا احد غيرى (ان شفت) اى رايت بعينى لا باذني كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) اخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان به نقره كبيرة تخمر فيها الجله وربما بال فيها ايضا او لاتيانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه اولاكله من العجين المخمر قبل تقريصه اولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملانة) اى اللقانة (من التفتيت) جمع فت وهو تكسير الخبز اقماصغارا وكبارا واحسنها الصغار ويصب عليه العدس او البيسار حتى ييبس ويصير كقطع الحجارة (ملوطفيف) اى ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حوافي الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل او من طف الماء

على الجروف اذا ارتفع عليها او من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا وملاذنا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه (وملخص قصته رضى الله عنه) قيل ان معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فاتت كتب العراق بانهم بايعوه بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان ولا بد فلا تأخذ اهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل العراق يأخذ بيعتهم فاخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصدا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يامره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسيه ثلاثة اميال فلقيه الحر بن يزيد التيمى فقال له ارجع فانى لم ادع لك خلفى خيرا واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فساله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع وكان معه اخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره اونقتل وكان ابن زياد جهز اربعة آلاف وقيل عشرين الفا لملاقاته فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعة ليزيد بن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتلونت وادبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى فانى لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما فقاتلوه فكان آخر الامر ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبرانى (قال العلامة) سيدي عبد الرؤف المناوى نفعنا الله به فى طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن الطبرانى ايضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل ان الحسين رضي الله عنه يقتل بعدى بارض الطف وجاءنى جبريل بتربة منها واعلمنى ان فيها مضجعه (وما رواه سعد) عن امير المؤمنين الامام على رضى الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسالته فقال اخبرني جبريل ان حسينا يقتل بشاطىء الفرات (قلت) لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهى من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتام الكلام واستقام على احسن نظام هذا كلامه

شمنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا) اخذوا راسه واتو به الى ابن زياد فارسله ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم على ابن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا وأوقفهم موقف السبي بباب المسجد وأهانهم وبالغ فى اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه وقد اخرج أبو يعلى عن أبى عبيدة مرفوعا لا يزال أمر امتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد (وصح) عن ابراهيم النخعي انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم أدخل الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة أشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قامت وكانت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة يضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس فى عسكرهم رمادا ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها نيرانا وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا في أول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

أترجوا امة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد أهله الى المدينة وأن يطاف برأسه الشريف البلاد وروى ابن خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربي فصيح وقال جهارا أعجب من أصحاب الكهف قتلى وحملى (وقال ابن حجر) ورد من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا (واختلفوا) فى رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفى أى موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه أميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة (وذكر آخرون) انه حمل الى المدينة مع أهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية أنه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم أجمعين (وقد تقدم) ان الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء واما الفرات فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من

بجبل هناك يدعى ابو زحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى في ارض الروم الى ان ياتى بلاده لمطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائه ينتهي الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرفه بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ في الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه هناك سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة (وقد ذكر ان خالد بن الوليد) المخزومى لما اقبل يريد الحيرة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيره فتحصنوا منه في القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لاانيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا امنه امر العساكر ان تنزل بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبالة قصر بنى نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما نرى فمضى خالد فنزل فى عسكره وبعث اليهم ان ابعثوا الى رجلا من عقلائهم وذوي انسابهم يسالا عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة وهو الذى بنى القصر الابيض فاتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابى قال فمن اين جئت قال من بطن امي قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال فيم انت لا كنت قال فى ثيابى قال اتعقل لا عقلت قال اى والله واعي قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اللهم اخزه من اهل بلده كلما اريد ان اساله عن الشيء يجيب عن غيره قال لا والله ما اجبتك الا عما سالتنى قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى ياتى الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين قال خمسون وثلثمائة سنه ادركت سفن البحر تاتي الينا فى هذا النجف بمتاع السند والهند وامواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظركم بينها اليوم وبين البحر ورايت المراة تاخذ مكتلها فتضعه على راسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خرابا وذلك داب الله فى البلاد والعباد فرحمه خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويوافق اهل بلدى قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم اكن اول من ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم واستريح

من الدنيا فما بقى من عمرى الا اليسير فقال له خالدهات فاخذه ووضعه في راحته ثم قال بسم الله رب الارض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا في السماء ثم استفه فتخللته غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم افاق كانما نشط من عقال فانصرف العبادى الى قومه وكان عبادى المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال ياقوم قد جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه وأخرجوه عنكم فصالحوه على مائة الف درهم قال المسعودى وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين بن العماد فى حكايته فى النيل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وأنه لا يكفيه الا اكله جميعه فقال

ص ﴿قشرته جميعه ماتركت بقيته * لغيري ولا عندى بذا توقيف﴾

ش قوله (قشرته جميعه) القشر فى الاكل وغيره اخذ الشيء جميعه أو اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر وكعبك اقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصى ويقال امرأة قشراء ورجل اقشر يعنى انه قليل البركة قليل الرزق تأتى قلة البركة وقلة الرزق تاتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك وكان فى قرية تنا رجل قصاب يقال يقال له سكيكر عشق امرأة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء مواليا

صحبة سكيكر الكعب الخير كانت قال * لوكعب اقشر قشرها بالعجل فى الحال
لو شارنى الموت أوشفتو على الامهال * قلت اقتاع بوخلى كعب في الخلخال

(ومنه) قصة طويس المذكورة في الكتب وكلها اسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير أو شر والا فنى الحديث الشريف لا عدوى ولا طيره ولا فال ونعق غراب فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا هل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله قشرته جميعه أى اكلته جميعه ولا ابقى منه شيا لغيرى لانى مشتهيه وعندى مجاعة شديدة فتى رأيته لا أبقى منه شيا وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره في الطعام وارخى نفسه عليه واكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره وآذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل وأكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيا صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا

(قيل) اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندى ورومى ومصري فقال لهم الملك ليصف لى كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندي الدواء الذى لا داء معه أن تفطر كل يوم

على شيء من بزر الهند باوقال الرومي الدواء الذى لاداء معه أن تفطر كل يوم على ثلاثة جرعات من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذى لاداء معه ان لاتأكل الا بعد الجوع وأن تقوم وأنت تشتهي الطعام فانك لاترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصرى (ولما أرسل المقوقس) ملك مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة أنصنا التي هي الآن خراب على شاطيء بحر النيل من اقليم الصعيد وارسل له البغلة المسماة بدلدل وأرسل له عسلا من بنها قرية من قرى مصر من نواحي القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبي فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا نأكل الا بعد الجوع واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ المقوقس ماقاله النبي صلى الله عليه وسلم قال ياله من نبي عظيم جمع الحكمة في كلمتين (وفي الحديث) جوعوا تصحوا فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وأرباب الخلوات فان نتيجتهم في ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البوني في بعض كتبه انها لا تصح رياضة من أحد وفي قلبه مثقال حبة من شبع واما كثرة الاكل فانها تنشأ من أمور امامن شدة الشره على الطعام او يكون ذلك عادة فقد راينا من اكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع وكان بعض الجبابرة يأكل الفصيل مشويا في غدائه فاكله يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فمانها فقالت كيف تصل الى وبيني وبينك فصيل وذكر سيدى محيي الدين بن العربي نفعنا الله به في مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا مر برجل معه زنبيل بيض مشوى وزنبيل تين فاكل مافيهما فمرض ومات بذلك وكان الوليد من ملوك بني امية جبارا عنيدا وكان يشرب الزقا خمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وانشد يقول

تهددني بجبار عنيد. واني ذاك جبار عنيد اذا ماجئت ربك يوم حشر. فقل يارب مزقني الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره وكان المامون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المامونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل اكله لان قليلها يغذى الشخص ولهذا انسبت اليه واما ما اتفق لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي وكان به عرج وقال الحافظ بن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه أشياء غريبة فمنها انه اصطبح في بعض الايام بأربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة وأربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه ان يجنى

ءارهو يستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكلا القوم حتى اكتفوا واستمرهو يأكل
اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم مال الى الفاكهة فاكل منها اكل ذريعا ثم
اتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال الفاكهة فاكل منها أكلا ذريعا ثم أتي باناء يجمد
فيه الرجل مملوأ سمنا وسويقا وسكرا فاكله اجمع ثم سار الى دار الخلافة واتي السماط
فاكل مع الحاضرين كأنه ما أكل شيأ ومنها انه حج فاتي الطائف فاكل سبعمائة رمانة
وخاروفا وست دجاجات واتي بمكوك عنب فاكله اجمع ومنها انه كان له بستان فجاءه
رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن فى ذلك فدخل البستان لينظر وجعل يأكل
من ثماره ثم اذن فى ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال قال كان ذلك قبل أن يدخل أمير المؤمنين
وقيل كان سبب موته انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينه واربعمائة كلوه بشحمها
وعشرين دجاجة محمرة ففشت الحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله أعلم قيل مر
رجل اكول في سفره واجتاز بقرية فاضافه انسان وأجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز
العيش فاتاه بجانب من الخبز وذهب ياتى بالادم كلما رجع وجده قد اكل الخبز جميعه
فوضع عنده الادم وذهب ياتي له بخبز آخر ورجع فوجده اكل الادم جميعه ولم يزل على هذه
الحالة حتى اكل جميع ماخبزته زوجته وكذا اكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة
والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى اين تمضي فقال الى مصر قال ألك حاجة فيها قال نعم قال
له وماهى قال وصف لى بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لاى شىء قال أنا رجل
قل اكلى وانسدت معدتي ومرادي منه شىء يصفه لى لعلى اقطع فى الاكل فقال له الرجل
انا بقي لى عليك احسان ولكن سالتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا
تمر على منزلى ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدوده فكيف اذا اتسعت ثم انه أخرجه من
منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (مانزلت بقيتو لغيرى) أي لاحد غيرى قريب أو بعيد
(ولا عندى بذا توقيف) أى لا اتوقف في الاكل ولا أستحي من أحد اذا كان مارا ولا
أعزم ولا أطعم غيرى منه ولا أنظر فيه ان كان باردا أو حارا أو مقاربا اومن حرام اومن
حلال فعلى كل حال لا انظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الامر ولا اطعم غيرى ثم ان الناظم
تشوق الى ما كول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص ﴿ انا خاطرى اكلت فسيخ على النده * اضال عليها باكيا واسيف ﴾

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لاغيري كما تقدم معناه فى ابيات غير هذا
(خاطري) اى مرادى ودائما يخطر ببالى ذلك الامر وانا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره
وهو (أكلة فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى
ونوع آخر يقال له الطوبار ياخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد ان يضعوا على كل

رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشده ثم انهم ياخذوه
ويبيعوه ويا كله اهل الريف وغيرهم ياخذون الفسيخة منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل
أو المرأة على يده اليسرى أو في يديه الاثنين ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة
ياخذ بفمه القطعة اللحم وياخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذي ينهش في الرمة
مثلا ويعلو فمه ويديه القذاره والرائحة الخبيثة ويا كلونه حتى في الاسواق واغرب من هذا
انه اخبرني من اثق به من اهالي سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولي على البحر يقال له العدوى
نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا في بيت الخلاء ومعه فسيخة ورغيف يا كل
منهما فقام عليه وقال له تا كل في بيت الخلاء فقال له انت تطردني من بيت الخلاء وهو
مسجد المسلمين والامر ادك تاخذ مني الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة في يده
وراح الى حال سبيله ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم وشهود لا يعدلها شيء خصوصا
اهالي الكفور وبلاد الملق فانهم لا يرونه الا من النيل يجيء لهم من دمياط ورشيد في
المراكب ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائده ويجلب للصعيد وغيره وهو
مشهور ببلاد مصر واما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه في الهواء الى ان يجمد ويصير يابسا عن
الفسيخ وهو ما كول الا كابر وسمي بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ
فانه خالي عن ذلك ويا كلون لحمه بالخل والزيت وربما اضافوا اليه الثوم والبصل المخر وطين
والحرارات وهو شهوه عظيمة في بلاد المدن وغيرها يكلفون الا كلة منه كلفة زائده
ويا كلونه وحده ويسمونه صرص بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذي في
جوفه في اناء ثاني ويضعون عليه الزيت الطيب او الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه
حار يابس واعتدال أكله في الشتاء وسمي الفسيخ فسيخا لتفسخه عند الا كل او ان
الذي صنعه اولا خرج منه ريح عند أكله فشمه آخر فقال فسي أخ فركبوا ها تين الكلمتين
وجعلوهما علما وقالوا فسيخ قيل سمع بعض اهل الريف قارئا يقرأ قوله تعالى وفيها ما تشتهي
الا نفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهي نفسك الخبيثة
وقوله (على الندى) اى وقت نزول الندى لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا
كان في اول النهار ربما اعتدل ا كله هذا اذا كان في زمن الصيف واما زمن الشتاء ففي اى
وقت كان ويستحب ان يشرب عليه شراب حلوا ويؤكل عليه تمر فانه يذهب ضرره واذاه
وقوله (اضال) تقدم معناه (عليها) اى على هذه الحالة والا كلة من الفسيخ لشدة شهوة
نفسي الخبيثة اليها (باكيا) اي أستمر على عدم حصول هذه الا كلة باكيا والبكاء هو
غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكي السحاب
قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلي فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (وأسيف) سكنه لضرورة النظم لان اصله أضال اسيفا على هذه الا كلة حتى تحصل لى فلا انفك عن الحزن حتى آكل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب و بعد الصديق قال الشاعر

وما اسفي الا على من اوده ومن لا اوده ما عليه ملام

وقول بعضهم وماعتبي الا على من اوده ومن لا اوده ما عليه عتاب

وقال بعضهم اعاتب ذا الموده من صديق اذا ما رابنى منه اجتناب

اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

ولبعضهم وانت اخي مالم تكن لى حاجة وان عرضت ايقنت ان لا اخاليا

ولست براء عيب ذى الودكله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدى المساويا

وقال آخر لما رأيت بني الزمان وما بهم خل وفيّ للشدائد اصطفى

ايقنت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفى

وقال آخر صديقك في هذا الزمان منافق وخلك خل زره واحذر بوائقه

ونافق فقد آن النفاق ولا تخف كسادا فاسواق المنافق نافقه

فلا تخش الا الله لا رب غيره فما رفع الدنيا لحر ولا نقه

وقال آخر زمان كل حب فيه خب وطعم الخل خل لا يذاق

لهم سوق بضاعته نفاق فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر انت ما احتجت الى صا حبك الدهر اخوه

واذا احتجت اليه ساعة مجك فوه لو رأى الناس نبيا سائلا ما وصلوه

وقيل في الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب ان الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته في الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته في الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبيث الى الطيب فقال

ص (على من نضر فى فرن دار وطواجن زغاليل من برج بن ابو شمنيف)

ش وقوله (على من نضر) بالعين (في فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه في الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) أى دار الناظم فالضمير فى دار وراجع اليه يعنى لا يكون في دار غيره ولا تكون الطواجن في فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر

منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه مللان (زغاليل) وهي افراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطي لانه يرعى في الغيطان ومحلات الزرع والاجران وا كلها نافع يقوي الباه اذا أضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تسال عن جوده طعمها ولذا كلها والحمام اسم جنس شامل لكل ماعب وهدر ثم انه بين ان الزغاليل التى اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولده من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حوله بعضه البعض فيه قواديس فخار ياتي اليه الحمام البرى ويبات فى تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها ايضا ويسمون خراءه عندهم رسما لا ياخذونه لزرع البطيخ والنخل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويا خذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا في سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغللت وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل لزرقة ريشها وانه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذى يصنعون به زبيب والكبير الذى ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة لكن تراهم دائما فى شده خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة (وسئل الامام الشافعى) رضى الله تعالى عنه عن الكيمياء فقال اعرف من افتقر بها الا من استغنى فكذلك الحمام فى كل قليل من الايام يدخلون عليه ويا خذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما فى خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كان واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهاه بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسئلة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع ان اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى أم كيف الحال (قلنا الجواب القشروى) ان المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسي ووجه طبي فالوجه الاول ان الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فية ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى أعلى البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون ارزاقهم ومعاشهم (كما في الحديث الشريف) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس القطيسى والوجه الثاني ان الحمام حار رطب ينفع جميع

الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة وأحسن الحمامات ماقدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان فى افراخه الرطوبة والغلظ لا سيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فاذ نعسا يكون تاما واجوده الحمام البري واما الذى في البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهبال (واما اسم الحمام الطائر) فهو مشتق من الحوم وهو التردد فى الطير اذ يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (واما الحمام المبنى) فانه مشتق من الحمى وهي السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق اومن الحوم وهو الغطوس في الماء من قولهم فلان استحمى في البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس اومن الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبه من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع أى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة انعاله شددت ميمه الاولى (واما الحمام) بكسر الحاء فهو الموت فان حاءه ما كسرت الالان الشخص يكون فى حال حياته في شده وقوه فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا أثره قال الشاعر

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولاشك ان الموت شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث الشربينية والصادر الهبالية وقوله (ابن) و يطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابوشعنيف) اصله ابى لكن لم يساعده لسانه لعجرفته فى الكلام وهذه كنيته واما اسمه الاصلى فهو عفلق أو بحلق على ماقيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش المسمى بالنيف المتقدم ذكره و يضمه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال في البلد شاع بالنيف اى بسرقة النيف ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا ابوشعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلحفة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة ثم ان الناظم بين كيفية اكله فى الزغاليل وانها تؤكل بالفطير فقال

ص ﴿ وفطر فطايره من طحين ابن عمه * ويقعد لها قعده غلام خسيف ﴾

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر

وشمر على ايره وطرطرعا مدا * عليها ببول فهى في البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى

لا يلذلي اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره مثل عمل عمايل أو مثل قشر قشاير ومعناه بطط أو صنع فطير أو الفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير أو حمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الآدمي لانه يولد الارياح هذا اذا اكل وحده واما مع غيره فلا بأس به وهذا كله في فطير الريف الذي اراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه في الفرن أو يدمسونه في الجورة ويقال له فطير دماسي ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهي عنه واما الفطير الذي تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذي يصنعونه وقت عجينه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به ايضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق اي يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل أو يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له أو يهبه اياه أو يتمكن من سرقته ويخبزه في الفرن أو الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت في مرقها الفطاير المذكوره ويتاهب للاكل منها (ويقعدلها) اي للزغاليل او لمجموع ذلك (قعده) اي مثل قعده (غلام) وهو الذي طر شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذي ان طر شاربه * والعانسون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشده وقوله (خسيف) صفة للغلام اي عنده خسافة اي تفكر وكآبة وشده حزن فاكون مثله عندي تفكر وشده جوع ليا اصدق ان ارى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتى اكتفي ويذهب جوعي وتنقضي شهوتي مثل الغلام الذي اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على احبابه ليزول همه ويتسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد (كما اتفق) ان بعض العارفين مر برجلين يأكلان في رمضان فقال لهما ما أمركما فالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مده ثم اجتمعنا في هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال احدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح فصارت أرواحهما واجسادهما كأنها روح واحده في جسد واحد كما قال ابن العربي نفعنا الله به

نحن جسمان كجسم واحد * نحن روحان حللنا بدنا

وقال ايضا عفا الله عنه

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا

ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الاموحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم اجمعين قال ابن

هاني عفا الله عنه لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تالفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع فى حديد بارد
واذا صفالك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد
وله ايضا رضي الله عنه
لا يعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال اني عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المتحابين في الله فى ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسي من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخري تمناها فقال

ص ﴿على من نضر طاجن سمك في فرينه * ولوكان ياخوانى بلا تنضيف﴾

ش (قوله على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيره احل الله تعالى اكله هو والجراد حيا وميتا وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف واجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد في الباه والمالح احر من الطرى وايبس ونفع الكبير منه ان يؤكل مع شراب عتيق والفالوذج خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب حار والمفلس منه اولى من غيره (قال بعض الحكماء) كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذه عظيمه وتتفاوت في الطعم واللذه فاما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل ايضا في الطواجن مرقة وغيرها وله لذه عظيمه ويعمل ايضا بالكشك وقد اكلته فى دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز لكن قليلا عن المفلفل يضيفون عليه ماء الليمون ويسمونه فقاعيه واكلته وله لذه عظيمة وطعمية لطيفة واما القجاج فانه اعلى رتبة واطيب طعاما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير وفي المثل * اذا عدم الدجاج كل القجاج * ويتنوع في الاطعمة مثل البورى واما السمك البنى فانه الذ في الطعمية من الكل ولا يوجد الا في قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلي وحشي فلا تسأل عن لذة طعمه فانك تودان تاكل اصابعك من حسنه وفى المثل عن لسان حال البنى * انا البنى ان رأيت احسن مني لا تاكني * ونوع في السمك يقال له شبار له

لذه في الطعم والما كل وقد وردانه يا كل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل و تصير البرك والنقر ملانة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود و شبار صغير وصير و نحو ذلك فتنزل اولادهم و يصيدون منها فيا تون به و ينظفونه و يضعونه في الطواجن و يضعون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار و بعض بصل مخروط و يضعونه فى القرن الى ان يا خذ قوامه فيا كلونه بخبز الدره او الشعير و يصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم ألذ الما كول و يا تون بالقراميط السود الصغار و يدفنونها فى الجوره الى ان تنضج يسيرا و يا كلونها اعاذنا الله من ذلك و بذكر السمك تذكرت (مما اتفق) ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخوانتا المطاعيم المغفلين فرعليها عاشقها يوما وقال لها طال الموعد فقالت له في غد تا تيني في آخر النهار ثم انها اصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه في هذا اليوم و نا كله فمضى الى السوق واتى به فنظفته و اصلحت شانه و وضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به الى الفرن و ارحنا من طبيخه و قل للفران يرسله مع غلامه أذان العصر فاخذه زوجها وذهب به الى الفران و اعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا و طاعة ثم ان الفران ارسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع وا كل من ذلك السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها في الحديث اذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شيء والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبي انا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتى معك وقعت الشوم ازاى الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتونا كل منو طلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منو خايفه لا يطلع على شيء واهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكة وانا طول عمرى ما حدشا فني ولا اعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجري حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك في الطاجن يا ترى هو الفران و الا صبيو فلم يتكلم شيء فعند ذلك قالت له زوجته خده وروح بيه الى الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من دا الوقت لا تحط في طاجننا حد يخوفنا و يشوش علينا قال فمسك الرجل من يده و توجه به الى الفران واعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وتحقق القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل وقال له انا وضعتك في طاجن اللحم خالفتني و نزلت في السمك ان بقيت تخالفني اشوش عليك و نضربك فقال الراجل للفران يا سيدى ما عدت اخالفك ابدا الطاجن الذى توضعني فيه لا اطلع منه ابدا ثم ان الفران قال لزوجها اخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا بقى ينزل في طاجنها ابدا قال

فمضى زوجها واخبرها بالقصة ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا احد فى طاجننا مابقينا نطبخ عنده شيءا ابدا ثم تركها زوجها ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم (ومن العجائب) ان بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول فاطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة (واعجب من هذا) ان بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح واشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن ايها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن انا اسئلك عن مسئلة ان رددت جوابها قلت قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء أم عدة الاموات فتحير الشيخ في امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك في بحر العلوم فقال اني استغفر الله مما قلت فارشديني الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا تعتد عـدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عـدة الاحياء ثم انها غابت في البحر فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كل شيء وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى وبذكر قصة الفران والسمك تذكرت ان احفظ الوداد في الناس ويعجبنى قول بعضهم

لقد كان لى خل علمت ولاءه وكان صدوقا في المقال خليلا
فخان ودادى ثم انكر صحبتى فيا ليتنى لم اتخـذه خليلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوهـا ولكن في فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادى
وقالوا قـد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال آخر

لا ضر بن رجائي الف مقرعة حداوانصب آمالى على خشبه
لعشرتي لاناس لاخلاق لهم بيض الثياب واقفال على خربه

(ومن كلام الامام الشافعي) رضي الله عنه

ابعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم مجمل * ولا تقل كان لى ايادى
عليهم فى الزمان الاول * المرء بين اهله كليب * اذا رأوا ذيله مهلهل

وقال ايضا رضى الله عنه

لقاء الناس ليس يفيد شيا * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وقال بعضهم ما فى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان صفا

فمش فريد اولا ترتكن الى احد * انى نصحتك فيما قدجرى وكفى
ولا بن عروس قطب بلاد المغرب

الناس بحر عميق* والبعد عنهم سفينة   اني نصحتك فانظر* لنفسك المسكينه

وقوله (فى فرينه) اى فى فرن الناظم وصغره لاجل النظم بمعنى انه يأتي من الغيط او الجرن فيراه فى فرنه حاضرا مطبوخا من غير أن يتكلف بصيده وتحويجه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولوكان) هذا السمك الذي اتمناه (يا اخواني) يخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين واخوان في الله تعالى قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة* وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (وقال بعضهم) من فقد اخوانه فقد فقد مروءته (قيل) اتي رجل الى المامون فقال له انا اخوك اعطنى من بيت مال المسلمين ما يكفيني فقال له من اين انت اخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ماهذا اعطاء الملوك فقال له المامون لو فرض اني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك فمضي الرجل ولم يظفر بشيء غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا (وكان المامون) يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب عليه (ومن حلمه) ان جارية من جواريه قدمت اليه لحما مشويا فى اسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فخرقها واتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال انت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة في الحلم والعفو لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار كثيرة في ذلك وقوله بلا تنضيف) اي ولو كان يجد هذا السمك في طاجن فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصونه فى الطاجن بعظمه وقحوفه حتى يصير مثل المشوى فى الجورة فتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهرته للاكل منه وفي المثل الغريق يستند على القش وفى مثل آخر بطينه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضى شهرته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيا ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما واكل منه اكلا زائدا فان الشهوة البهيمية ترمى صاحبها على اخبث الماكول فكل من اطاع نفسه وهواه خسر قال سيدنا عيسي على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البرده رحمة الله

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب في المعاد وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى اكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى ان

حصلت له يوما وهو في الخلوه فمد يده ليا كل منها فانشق حائط الخلوه وخرج منه شخص وقال له اف عليك ياعمر فقال ان ا كلتها ثم انه تركها ولم يا كلها بقية عمره وخالف نفسه (ومن النكت المضحكة) ان بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها او كل غيره ولا تطعمها ابدا فاتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضع بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذي وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل بلحم ضان يقال لها قارش مارش فمد التلميذ يده واخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما قلت لك خالف نفسك فقال له ياسيدى حدثتني نفسي انى آكل من صحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضان بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما في الخلوه فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له ياسيدي حدثتني نفسي وقالت لى انك الشيخ فخالفتها وفعلت في هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله ما اشقاك وما اخبثك فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيا لم يرفي بلده الا يوم عيد النحر فقال

ص ﴿على من راي في التل كرش ملقح * ومن فوقة الدبان يمف عفيف﴾

ش قوله (على من راى) رؤية بصرية كما تقدم في غير هذا البيت (في التل) اى تل بلده وهو الكوم العالي ويكون في الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده تراب اورماد يكبه قدام داره بر البلد امام بيته وجاره مثله وهكذا الى ان يتصل بعضه البعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه ايضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضا ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقاع والعجول والجاموس وغير ذلك وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه في جيبه او يسيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ورداؤه عليه الخرا وهكذا ثم يؤل امرهم الى الصلح او القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام في غزل الصوف والفل وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا ان تكون في دار الشاد بالكفر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل في المعنى

سألت بنى الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا الا مراحيض للقوم
فقلت فما ذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم أيضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

اتيت الكفر في ضحوه * رأيت أهلو جميع شالوا و راحوا فوق عليه * علها الكل قد بالوا
أي طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا وتطلق العلية عندهم على
الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم في العلالي أي انه صار بجلس عاليا
عن الناس وبقي له في الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر
جوز غزلان يا محلاهم * شافني على القدم حناهم متى يازمان تجمعنا * في العلالي أنا واياهم
فان قيل ان الناظم قال في التل فيفهم منه أنه يرى الكرش في جوف التل فيكون متواريا عنه
وأكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الاعلى شيء ظاهر ولا على شيء
مغطى مستور كما تقول فلان في الدار أي في داخلها فما الجواب (قلنا الجواب القشروي)
أن في بمعنى على أي كرشا ملقحا على التل أو الكوم كما يقال فلان في الجبل أي فوقه لا داخله
لانه لا يستطيع أن يثقب الجبل ويدخل فيه أو ان حرف الجر على بابه ويكون قوله في التل
بمعنى أن في جوف التل نقره يشخون فيها او يرمون فيها الكروش مثلا فصدق عليه أن
الكرش في جوفه وان كان ظاهرا يرى للناس فاتحة الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله
(كرش ملفح) أي كرش البهيمة التي يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا في
هذا اليوم ولا يمكن أنهم يلقون الكرش على التل بل ياخذونه ويلقون ما فيه من التفل
ويغسلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جعل مغل وله عندهم موقع عظيم
واما في بلاد المدن فانه من الضمان ويضيفون اليه الراس والكوارع ويسمونه سقطا
ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبره والسلق ويصبون عليه الخل ويصيرله لذه
عظيمة فيبيعونه بالراس تاره ويدرجونه في الكرش مغسولا نظيفا وتاره من غير الراس
وتاره بالكوارع وتاره بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع
تسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذه عظيمة كما هو مشهور في
بلاد المدن واما اهل الريف فانهم يضعون جميع ذلك في الدست او البرام ويضيفون عليه
الكزبره وقليلا من الشيرج ويقلون له شيء من البصل او الثوم وياكلونه ولا يعرفون
السمن ولا الحرارات ولا شيا من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء وياكلونه حكم المرقة
والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور راى ان كرشه بارز ظاهر كما يقال
للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرش اى آيل
للسقوط وفلان صاحب كرش اى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما
فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفي الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح في
الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلىء شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وادرج راسه في كرشه
يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه وكثره شحمه (ومن المناسبة) ان السلطان قزلباش

ارسل الى السلطان قانصوه الغوري يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * اف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس

(فاجابه يقول) لله في ملكه خاتم * تجرى المقادير على نقشه
تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغي لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغي الكبش بشحم الكلي * ادرج راس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسله له السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائبه اى نائب الغوري ورده خائبا والقي الله كيده في نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغوري من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلي الخ وهذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه ان يرى كرشا مرميا على التل اى الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيانا وذهولا او ان الشاد بالكفر ذبح كبشا والقي كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيا ويأخذون كرشها وجميع حوايجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذى تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة اهل الكفر في بهيمة (و) لو كامن (فوقه الدبان) وهو الذبان وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده دبانه ودبون مفرد الذكور منه والدبان على وزن الخرفان او الجديان والدبون على وزن المحون او المابون قال بعض الشعراء مواليا

في خاطري ياملبيخ لو كنت دبانه * واحط فوق شفتك وتنش اقول دانه
على ويابو حسن لك عين نعسانه * غيرى تواصل وانا اجى لك تقول نانة

(فائده) للذباب خواص كثيره ومنافع مذكوره في بعض الكتب منها انه اذا اخذت ذبابة وربطت وهى حية في خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتكي الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاى شيء خلق الله الذباب فقال ليذل به الجابره لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى في كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (والذباب) له اعداء كثيرة من حيوان صغير

يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا ان فمه واسع وارجله قصيرة عن ارجل العنكبوت ياخذ الذبابة بسرعة فى فمه ويلقيها فى شىء يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيها الى ان تموت وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به فى المنن ان زوجته ام عبد الرحمن اصابها مرض شديدا شرفت به على الهلاك فدخل يوما بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله تعالى وقوله (يعف عفيف) اى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكثر العين المهمله يقال عف الذباب على الشىء اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض واما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشىء بمعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية اخذه ولفه فقال

ص ﴿ دنا ان شفته خدتو بحالوسلقتو وكلتو بتفلو ما أري تقنيف ﴾

ش قوله (دنا ان شفته) اى اذا من الله على ورأيته ملقحا على التل (خدتو) اى آخذته فحذف الهمزه وابدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية (بحالو سلقتو) بمعنى انى القيه فى الدست او البرام والقى عليه الماء لاغير واسلقه من غير تقلية ولا شيرج وغير ذلك لشده فقره وعدم مافى يده وقوله (وكلتو بتفلو) اى بما فى جوفه من المرعى ولواته نجس مبالغة فى الاشتهاء له وشده الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الاكول عندهم فيقال فلان ياكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ماعليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذلام معيكة بجديد وكل انت الاخر بجديد ولوانكسر عليك مال السلطان فاعطى بياع الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو ياكل من غير ملح واخذ بالجديد الثانى قطعة كبيره وزاد له عليها كبده وروية وهى القشة ولف ما اخذه فى شده الذى فوق رأسه وربط عليه وكانت الفلوس التى باع بها البيض مربوطة ايضا على الشد ثم انه سافر الى ان مر على قرية فى الطريق فرأى شجره فجلس يستريح تحتها فضربه الهواء فرقد فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على رأسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا نائبا وقوله (ما اري تقنيف) بمعنى انى ما اتقنف

عن أكله لكونه فيه التفل اولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان تقسي تطيب لا كله ولا تمتنع عنه وفي القاموس الاز رق والناموس الا بلق ان التقنيف مشتق من التقنف وهو المنع عن الشيء كما يقال انت قنف او فلان يتقنف اومن القنافة بضم القاف وهي التي توضع في خرق الناف الذي على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له ياقنافة قال الشاعر لقد خف مني العقل حتى كانني أحاكي في الافعال قنافة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملفح على التل او الكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مده ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من أكل الكروش وغيرها من الترمس والمقيلي فقال

ص ﴿انا ان عشت لاروح المدينة واشبع كروش ولواني اموت كفيف﴾

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهي قوام الجسد وانتعاشه من الماكل والمشرب اى ان طال عمري وكان فيه تأخير في علم الله تعالى (لاروح المدينة) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها وابد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام وامراءها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبهاء والكمال وطيب المعاشره ولطف المذاكره كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية ليس بمحصن وملاحها الولدان كانهم الغزلان اوقضبان البان لا يوجد مثلهم لا في الروم ولا في العجم ولا في العراق ولم ير الطف منهم في العشرة باتفاق كما قلت في هذا المعنى موشحا

دور	يا من برد عشق الجمال	يشد الى مصر الرحال
مذهب	كم من جمال حاز الكمال	في مصر ارخي لو دلال
دور	ملاحها لا يوجــدوا	في الروم ولا ارض العراق

ولا بلاد ارض العجم ومن رقي السبع الطباق اللطف فيهم منطبع
وريقهم حلو المذاق من حاد عنهـم بالميال حرم عليه طيب الوصال

مذهب	كم من جمال حاز الكمال	في مصر ارخي لو دلال
دور	يا حسنهم يا لطفهم	يا ظرفهم كم ذا ترى

من كل أغيد حين يميس تقول لعقلك لا ترى مثلو ترى غير ويفوق
سبحان خلاق الورى فعش بهـم دوم الليال فحبهم عنـدي حلال

مذهب	كم من جمال حاز الكمال	في مصر ارخي لو دلال
دور	اما العجب ثم العجب	في يوم الاعياد والفرج

كم ظبي يرفل في الحلل والخال فوق خد وغرج تقول جنان رضوان حقيق

قد فتحت وقد خرج منها يريد قتل الرجال بحسن قدو والميال

مذهب كم من جمال حاز الكمال في مصر وارخي لو دلال

دور والله والله العظيم ومن له انشق القمر

من عشقهم صبري فني وزاد وجدى والسهر وقد بقيت صفر اليدين

ولست أقنع بالنظر ما حيلتي فى كل حال الا الدعا أراه محال

مذهب كم من جمال حاز الكمال في مصر ارخى لو دلال

دور يوسف سميت أدع الاله يغفر ذنوبي كلها

وبلدتي شربين عظيم بين المداين قدرها بلد الفخار مع العلا

والعلم مشهور ذكرها ثم الصلاه باتصال على النبي باهى الجمال

مذهب كم من جمال حاز الكمال فى مصر ارخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم الطف من النسيم ورضابهم احلى من التسنيم كما قال الشاعر

مامثل مصر فى الورى بلده سكانها ترتع فى نعيمها

نسيمها الطف شيء فى الوري وأهلها الطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعده بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوى وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان اى استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وافاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال فى المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها في مصارفها وانما جن به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر مستحدث النعمة مستودعها عيناه مملوأتا فقر

جن به الدهر فنال الغنى ياويله ان عقل الدهر

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير واحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش أى ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من الكروش التى تصاق وتباع واقضى مرادى وبغيتى منها (ولواني) بعد شبعي من الكروش المذكوره وقضاء شهوتي (اموت كفيف) اى اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العمى وفي الحديث القدسى ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن انس وقال الابو صيرى الاديب

اذا رمدت عيناي قل مسامرى * وقلت احيائى من الحى والحمى

يقولون ان عو فى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعمى

لان الارمد مريض لايزار فاذا عمى يقولون له انت بقيت من اهل الجنة وحصل لك الخير . ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفي الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لامحال قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر ومن لم يترك الذكر لم يذكر وما ابتلى الله عباده بشيء اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما في المثل اعمى قال لاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصف خبرك عندى وفى المثل الآخر الاعور الممقوت بين اهله احسن من الاعمى على كل حال وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات او يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه و يحسن للفاسق نفسه و ينتف اصول شعره باظافيره او يلقطه بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار يميل النفس اليه و اذا التحي قل منه الوقار و صار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

فسر والله ناظرى * مذرای ذاك واشتفا شكرالله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنا والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطى يدعي عاشق المرد في الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فملت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطى وما انا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر

اهوا ه طفلا فى القماط وامردا * و بلحية واذا علاه مشيب

وقال بعضهم تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

أخو العدل يدرى مايرادمن الفتى * امنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والخمول فى العشق والمحبة والا فالعشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتمنق والبوس وكلها غرامة فلوس ثم ان الناظم بين كيفية اخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهى زوجته واسمها قطيعة فقال

ص وآخذ من غزل العجوز وابيعو وآكل بحقو يا ابن بنت عريف

ش قوله (وآخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعة وقيل

اسمها بعره بنت قلوط والبعره قرية من القلوط لانها بنته والقلوط ابوها فهو ملازم لها
ولفظ العجوز يطلق على المرأه الكبيره وعلى الخمره فيقال لها العجوز ايضا والعذراء ولها
اسماء كثيره قال بعضهم   عجوز وعذراء فاعجب لها   تنادى باسمين من كل واسم
وفي الكلام تقديم وتاخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة وآخذ معى غزل العجوز وابيعه
فيها (وآكل بحقه) كروشا وغيرها ولواني بعد ذلك اموت كفيفا لاني اذا قضيت مرادى
وعشت بقية العمر اعمى لا ابالى بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت ارجوه من الله تعالى
(يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من اهالى الكفر قيل انه من اقاربه وقيل من
اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لا بد انك تفرح لى اذا طال عمرى
ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته
مؤكده حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص لا يشكو حالة الا لصديق يفرح
لفرحه ويحزن لحزنه ويحتمل عنه الهموم او يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا ويسليه
بالحادثة ونحوها قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذىء مروءه   يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال ابن عروس

أوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للى يريدك الحمل اذا تفرقا انشال * وان ترا قد يكيدك
وابن بنت عريف هذا اسمه على ماقيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته
فسا التيران انهم كلما ربطوا التيران على الطواله يقف فى وسطها ويفسو فيها الا انه كان كثير
الفساء فيشم من يقرب هرائحة الفساء فيقول له انت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمى
بذلك واما جده لامه فيسمى عريف لا حدامور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق
المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما
وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزماره ونحو
ذلك وقيل انه كان يعرف الشادامور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا
صورمعوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه
مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرف الاولاد احوال القراءه ويعرف ايضا الفقية عن
احوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لابد له من عريف
على ماجرت به العاده قال العلامة البلقيني الشافعى في تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله
حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء فى حديث الاعمى والاقرع
والابرص روى ان ثلاثة من بنى اسرائيل احدهم ابرص والثانى اقرع والثالث اعمى اراد
الله تعالى ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا فاتى الابرص فقال اى شيء احب اليك قال لون حسن

وجلد حسن فقد قذرني الناس فمسحه بيده فذهب البرص واعطاه لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اي المال احب اليك قال الابل فاعطي ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها واتي الاقرع فقال له اي شيء احب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس منه فمسحه فذهب واعطي شعرا حسنا قال فأي المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقره حاملة وقال بارك الله لك فيها واتى الاعمى فقال اي شيء احب اليك قال ان يرد الله الى بصرى فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاه فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا وادمن ابل ولهذا وادمن بقر ولهذا وادمن غنم ثم انه اتي الابرص في صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بي الجبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه في سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كاني اعرفك الم نكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه واتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ماقال لذاك ورد عليه مثل مارد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه واتي الاعمي في صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الجبال في سفرى فقال قد كنت اعمى فردني الله بصيرا وفقيرا فأغناني فخذ ماشئت فوالله لا امنعك اليوم شيا اخذته امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمه وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وماسدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تاني يراجع فيك دهرك عقلة * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا

رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا * وسدتم بلا أهل وفضل ولا ولا
ساقسم بالله الذي خلق الملا * يمينا لقد نجستم رتب العلا * والبستموها بعد عزتها ذلا
فتبا لدهر انتم عظماؤه * وانتم اراضيه وانتم سماؤه
فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه * صفعت زمانا انتم رؤساؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى
فطوبى لعبد يكتفي بذهابكم * وويل لحر يشتفي باياكم
أقول وقلبي ملكم وازدرى بكم * لقد خاب من يسعي لنحو جنابكم * كما خاب من في عشقه خان او زلا
فبعدى عن الاوطان صفو لبنيتى * وفقد الذي أهوي وعظم بليتى
وهتكي وتعذيبي وقرب منيتى * فذلك مرادى واعتقادى وبغيتى
ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شيء آخر فقال

ص ﴿ واسرق من الجامع زرابين عدة * وآكل بها من شهوتي في الريف ﴾
﴿ واشبع من الترمس وآكل مقيلي * والفوا بقشر و ما ارى توقيف ﴾

ش هذا الكلام كله من بقية كلامه لابن بنت عريف المتقدم ذكره اى انه يقول انا اذا طلعت المدينة و بعت غزل العجوز و اكلت بحقه كروشا و قضيت شهوتي من الكروش المذكورة و رايت الترمس و المقيلي الذى اشتهيته ولم يكن معي شيء من الدراهم فحينئذ ادخل بعض الجوامع التي في اطراف حارات المدينة التي يصلي فيها اهل الريافة لان الزرابين لا تكون الا بارجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهي جمع زربون على وزن محون او مابون وهو المركوب الذى يمشي به الفلاح و يسمونه ايضا جوادا وترجيلا (واسرق) والسرقة حرام ومنهي عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور في كتب الفقه واباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء ما لفظه

يد بخمس مئين عسجد فديت * مابالها قطعت فى ربع دينار

فاجابه بقوله عز الامانة اغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

اى ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة ارخص الله قدرها واباح قطعها بذل الخيانة فهي حكمة للبارى جل وعلا وحدود اوجبها على خلقه من امر ونهي وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمي جامعا لانه يجمع الناس للصلاه والعباده ونحو ذلك ومسجد للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عده) يعني كثيرة لان سارق المراكيب يحتاج الى زياده معرفة في السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهي ان يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاه بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لعلام الغيوب فياخذه والآخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاه ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاه ولا العباده وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والقل أو لحساب المال أو ليستظل فيه أو ان الحر وربما ربط فيه العجله او البقره ويجعلونه في الغالب محلا لحادثتهم فى الغيط والحيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم فى زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدم ذكره اني اذا طلعت المدينة واكلت بحق الغزل كروشا ولم يبق معي شيء اتلصص واتجسس واسال عن بعض الجوامع التي باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب

(وآكل بها) في كلامه هذا تورية اما انه يبيعها ويأكل بثمنها أو انهم يصدقونه حال خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التي خطفها علقة فيكون هذا أكل معنوى فأنه في الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع في ايديهم يقطعونها على أحبال رقبته يقال فلان أكل علقة اليوم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على أحبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت أرزل السرقات قيل من بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار وهو جالس في حانوته وبجانبه نعل فاراد هذا اللص أخذه فجاء لجانبه بخفة وحط رجله اليمنى في واحده واراد ان يحط رجله اليسرى في الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا بحيث لايراه التاجر ولم يأخذ الفرده الثانية من نعله فقال لغلامه اين الثانية فقال له لاادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له يصنع واحده مثلها فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها اله فلما رجع الغلام لسيده اتي اللص ومعه الفرده التي اخذها وقال للرجل لاتصنع للتاجر شيأ فانه لقى الفرده الثانية وأراها له هات الاخرى فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها اخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب من حذق اللص وفعله وقيل طلع الابوصيري الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الركن يشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوبا احمر مثل وجهك ياشيخ العرب فالتفت له الثانى من البياعين وقال عندى مركوب مليح وحياة رأسك وصار الجميع ينكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يامشايخ السوق انا رجل غريب وأنتم تتوصوا بى فان جماعة اخبرونى ان المراكيب اليوم كثيره ومن رخصها على أقفية اصحابها فقال الكل خلص تاره منا جميعا بما قاله بلطافة ثم قالوا بالله انت الابوصيرى قال نعم فاكرموه وأعطوه مركوبا احمر من غير شيء فاخذه ومضى حتى دخل على البدرى العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر في الدخول فلما رآه فى رجله المركوب قال له وجهك أحمر يا ابوصيرى فقال له نكت بدرى ودخلت الحمام فكان الجواب اظرف من السؤال ومما مدح به البدري قول الابوصيرى المذكور حيث قال البدرى كمل بالدخول * وفيه الطوى واندرج

بوابه حالف بالطلاق * من يوم دخل ماخرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتاخرين واستعمله المتنبي فى مواضع من شعره (قال ابن خلكان) رحمه الله تعالى جاءنى صاحبنا جمال الدين الاربيلي الاديب الجيد فى صناعة الالحان وغيرها وانا في مجلس الحكم بالقاهره المحروسة وقعد عندي ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض يخرج فلم اشعر الا

وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا أيها المولى الذي بوجوده أبدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك حجة الاشواق لا ما يوجب الاسلام
وأنخت بالحرم الشريف مطيتى فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت انشد عند نشدانى لها بيتا لمن هو فى القريض امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا فظهور رهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لى انه لما قام من عندي وجد مداسة قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذى تمثل به هذا القائل لابى نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هرون الرشيد أيام خلافته اولها

يادار ماصنعت بك الايام لم يبق فيك بشاشة تستام

ويقول من جملتها فى صفة ناقته

وتجشمت بى هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة قدام * تذوى المطي وراءها فكأنها صف تقدمهن وهى امام * واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام (قيل) سرق رجل مركوبا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له ابوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برساله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق منى لا خسرت ولا كسبت فضحك عليه أبوه وخلى سبيله وقيل سرق باب دار ابي سالم القاضى فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذى تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابي وقيل كان مع ابي جحا زوجتان وكانت ام جحا ماتت فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر انه نسي مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول أبوك فقال يقول نك زوجات ابيك فى غيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا انتم منه وصدقوا ثم قال له الواحده يا أبي والا الاثنين يعنى اجيب فرده من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا أنه يقول له بل نك الاثنين وما مراده الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى ان حضر أبوه (وقيل جلس العينى في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من أعيان الناس فقال له ياسيدى يقولون ان أهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادى أرى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذمر بياع الفول الحار وهو ينادي عليه فقال العينى هل في مصر أحقر من هذا قال الرجل الشامي لا قال اصبر حتى أبين لك حذقه ثم ان العينى ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادى فول حار ولكن ماعندى دراهم وماعندى الا فرده مركوب تعطيني بها فقال له الرجل ياسيدى كل شيء جبته أطعمناك بة قال فضحك العينى وتعجب الشامى من

حذقه وأنعاعليه ومضى الى حال سبيله ومن التورية قول بعضهم هجوا في رجل اسمه عوض مالفظه فقال

سر موجتي قدسرقت * وضاق بي رحب الفضا أنبت للسر وضحي * أخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتى في الريف) أى شهوتى التى اشتهيها وهى اكلى من الكروش وشبعى منها لاني ماوجدتها في الريف فاذا طلعت المدينه وفعلت ماتقدم ذكره قضيتها وحصل لى المراد وقوله (وأشبع من الترمس) المراد نه المملح بعد نقعه فى الماء أياما فان اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم أى يتنقلون به أيام الاعياد ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في بلاد المدن دائما وهو فاكهة الارياف اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلى وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي رحمه الله تعالى وهو ان من داوم على اكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (وآكل مقيلى) أى وأشبع من المقيلى وهو الفول المنبت المقلي بالنار ومن هذا سمي مقيلى وهو مشهور لايحتاج للتعريف وقوله (والفه بقشره) أى هوو الترمس من شدة شوقي اليه لانى متى أردت تقشير الترمس والمقيلى طال على الامر لاني احتاج الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفي خاطرى ولا مرادى وأيضا فان الناظم من أهل الريف وأهل الريف ياخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) أن رجلا جلس هوو غلامه فى محل ظلاميا كلون زبيبا فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وانا الآخر مثلك فلما فرغ من الاكل قال له سيده ياعبدا لخير أنا طمعت عليك بقيت آكل اثنين اثنين فقال له ياسيدى ان كنت اكلت اثنين اثنين أنا بقيت اسف سفا والعرب من عاداتهم انهم ياكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالخمسة ويجدون في هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر هنيئاً لاصحاب البيوت بيوتهم ولل آكلين التمر اخماس اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والمقيلى واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ماارى توقيف) يعني ما أتوقف فى لفه بقشره ومرادى باللف الاكل يقال فلان لف مترد عدس بمعنى انه اكله كله وينصرف اللف لغير الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك ثم ان الناظم تمنى أن ياخذله لبده فقال

ص ﴿ وآخذلى لبده وكرمشنير وأزل كاكلب ابن أبوجغنيف ﴾

ش قوله (وآخذلى لبده) هذا أيضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا اسعفنى السعد في سرقة الزرابين وبعتها واكلت بثمنها اكلا جسيا ومعنويا كما تقدم وبقي معى شيء ولو خمسة انصاف أخذت لى لبدة جديده بنصف من الخمسة (و) أخذت بالاربعة (كرمشنير) أى شدا حواشية غزل احمر فانه يسمى عند اهل الريف

مشنيرا ولا يلبسه الا الا كابر منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكر مشنير يعني انه بقي من اكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر يعني اذا طاح المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرا بين ياخذ ما في مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكر مشنير في قوة وشهامة مثل الكاب الاتي ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابوجغنيف) وكلب ابن ابوجغنيف هذا كان مشهورا في الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب وخطف العيش واكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا انعم الله عليه بلبدة وكر مشنير يقولون فلان اليوم اصبح مثل كلب ابن ابوجغنيف اي في القوة والشطارة والسرقة حتى ستر نفسه وكسى روحه وبقى من الا كابر كما انك تشبه الانسان في الخسة بالكلب او الخنزير فتقول انت مثل الكلب مثلا وابو صاحب الكلب كني بابي جغنيف او جغناف او جغنوف على ما قيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف ثقيل الدم مهدار في الكلام من غير فائدة كما رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق (ومن المناسبة) لثقاله الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهوره في كتاب الف ليله وليله وهي ما اتفق ان رجلا من اكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين في منزله فقاموا اله اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما اراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب مجيئك معي ودخولك الى منزلي وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتي فقال الشاب بالله يا مولاي لا تعترض علي فان سبب هذا كله رؤيتي لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تيس الحركة قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب في حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا للشاب والله ما بقينا نأكل حتى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا التيس في بغداد بلدي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبره لمن اعتبر وسبب عرجي وكسر رجلي هذا المنحوس فحلفت اني لا اجالسه في مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت عن بغداد من اجله وسكنت هذه المدينة وهي اقصي البلاد وقد نظرته عندكم وانا الليلة ما ابات الامسافرا فقالوا له حدثنا ماجرى لك معه فاني والحوا عليه هذا والمزين قد اصفر وجهه واطرق برأسه الى الارض واما الشاب فانه قال اسمعوا ياجماعة ان والدي كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيري فلما كبرت وبلغت انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت البس وانعم وانا في اهنا عيش فبينما انا ذات يوم من الايام ماش في زقاق من

ازقة بغداد اذ رأيت مصطبة فجلست عليها لاستريح واذا بصبية كأنها الشمس المضيئة لم ترعيني اجمل منها طلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت ثم انها أغلقت الطاق ومضت فاشتعلت فى قلبي النار وشغفت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضي المدينة راكب على بغله وقدامها العبيد والخدم حتى اقبل على هذا البيت الذى فيه الصبية ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتى وأنا مكروب وزاد على العشق والهيام واعتراني الضنى فرضت بحبها واستمريت على هذا الحال اياما وأهلي يبكون على ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوزة فلم يخفها امرى فقالت لى ياولدي أنك ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس وأطلعني على قضيتك وانا ابلغك مرادك فأثر كلامها في قلبي وجلست واخبرتها الخبر فقالت لى ماصفة الموضع الذى رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان اباها قاضى بغداد فقالت لى ياولدى أعرفها وأعرف اباها وأنا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وابيها واما أنا اسعى فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا منى فطب نفسا وقر عينا فلما سمعت كلامها وحديثها وطابت نفسي للاكل والشرب وقلت لها اسعى وجميع ماتطلبيه حذيه مني فقامت من عندى وتوجهت اليها وجاءتني ثانى مرة ووجهها متغير وقالت لى كلمتها فشتمتنى وغلظت على فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى وصارت العجوزة فى كل يوم تعودنى فجاءتنى يوما وهى تضحك وقالت لى هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها انك مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لى اقرئيه منى السلام وطيبى قلبه وقولي له ان عندى اضعاف ماعنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء الى الدار واما أنزل افتح له الباب وأطلع به عندى في الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج قبل ان يعود أبى من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عنى ما كنت اجده من الالم وفرح اهلى ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اني واذا بالعجوز دخلت على وقالت لى هيء نفسك واحلق رأسك والبس احسن ثيابك وامض في الميعاد وأزل ماعليك من الاوساخ فى الحمام فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندى فقلت لغلام من بعض غلماني امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا جيدا قليل الفضول فغاب عنى ساعة وأتانى بهذا النحس لا كان الله له في عون فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال لى ياسيدي اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال أذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام وأماط عنك الاسقام ولا زلت بك الاقدام وعافاك الله وشفاك ولا شمتت فيك أعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك فقال لى ابشر ياسيدى فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لى تريد ياسيدي أن تقصر شعرك أو تنقص دما فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه

قال من قص شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء و روى عنه أيضا انه قال من
من احتجم يوم الجمعة لا يامن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم الآن واحلق رأسي ودع عنك
الهذيان ولقلقة اللسان فاني ضعيف من اثر المرض فادخل يده في حرمدانه واخرج منديلا
كان معه ففتحته فاذا فيه اسطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع راسه الى شعاع
الشمس ونظر فيه ساعة وتامل طويلا وقال اعلم ياسيدي وفقك الله وهداك ورعاك
وعافاك وشفاك وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة
٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد خمسة آلاف
سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة آلاف وعشرين سنة من تاريخ اسكندر الرومي
واربعة آلاف سنة من التاريخ الفارسي والطالع في يومنا هذا على ما اوجب في الحساب من
المريخ ثمان درجات وست دقايق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه
على ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي ايضا على انك تريد الاجتماع بنفس والطالع
في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد اضجرتني وضيقت منافسي
واصغرت روحي وفولت على بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك للنجامة ولا لشيء من
كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتاخذ شعري فافعل ما دعوتك له ومن اجله ودع
عنك ما لا اريد والا فاذهب عني ودعني احضر لي مزينا غيرك فقال يا مولاي احمد الله انت
طلبت مزينا فمن الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف بصنعة الكمياء والسيمياء
والنحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان والبديع وعلم الحديث والفقة والتواريخ
والحساب والصرف والعروض والانشاء وقد قرات الكتب ودرستها ومارست الامور
وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره
على ما اولاك فقد قال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما انا بحمد الله تعالى عاجز عن الفضيلة حتى تقول لي
هذا القول وانما اشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليك في حساب الكواكب فاني
ناصح لك ومشفق عليك واود لو كنت في خدمتك سنة لان حقك علي واجب وحق ابيك
من قبلك واجب ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان اسر الاشياء الى قلبي وكل هذا
لاجل منزلتك عندي واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندي ايادي متقدمه وله علي
فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتي له وما كان يخدمه احد غيري لما راى من كثرة ادبي
وقلة كلامي وحسن صنعتي وخفة يدي فلهذا كانت رغبته في وكان يحبني كثيرا
القلة فضولي فخدمتي لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت انت اليوم قاتلي
لا محاله من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لي يا مولاي ومثلي من ينسب الي

الهذيان وكثره الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله عليه اذا حضرت عنده يتمنى ان اتكلم بين يديه سنة كامله ليقتبس من علمي ويلتقط من در نظمي وفهمي وينظر الى حسن صنعتي ونحن سبعة اخوه الاول اسمه بقبوق والثاني اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسواني والخامس اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وأنا لقلة كلامي سموني الصامت وان أردت أن أحكي لك عن أصلي وفصلي ونسبي وحسبي وماجري لاخوتي الستة من أول الزمان الى آخره فاستمع ما أقول فلما أكثر على الكلام واطاله بلا فائدة أمرض قلبي وحسبت أن مرارتي قد انفطرت فقلت لغلامي ادفع له اربعة دنانير ودعه يروح عني لوجه الله تعالى فما بقيت أحلق رأسي في هذا اليوم فلما سمع ماقلته لغلامي قال لى هذا النحس الخبيث ايش يامولاى هذا الكلام أيمان المسلمين تلزمني لآخذ منك أجره حتى أحلق رأسك ولا بدلى من خدمتك فانها واجبة على واصلاح شأنك لازم لى ولا أبالى بعد ذلك ان أخذت منك شيأ أولم آخذ فان كنت يامولاى لا تعرف قدرى وحقى فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندى فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد جمع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا لاخوانه أرسل خلفي مرة فى نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال اقص لى دما فاخرجت الاصطرلاب وأخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فاعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع وأقضى حاجة مولانا ففرح بكلامى وقال والله ان عندك فضيلة ولوكان أحد غيرك لكان أخرج لى الدم وشكرنى لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فانشدت أقول

أتيت الى مولاى أقص دمه * فلم أر وقتا يقتضى صحه الجسم
جلست أحدثهم بكل عجيبة * وبين يديه انثر العلم من فمى
فاعجبه منى السماع وقال لى * تجاوزت حد الفهم يامعدن العلم
فقلت له ياسيدى الكل والورى * افضت على الفضل لازلت في حلم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم

فلما سمع أبوك رحمه الله حكايتى وشعرى طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطانى ما امر لى به ثم أخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت له لدم ثم ان هذا النحس صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذى عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامى وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما أظن الا ان المرض غيرك لانى أرى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما أظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب

المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن أنس بن مالك انه قال من ارضي والديه فقد ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسى الفقير اذا ما كنت مقتدار * على الزمان والاحسان فاغتنم
الفقرداء دفين لا دواء له * والمال زين يحلى احسن الشيم
وافش السلام اذا ما جزت فى ملا * والوالدين فكن عونا لبرهم

(لكن ياسيدى) أنت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيئا الا بمشورتي وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد احدا ادري بالامور مني ومع ذلك اني واقف بين يديك على أقدامي اخدمك وما ضجرت منك تتضجر انت مني فقلت له ياهذا لقد اطلت علي واوجعت رأسي من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عني واظهرت له الغبن واردت ان اقوم وقد ذهب عني الوقت الذى انا منتظره والوعد الذى انا طالبه وانا في كرب من هذا النحس وكثرة كلامه فقال يامولاى انا ما اعتب عليك ابدا وانا متعجب منك الذى رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت احملك على كتفي وامضى بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق راسى وقم عني قال فعند ذلك لما رآني غضبت اخذ الموسى وسنه وتقدم الى راسى وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يامولاي ان العجلة من الشيطان والتاني من الرحمن قال الشاعر

تان ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التاني واظنك مستعجلا وانت قاصد حاجة وانا اخشى ان تكون حاجة غير موافقة وامرا غير صالح فاخبرني فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله ياهذا اسكت عني فقد ضيقت على الدنيا وقد زهقت روحي منك فتقدم وأخذ الموسى وحلق شيئا يسيرا ثم رماه وصار يهدر علي في الكلام الى ان مضي ساعتان وبقي ساعة واحده وخشيت ان تاخرت عن الموعد لا ادرى كيف السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق راسى بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فاني اريد ان اتوجه الى دعوه عند بعض اصحابى فلما سمع هذا النحس بذكر الدعوه قال انا لله وانا اليه راجعون والله ياسيدى ذكرتني جماعة ضيوفا عندى ومرادى اصنع لهم طعاما وما عندى شيء وانت تحضرلى بجميع ما اطلبه ولا اروح الا انا واياك وتشرفني اليوم في محلي وليتي احسن من وليمة

اصحابك فقلت خذ ماتريد واحلق بقية راسي ودعني في حالي فان الوقت ضاق ولالي حاجة بالذهاب الى منزلك واحضرت له جميع ماطلبه حتى البخور العود ومرادي ان الله يصرفه عني حتى امضي الى مطلوبي فقال ياسيدي وانا الآخر عندي جماعة ملاح زيتون الحمامي وصليع الفاصي وسلوطح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الحمال وسويد العتال وحميد الزبال وابو عكاش البلان وقنبر الحرفان ولكل واحد منهم قصة ان أردت أحكيها لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على المزمار وفي وصفه أقول

روحي الفداء لزبال شغفت به حلو الشمايل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلا فقلت له والشوق ينقص مني كلما زالا
أضرمت نارك في قلبي فجاوبني لا غرو إن أصبح الوقاد زبالا

(فامض ياسيدي) معي الى أصحابي واترك أصحابك فربما انك تمضي الى ناس يكثرون عليك من الكلام فيشوشون عليك وأما انا فاني مثل اسمي صامت ولا أكثر الكلام وكذلك ضيوفي لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معي اليهم تأنس بي وبهم في هذا اليوم في منزلي واني خائف عليك من الذين أنت قاصدهم بما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع رأسك وأنت قد ضرت روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادي أمضي الى أصحابي وامض أنت الى اصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يامولاي ان اتخلى عنك وادعك تمضي وحدك فقلت له ياهذا ان الموضع الذي انا ماض اليه لا يتحمل احدا يدخله غيري فقال لي يامولاي اظنك اليوم في ميعاد واحدة من احبابك واصحابك تريد الخلوة معها لاجل الحظ والخلاعة والانس والمنادمة والا كنت تأخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك على ماتريد وانا خائف ان تكون امرأة اجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيئا يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر احد ان يعمل فيها شيئا ووالي بغداد جبار وربما يصادفك معها ويخبره احد بك فيرمي رقبتك فقلت له يا اخس الناس يامنحوس ايش هذا الكلام الذي تقابلني به وقد ملأتني غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح علي حتى فرغ من حلق راسي فقلت له الآن امض امض الى اصحابك بهذا الطعام وانا منتظرك الى ان تعود وتمضي معي ولم ازل اداهنه واخادعه وهو يقول لا امضي الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له اني انتظره الى ان يعود وامضي انا واياه فاخذ جميع ما اعطيته له وخرج من عندي ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقة واما انا فقد قمت من وقتي وساعتي وقد سلم المؤذن وضاق الوقت فلبست ثيابي وسرت مسرعا وحدي الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار التي رايت فيها الصبية وهذا التميس المزين خلفي ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرني

قطلعتني الطبقة التي فيها الصبية فلم اشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق ورايت هذا المزين المنحوس قاتله الله قاعدا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون من اين علم هذا النحس بي حتى ساقه الله تعالى الى لهتك ستري ثم ان صاحب الدار ضرب جارية من جواره فاتي العبد يخلصها فضرب العبد فصاح العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث انه يضربني فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على راسه وصار يقول قتل سيدى في بيت القاضي واسيداه واسيداه فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى داري والناس خلفه واعلم اهلي وغلماني وقال لهم سيدى قتل في بيت القاضي فجاؤني صارخين راخين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان القاضي قتل سيدى فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس والمزين يقول واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال ياقوم ما هذه القصة فقال له المزين تقتل سيدنا في دارك وتسألنا ماهي القصة فقال له القاضي واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا الخبيث المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له هذا القاضي ومن ادخل سيدك في داري بغير اذني فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل لها وانت في صلاة الجمعة حكم الموعد الذى اوعدته به فلما جئت ورايته ضربته وقتلته وما بقي يفرق بيني وبينك الا السلطان او تخرجه من بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل من الناس ان كنت صادقا ادخل انت واخرجه فنهض هذا الكلب المزين النحيس الشقي ودخل الدار فلما رايته طلبت طريقا اخرج منها او موضعا اهرب فيه فلم اجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت علي الغطا وقطعت الحس وكتمت النفس فالتفت هذا النحيس الشقي الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق في المحل الذى كنت فيه فاتى اليه وحمله على راسه وقد غاب عقلي وخرج بي مسرعا فلما علمت انه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرايت خلقا على الباب مثل التراب فصرت انثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عني فحملني غلماني وعبيدى على عواتقهم وصاروا يجرون بي في ازقة بغداد وهذا النحس الخبيث المزين يجرى خلفي ويقول احمد الله ياسيدى الذى خلصتك من القتل وانا وراءك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضي وعشق النساء صعب وصار يشنع عليّ في الاسواق ويهتكني بالكلام الى ان ادخلني غلماني في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب والغلمان وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحي واشرفت علي الهلاك واحضرت فقيها وكتبت وصيتي

وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضا من غلماني وجانب دراهم وسافرت من بلدي بغداد وما دخلت منزلي من الفضيحة التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا التعيس المزين فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبا وصار يداويني حتى شفاني الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لي من ذلك الكسر عرج فهذا اول يوم خروجي من منزلي وقد لاقيتني ودعوتني الى وليمتك فلما رأيت هذا الشقي جالسا عندكم ماطاب لي الجلوس ولا الاكل وانما اسال فضلكم ان تسمحوا الى بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه ياجماعة قصتي قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام صحيح فرفع راسه وقال نعم وهو يحمد الله الذي سخرني له خلصته وانكسرت رجله فان كسر رجله اولى من ضرب عنقه فانا قد تحملت معه هذا الجميل لله تعالى فقال له الجماعات الحاضرون قاتل الله الابعد قد هتكت الشاب وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد ثم انهم نهروه وشتموه واخرجوه من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله (وفي الغالب) ان كثرة الكلام عند ارباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم وصغيرهم لكن هذا النحس زاد في الثقالة والرذالة وعدم الذوق (ومن المناسبة لذلك) ماقاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ماحكي عن الفضل ابن الربيع انه قال قال لي الرشيد يوما اطلب منك حجاما اسكت من الحجر فقلت له ان لي غلاما عاقلا اديبا ظريفا ذا سكينة ووقار وله معرفة تامة فقال ابعثه الى فبعثته اليه واكدت عليه انه يلزم السكوت مع الادب ولا ينطق بشيء وان يتأهب احسن اهبة واكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا منقبضا فقال يافضل ان لذلك الغلام شانا وانا لا اراه ابدا بعد اليوم ثم اني سالت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما اتي الحاجم جئت به الى امير المؤمنين لاخراج الدم فلما بدأ في الحجامة قال يا امير المؤمنين اني اسالك عن شيء فقال له ماهو وقال قد مت محمدا على المامون والمامون اسن منه فقال له اخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسالك يا امير المؤمنين عن شيء آخر فقال له ماهو قال لم قتلت جعفر بن يحيي البرمكي فقال له اخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسالك عن شيء آخر فقال له قل فقال لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له جوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد قبل ان تقتله فانه سالني عن ثلاث مسائل لو سالني عنها المنصور ما اجبته قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابودلامة على الرشيد باكيا وقد تواطا مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيدة فلما مثل بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد مابالك تبكي فقال

وكنا كذا روحي قطا في مفازة   من الامن في عيش رخي وفي رغد

فافردنا ريب الزمان بصرفه ولم ار شيئا قط اوجى من الفرد

ثم اعلن بالنحيب والعويل وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامه وانا محتاج الى تجهيزها فامر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على زبيده وهي باكية فقالت لها زبيده مابالك فقالت ان ابادلامة مضى لسبيله فاعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيده وهو مغضب من اسئلة الحجام وموت ام دلامة فقالت له زبيده يا امير المؤمنين مالى اراك حزينا فاخبرها الخبر فضحكت وقالت الان خرجت ام دلامة من عندى لتجهيز ابي دلامة فضحك هو ايضا وقال والان خرج من عندى ابو دلامه لتجهيز ام دلامة قال الفضل فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا مستغرقا في الضحك فتعجبت منه كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاستخبرته فاخبرني بما حصل فشفعت حينئذ فى الحجام فقبل شفاعتي واطلقه واستحضر ابادلامة فقال ما حملك على هذا فقال له يا امير المؤمنين لكى يقال انه لا يتوصل الى عطاء امير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلهما وقد علمت ان المزينين اقل الناس عقولا وافسدهم رايا فلا ينبغى لعاقل ان يطلعهم على اسراره ولا يشاورهم في امر من اموره فانهم لا يحفظون الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم واذا احتاج الانسان الى المشاوره فليشاور حكيما عليما خبيرا قد جرب الامر فان المشاورة مطلوبه شرعا قال العلامة البلقيني في تفسيره امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاوره اصحابه وهو غني عنها فقال تعالى وشاورهم فى الامر وهو تشريع للامة وقد اثنى الله على عباده بالمشاوره فقال تعالى وأمرهم شورى بينهم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاؤكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذى عن ابى هريره وانشدا بو القاسم الحبيبي قال انشدني ابو عثمان

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل لبيبا ولا توصه * وان باب امر عليك التوى
فشاور حكيما ولا تعصه * ونص الحديث الى اهله * فان الامانة في نصه
اذا المرء اضمر خوف لا اله تبين ذلك فى شخصه

وانشد ابو القاسم الحسن قال انشدنا ابو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا ابو سلمة المؤدب

شاور صديقك فى الخفى المشكل واقبل نصيحه ناصح متفضل
فالله قد اوصي بذاك نبيه فى قوله شاورهم وتوكل

وقال يحيى البرمكي ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول وسمع ابو الاسود الدؤلى رجلا يقول اذا كنت في حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه

فقال قد اخطا قائل هذا البيت ايعلم الرسول الغيب وان لم توصه انت فكيف يعلم مافى نفسك

ثم انه قال اذا ارسلت فى امر رسولا * ففهمه وارسله اديبا * ولا تترك وصيته بشىء وان هوكان ذاعقل اريبا * فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على ان لم يكن علم الغيوبا
ثم ان الناظم عزم على مشايخ الكفر باسمائهم فقال
ص ويجلس بجنبي ابن جرو وكل خره * وابن كل الصك النضيف وضيف
﴿وابن فسا التيران وابن خرا الحسه * وقلوط والزبله وابن كنيف﴾
ش قوله (ويجلس بجنبى) أى هؤلاء المشايخ يعنى مشايخ البلد الناظم الذين افتخر بذكرهم وأجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا ازلت من المدينة وأما مكسى ابدة وشدا مشنيرا وانا كالكلب المتقدم ذكره ياتى الى مشايخ البلد المذكورون وجلسوا بجانبى وهم ثمانية رجال الاول (ابن جرو) والثانى ابن (كل خره) والثالث (ابن كل الصك النضيف) اى المتراسل بعضه اثر بعض حتى يخلى القفا مثل علم سيدى احمد البدوى مثلا وقيل الصك النصيف شرطه ان يكون من رجل شديد ويكون قفا الشخص مصلحا خاليا عن شىء يمنع عنه الصك بالافلام ويراسله بالصك بسرعة وعجله حتى يحمر قفاه فعلامة نظافة الصك احمرار القفا وورمه حكي ان ابانواس نادم امير المؤمنين هارون الرشيد فانعم عليه بجاريه وأمر بحملها معه وقال لها اذا طلب منك الحاجة صكيه وكلما اراد الطلب زيديه من الصك فلما وصل الى منزله واراد منها الفعل نزلت فى قفاه صكا وهكذا الى الصباح فلما اصبح اتى الخليفة وهو في غاية ما يكون من الالم لا يقدر ان يلتفت يمينا ولا شمالا فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك يا أبانواس مع الجارية فقال له يا امير المؤمنين كانة طيبة الاان مولانا عودها عادة قبيحة فضحك منه وانعم عليه بمال وغيره وقوله (وضيف) هذا فعل امر على لغة اهل الريافة فى كونهم يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو وفى ضف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى أنه يقول له ضف الصك على الصك أى اجعله متتابعا لا ينقطع بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كانه ضربة واحده فان المضاف اليه كالشىء الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيافة واتى به لتمام البيت (و) الرابع (ابن فسا التيران) سمى بذلك لان اباه كان انقطع مده فى داره لمرض اعتراه وهو كثره الفساء واتخذله محلا بين الثيران يسمي طواله فصار يفسى فيها ليلا ونهارا فصار كلما شم احد رائحته يقول له ماهذا فيقول فسا التيران فسمى بذلك (و) الخامس (ابن خرا الحس) سمى ابوه بذلك لكثره لحسه من الجلة وهو صغير وقيل قلع عرقيته ووضعها على الارض وصار يخرى فيها حتى ملأها وصار يلحس من حواليها فسمي بذلك (و) السادس (قلوط) مشتق من القلط على وزن الضرط والملط يقال فلان غلظ قلوطه يعني انه شبع من الرزق وبقى في الكفر عظيم الامر يجلس مع النصراني ركبه بركبه ويلبس الوطا الاحمر والشد المشنير (و) السابع من مشايخ

البلد (الزبلة) سمي بذلك لانه كان في صغره مشغولا بلم الزبل من محل مرعى الغنم ومن السكك والكيمان وبيعه وكان هذا سببالسعادته وكان بينه وبين قلوط صداقة في البلد فكان قلوط دائما فيها لا يفارقها والزبلة تاره يقعد فيها وكان قلوط هذا في وسطها سواء بسواه والزبلة في طرفها وكانوا بها دون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة واتحاد غالبا ومناسبا لان الزبله قريبه من القلوط وان كان القلوط ارق منها لكن ابن خرا الحس اعظم في البلد واكبر من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت احدا منهم في البلد يغلب لسانك الى خرا الحس وتجده في وجهك (ومن النوادر) ان بعض الولاه المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يامولاي لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اثرا (و) الثامن (ابن كنيف) وكان شهيرا موصوفا معروفا يقصده جميع الناس من كل جهه ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما القلوط وابن خرا الحس الا ان ابن خرا الحس كان محبوب بن كنيف في الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديما لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون عنه كما قال بعضهم مواليا

وطواط عشق خنفسا وصبح بها محجوب ... وبنى لها قصر جوا بيت خلا من طوب
وحضر النقل والمأكول والمشروب ... ما للنديم الخرا الا لذا المحبوب

ثم ان الناظم لما تمنى ان يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح بهذه اللمة عنده قال ص (وافرح باللمة وينسر خاطري ... وهذا مرادي يا ابن بنت عريف)
ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره اي انه يرجو من الله ان يبلغه مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويمن عليه حتى ينزل من المدينة بلبده وكرمشنيره يكون له مقام في البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعاده ليس فيها افاده وقد عرفت اسماءهم باللفظ والذوق وملخص القول ان الناظم يقول ان حصل لي هذا فهو غاية مطلوبي ومرادي من الدنيا وتمام مرغوبي من اللذات فاني قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى علي بما طلبته يبقى رزق امرأتي على الله تعالى فانه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصي والبر والفاجر وانا على حد قول القائل

يامن طلب رزق ونالوا ... وقال بقى رزق امراتي
قم في الدجا واسرح دقنك ... لابد لك عن خيراتي

وانه اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المرا تاكل خرا والفدقن ولا دقني ثم انه ختم كلامه بالصلاه والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ص (واختم قصيدي بالصلاه على النبي نبي عربي مكي شريف عفيف)

ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفي الشفاء لابن سبع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة على فانها تطفىء غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان والاحاديث الوارده في فضل الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم كثيره وبالجملة فالصلاه عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالى فى شرح ام البراهين ان الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ما روى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلها ريا فهي مقبولة بلاشك وقد روى ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلي عن النبي صلى الله عليه وسلم فى ابتدائه وفي انتهائه الى ان قال روي عن ابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ان الصلاه على النبي امحق للذنوب من الماء البارد ان الصلاه عليه صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب فى مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم فى مقابلة سلام الله تعالى على اهل الجنة فناهيك بها من منة قاله فى كشف الاسرار وعن ابى هريره رضى الله تعالى عنه مرفوعا من صلى على يوم الجمعة ثمانين مره غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطنى وحسين العراقى كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطى مقيداله بكونه بعد العصر والله اعلم (خاتمة) فى ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان قدمر منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعضه آنفا قيل تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة أزواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكى وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الي السابع الشقى (ويحكي) ان بعض اللطفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من ابيه فبلغ والده ذلك فما زال يتتبع أخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ماهذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت انه كان ابيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحى فخجل ابوه وتركه وانصرف (وحكي) ان بعض الظرفاء كان اذا اغضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل بنكاحها فقالت له يوما انا كلما يشتد غضبي عليك تاتيني بشفيع معك لا نستطع رده (وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله فقام القاضي وكشف عن استه وادارها الى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن

منها او ردوها ماهذا السلام الا هذا الرد (وحكي) ان الاصمعي قال كنت يوما عند الرشيد فقال لي من عندك يؤانسك فقلت له ليس عندي احد فلما ذهبت الى منزلي ارسل لي جارية بديعة الحسن والجمال آنستني بكلامها وبهرني عذب اقتراحها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسوا كن الشهوة التي توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتني حتى امالت نفسي اليها ورغبت في الركوب عليها وخلعت ثيابي وسألتها ان تخلع ثيابها فخلعتها وهي تنفس تنفس السقيم وتاخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب وأحضرنا الماكل والمشارب واكلنا وشربنا وتفكهنا وأردت ان أهم بها فاعتراني من الفتور وعدم الانتصاب ما كدر خاطري وأفسد علي ليلتي فتحيرت في أمري وصرت لا أدري ماذا أفعل فاكثرت من ملاعبتها حتى صارت تقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذي لا حركة فيه فعظمت حسرتي وصرت منها في حياء وخجل فلما أيست منه قالت ياسيدي دع ايرك فما لنا فيه حيلة ولا نفع فانه ميت ثم قامت وقالت لي نم على ظهرك حتى أغسله واكفنه فخجلت منها ولم أقدر أخالفها ونمت لها كما طلبت فمسكته بيدها وغسلته وكفنته بمنديل ثم قالت لي قم صل عليه فقمت وانا في غاية الخجل فتوضات وصليت الصبح وسرت من وقتي الى الرشيد فقال لي ما خبرك فقلت له يا أمير المؤمنين حكايتي غريبة وأخبرته بما حصل لي معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لي نحن أحوج اليها منك لصغرها وفطانتها فاخذها [illegible]ني وعوضني جارية غيرها وعشرة آلاف درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها [illegible] [illegible]معية (وقيل) كان رجل نحوي اسمه زيد فرأى غلاما سمه بكر فلما اختلى به قال له ياولدي حرك الاير حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى استك كالمد المتصل واجعل الهمزة آلة له لئلا ينفصل وأطال الكلام في هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له أعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا

(وحكي) ان بعض اللطفاء امتدح بعض الرؤساء بقصيده فرسم له ببردعة حمار وحزام فاخذهما على كتفه وخرج بهما فمر به بعض اصحابه فقال له ماهذا قال انني مدحت مولانا الامير بقصيدة من احسن القصائد فخلع علي خلعة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك وارسل خلفه واجازه بجائزة حسنة وحكي عن الاصمعي انه قال رايت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت لها ماهذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها قصدي ان اطوف بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فاخرجت لها صره فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود

وان شئت ادخل الحرم قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأه جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمرأه ولاط بالولد فقالت المرأه للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض امره على الحكام فقال لها الولد اما انا فكان ظهري لوجهه فمعرفتك له ابلغ من معرفتي اياه (ومات مجوسي) وعليه دين وترك ولدا له دارا فقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين ابيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا بعت داري وقضيت دين ابي هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه في النار وانا في الدار (وقال المأمون) ليحيي ابن اكثم وهو يعرض له من الذي يقول هذا البيت

قاض يرى الحد في الزناء ولا ... يرى على من يلوط من باس

فقال القاضي يحيي اوما يعرف امير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر احمد ابن ابي نعيم الذي قال

اميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والراس شر ما راسي

فلا ارى الجود ينقضي وعلى ... الأمة وال من آل عباسي

فافحم المامون وسكت خجلا (وارسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يامنيتي ... يسيل المخاط على لحيتي

وليتك عندي اذا ما خريت * يكون لسانك في ثقبتي * نسيمك عطل ماء السما واورثني الويل والكربي * اذا لم تزرني انا مدنف * فان الهوى مسهل معدتي

ومما ينسب للحريري الرزاي رحمه الله تعالى

صديقك في الزمان عدو وخلك خل دعه واحذر بوائقه ونافق فقد آن النفاق ولا تخف كما دا فان المنافق نافقه وعرص وقد واظلم وبالفحش فافتخر فارفعت دنياك حرا ولا ثقة

وما فيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا ملحدا وزنادقه

ومثل ذلك) قول الابوصيري عفا الله عنه

ستة في اللهو فالهم * فبعد الممات بها تذكر

تخول وعرص على الناس وافسق * وغن وقامر اذا تسكر

(ونختم) هذا الكتاب بابيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهاس والتخريف وما جرى في وصف اهل الريف جملته جزاين باختصار فجاء كالزبله في التيار * لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشواء اذوي العرفان ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل الهبال * ابحاثه جاءت كما الحس الخرا ياوجه الاصحاب حقيقا لا مرا * فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتته اوقصة مساهده واصل ما الجاني لفعله * وشرحه ونسخه ونقله * العارف الحبر وحيد الدهر

وعالم الاسلام زاكى الفخر * شيخ امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب
ومعدن الجود مع المطلوب * واعنى الامام احمد السندوبى
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابي * هذا و يرشده الى الصواب
ومن راي فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص معدن الزلل
ولا تلمنى فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يابطل
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
والآل والاصحاب انجم الهدى * على النبي الهاشمى احمدا
ماغردت ساجعة الاطيار * ولاح برق في دجا الاسحار

﴿ تم بحمد الله وحسن توفيقه ﴾

رسول الله صلى الله عليه و

ابراهيم وعبد بن حميد قالا

ابن عبد الرحمن الدارمى

الاسناد سواء

١٣

حدثنا هرون بن عبد الله

قال ابن جريج أخبرنى أبو

الاضطراب الداخلى

الله عليه وسلم خطب يوما

طائل وقبر ليلا فزجر النبى

الأن يضطر انسان الى ذلك العثمانية ـ الايطالية من القاء نظرة على حالة البلاد

أخاه فليحسن كفنه الفترة ـ فترة الحرب ـ فان ذلك يساعد على ادراك

احاطت بالدولة واضطرتها فى النهاية الى قبول الصلح

وحدثنا أبو بكر بن أبى

أبو بكر حدثنا سفيان بن

صلى الله عليه وسلم قال أسرعوا بالجنازة لاعلان ايطاليا الحرب على الدولة وارسالها اسطولها

تكن غير ذلك فشر تضعونه او اقالة وزارة حقى باشا الاتحادية ، واشتداد النقمة

جميعا عن عبد الرزاق أخبرنا ت تؤيدها وتشد ازرها واتجاه النية الى تأليف

عبادة حدثنا محمد بن أبى المرحلة الصعبة ، مرحلة الحرب مع ايطاليا ، وتسمى

عن النبى صلى الله عليه وسلم غير أن فى منوال يصون للبلاد حقوقها وكرامتها

أبو الطاهر وحرملة بن يحيى

الآخران أخبرنا ابن وهب (رئيس مجلس الاعيان يومئذ) ومن خرجى

أبو أمامة بن سهل بن حنيف الوزارة الجديدة وكانت الصبغة الاتحادية غالبة عليها

أسرعوا بالجنازة فان كانت تميل الى اتفاق مع ايطاليا ، وحملت السلطان على

شرا تضعونه عن رقابكم

ص ٤٥٨) يرجوهم التوسط لحقن الدم فردت الدول

باب ف

وحدثنى أبو الطاهر و السلطان معتذرين بفوات الوقت ، وزاد الطين بلة اعلان

وحرملة قال هرون حدثنا ا ضمها طرابلس الغرب و برقة الى املاكها وابلاغها

شهاب قال حدثنى عبد الرحمن قابله الباب العالى بالاحتجاج والاستنكار

ميدان القتال ، وصدموا الطليان فى المعارك الاولى

